

اشترى كتبك الورقية الآن .. تصلك لباب بيتك أينما كنت

كتابك لبابك أينما كنت في كل دول العالم



• توصيل لكل دول العالم

• تخفيضات كبيرة

• إمكانية الدفع عند الإستلام

• أكثر من 10 مليون عنوان عربي واجنبي



• تواصل فوري

• عروض يومية للتوفير

• كوبونات خصم متجددة

أضغط هنا للدخول إلى المكتبة

د. تامر ابراهيم

الحِكَايَاتُ الْقَبْرِ

الحكايات القلبية



د. تامر ابراهيم

غواصة في قلب المحيط ..
مركبة في غياهب الفضاء ..
جرامافون عتيق ..
قتل الدون باتشيني و قطار في ثلوج
روسيا ..
إنه الرعب حين يكون في أي مكان و
أي زمان ..
إنه الرعب حين يطلبك فهل تلمي
النداء ؟
هل جرؤاً ؟!



DIAMOND BOOKS
إصدارات الألماس

إهداء

الى ستيفن كينج دائماً و أبداً .. قبل كل شيء ..

في صغري شاهدت مسلسلا يحمل اسم (حكايات القبو Tales from the crypt) لم يكن لمن هم في مثل عمري أن يروه .. فمن بعده و إلى يومنا هذا لم تتوقف الكوابيس عن زيارتي في الليالي المظلمة و حين أكون وحيداً ..

و في أحد الأيام حاولت أن أخرج هذه الكوابيس على الورق في صورة قصص .. حكايات أحكيها لمن يريدون الرعب .. لمن يطلبون الكوابيس .. حينها اكتشفت أن أدب الرعب يختار كتابه لا العكس .. لقد وجدت هذه القصص في أعماقي لأحكيها .. أنا لم أطلبها لكني أملك منها مئات .. آلاف .. فوق قدرتك على التخيل ..

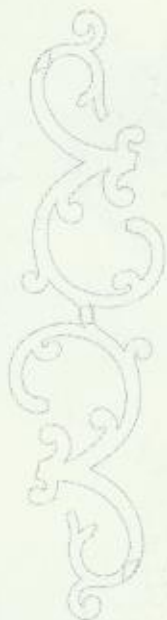
و اليوم و بين صفحات الكتاب في يدك ستجد مجموعة من هذه الحكايات .. أول مجموعة لكنها ليست الأخيرة .. لنقل فقط أنها بداية .. أو مدخل ..

مدخل إلى عالمي حيث يمتزج الخوف بالخيال بالذكريات بالظلام .. مدخل إلى عالم يحمل قصصاً لها مذاق الرعب .. و رائحة القبو ..

د . تامر ابراهيم



إنهم هنا ..



بغثة ..
انتفض مستيقظا ليحرق فيمن حوله ذاهلا ...
قمرة القيادة السفينة ... المحيط .. زجاجات الخمر الرحلة البحرية ...
الطاقم ...
أفكار أخذت تبعث من ذاكرته مفعمة بعيق الخمر ، التي تناثرت زجاجاتها حوله
، فحرق فيها لحظة مستعيدا ذاكرته ثم ...
الطاقم .. أين الطاقم ؟ لماذا لا تتحرك السفينة ؟
اعادت ثورته ، ذاكرته له في لحظة ، فهب واقفا ليندفع خارج قمرة القيادة ،
صارخاً ..
- هؤلاء الأوغاد لن يذوقوا طعم الطعام لأسبوع و...
وبتر عبارته ، ليحرق في سطح السفينة الخالي تماماً قبل أن يقول :
- أين ذهب الجمع ؟
أجابته الرياح التي هبت في وجهه ، محملة برائحة البحر ، لتتفض عنه دهشته ،
ولتعيد إليه ثورته فانفجر بها صارخاً ...
- أين أنتم أيها الأوغاد الحمقي ... ؟
وبخطوات واسعة اتجه الى السلم ، الذي يقود إلى الأسفل ، حيث عنابر النوم ،
وقد عبثت شياطين الغضب بملامحه ، وفي نبذة صوتته التي خرجت هادرة :
- تمامون حتي الآن يا أبناء الملاعين ..
وضرب باب العنبر ، بركلة عنيفة فتحت على مصراعيه و... و ...
واخترقت الرائحة الشنيعة أنفه لتجعله ويبتلعها مع باقي جملته ، فأغمض عينيه
متراجعا ثم فتحهما ، و...
- هل أهذي !!؟
لكن الرائحة المخيفة التي تصاعدت من جثث طاقمه ، الذي تناثروا عبر العنبر
أخبرته أنه لا يهذي ...
بل جنّ ..
إن ما يراه الآن هو الجنون بعينه ...
ولدقيقة كاملة تصنم فيها جسده ، وتحجرت عيناه على المشهد ، أخذت صور
عديدة تخترق مخيلية كضربات سكين ..
محيط .. رحلة ... خمر ... سطح خالي ... رائحة .. جثث .. جثث كثيرة ...
طاقمه كاملاً ...
ورغما عنه أخذ يتراجع الى الوراء بخطوات خائفة .. ثم أخذ يضحك .. يضحك
... يضحك ... يضحك ...



عندما استيقظ هذه المرة ، كانت زجاجة الخمر شبه الخاوية لا تزال عالقة
بيده...
وللمرة الثانية أخذ يحرق فيما حوله ذاهلا ، قبل أن يجرع ما تبقى في الزجاجة
مرة واحدة لتعود إليه ذاكرته كاملة ...
إنه الآن في سفينة في قلب المحيط ، وحيداً بعد أن ذهب طاقمه كله إلى
الجحيم...
مرحي .. هلى الأقل لن يقلي بشأن الطعام .. إلا لو كان هؤلاء الأوغاد قد ملثوا
ه أجوافهم قبل أن يموتوا تلك الميتة الجماعية...
لا بأس ... لا بأس ... على الأقل إنه يظفر الآن بالهدووووو...
« أين القبطان ...؟ »
دوي الصوت من خارج قمرة القيادة ، ليحطم زجاجة الخمر ، التي سقطت من
يده ، ولتحطم فكرته عن الهدوء وعن ...
« لقد اختفي القبطان .. تخلى عنا ذلك الوغد ثانية ... »
وعن الموت
إنه ... طاقمه ... الذي مات ...!!!
ومأخوذاً قام من مكانه ، ليخرج من قمرة ، متجهاً إلى عنبر النوم الذي استحال
الى مقبرة جماعية ، ليشاهد الهول بعينه ...
فأمامه كانت الجثث المشوهة في أماكنها ، وقد وقف إلى جوار كل جثة
شبحها ...
طاقم كامل من الأشباح ...!!!
وانتزع الكلمات من حلقة ليقول :
لقد جننت ... نعم ... جننت ...
لكن الجنون كان أبعد من أن يناله ، فالأشباح - التي بدت وكأنها لم تراه
- واصلت :
ما الذي سنفعله إذن ..؟
سنواصل بدونه ... لا حاجة لنا به ..
... عظيم .. س ... سنذهب ل... لنواصل بمفر ..ردنا ..
خرج صوته هذه المرة مبوحاً لفرط انفعاله :
أنا هنا ..
لكن أحداً من الأشباح لم يعره انتباهاً .. بل خرجوا من العنبر ، ليصعدوا مارين
على قيد سنتيمترات منه دون أن يعيروه أدنى اهتمام ...
فقط تركوه وحيداً مع جثثهم ، التي لم تقل رائحتها شناعة عما ذي قبل...
مهلاً .. لماذا لا يكون هو الشبح ؟؟؟
وماذاً عن السفينة التي لا تتحرك ؟؟؟؟

قالها بصوت مزقت نبراته الشيخوخة ، للطفل الجالس أمامه ، في ذلك الكوخ الخشبي ، ابضا بيده على شراب ساخن ، رشف من رشفة ، ثم قال :

لست أدري كيف نجوت بعد هذا .. كل ما أذكره أنني كنت أحارب ، للبقاء على سطح الماء ، أشاهد بعيني سفينتي تحترق ، وتغرق ، م انتشلتني سفينة أخرى بعد ذلك ، حيث بدأت أستوعب ما حدث...

سأله الطفل بلهفة ، وعيناه تلمعان ...

أبي .. قلت لى أنهم قالوا أنك تخليت عنهم ثانية كيف ؟

تدفقت المرارة في صوته وهو يجيب ...

كنت مدمنا للخمر حينها ، لذا لم أذكر ما حدث قبل موتهم .. إنه الطاعون ...

لقد أصيبوا بالطاعون قبل موتهم ، فتخليت عنهم وأغلقت على نفسي قمرة القيادة ومعى الأمصال الواقية ... كنت أخشى العدوي ، والخمر كانت قد ذهبت بعقلي ..

وإذ عادت أشباحهم ، كنت تبغي الانتقام ، بتلك المسرحية التى مثلوها ...

ثم أردف

صحيح أنني نجوت من انتقامهم يومها .. إلا أنهم تركوا لى عقابا قاسياً ...

ورفع عينيه لينظر الى طاقم الأشباح ، الذي وقف خلف الطفل إياه بقسوة .

ليقول :

إنني أراهم طيلة الوقت وحدي ..

إنهم هنا ...





في الغرفة المغلقة

جذب عدة أنفاس من غليونه ، قبل أن ينثر الدخان في سماء الغرفة ..
ثم التفت إلى الطبيب الشاب الذي يرمقه طيلة الوقت بانبهار ، ليقول بلهجة
عملية بحتة :

هل أنت مستعد ؟

نعم يا سيدي ..

إذن هيا بنا ..

و انطلق يتبعه ذلك لطبيب الشاب المنبهر ، إلى أكثر الأماكن رهبة في هذه
المستشفى .. المشرحة .. حيث قضى أكثر من نصف عمره ..
ربما عمره كله ، لم يعد يدري .. حياته كلها دائرة من النوم .. الإستيقاظ ..
الطعام .. المشرحة .. المائدة الرخامية الباردة ، تحمل له جسداً ساكناً و وجهاً
يحمل عظة الموت و قسوته ..

ربما كان هذا الطبيب الشاب ، أول من يصحبه في عالمه البارد الخاوي .. إنه
يريد أن يتعلم ، فليمنحه ما يريده إذن ..

و ما إن جمعتهما الغرفة الباردة ، حتى التفت إلى الطبيب الشاب ليقول :

- أهي أول مرة لك ؟

- نعم .. نعم يا سيدي ..

مرحى !! .. هاهو قد بدأ يتوتر ، دون أن يرى الجثة حتى .. من الأفضل له ألا
يفقد وعيه .. سيضيع هذا وقته بلا طائل ..

و أمسك الملف على المنضدة ، ليقراه بعينه لحظة ، ثم قال :

- حسناً .. لدينا فتيلة في غرفة مغلقة من الداخل .. ما هي الإحتمالات التي
تملكها إذن ؟

انطلق الطبيب الشاب يجيب ، كأى طالب نجيب :

تسمم أو اختناق أو انتحار ..

عظيم .. دعنا نستبعد التسمم و الإختناق ، فهي لا تحمل أعراض كليهما .. ما

المتبقي إذن ؟

الانتحار ..

ابتسم ابتسامة جانبية ، و هو يتجه إلى المنضدة الرخامية ، و دفع الغطاء الملوث
ببقع حمراء طازجة ، قائلاً :

إذن فهذه هي أول حالة انتحار يفصل الرأس عن الجسد ..

و على عكس ما توقع تماماً ، اقترب الطبيب الشاب من المنضدة متفحصاً الجثة
مقطوعة الرأس ، باهتمام فضولي ، ثم بدأ يقول بصوت خلا تماماً من التوتر :

- أنثى بيضاء في العقد الثاني من عمرها .. الرأس مفصول عن الجسد بأداة

حاددة .. شديدة الحدة في الواقع ، فلم أر في حياتي قطع له هذه الحواف ..

ربما كانت الأداة المتخدمة سيف ، أو فأس ..

- عظيم .. ليست ضحية انتحار إذن ؟

- لا أستطيع الجزم بهذا الآن ..

أصابته إجابة الطبيب الشاب بالضيق ، فقرر أن ينهي هذا الجدل ، قائلاً :
دعني أمنحك الصورة كاملة إذن .. لقد كانت هذه الفتاة في غرفة مغلقة ، حين
لاحظت أختها الدماء المنهمرة من أسفل باب الغرفة .. طرقت الباب كثيراً قبل أن
تبدأ في الصراخ .. وحين اقتحم الجيران الغرفة ، و استدعوا الشرطة بعد ذلك
، كانت المجزرة التي رأوها ، تحمل لهم ألف سؤال ..

وصمت لحظة ليعيد إشعال غليونه ، و لينثر المزيد من الدخان ، قبل أن يتابع :
لقد كان كل شيء محطماً في الغرفة .. بل منسوقاً و كأنما انفجرت قنبلة في
المكان .. أما هي ، فكانت تسبح في بركة هائلة من الدماء ، و قد ألقى أحدهم
رأسها في ركن الغرفة .. النافذة الوحيدة في الغرفة كانت مغلقة من الداخل ، و
كذلك باب الغرفة .. و لم يكن لسيفك الحاد هذا أي وجود ..
ظل الطبيب الشاب جامداً برهة يفكر ، قبل أن يقول أخيراً :
كيف خرج القاتل إذن؟

منحه هو مزيداً من دخان غليونه ، دون أن يجيب ، فكرر الطبيب الشاب :
هل تعرف كيف ؟

هاهو يقوده إلى الفخ ، بعد أن فتح هو بابه بنفسه .. فليدخل إذن أو ..
لنبدأ بفحص الجثة أولاً .. هذا هو عملنا ..

أعرف أنه عملنا .. لكن لماذا لا نضفي عليه القليل من المتعة ؟
لا مناص من الفخ إذن ... ليلقي له بالكرة إذن ..
ما الذي تعتقده بالضبط ؟

أن القاتل عبثري ..

أحسنتم .. لنبدأ عملنا إذن !

لكن الطبيب الشاب بدا مصراً ، و هو يتابع :

المشكلة الآن تكمن في ثلاث نقاط ، و هي كيف دخل إلى الغرفة ؟ .. كيف قتل
الفتاة و حطم الغرفة ، دون أن تسمع أختها أي شيء ؟ ..

و كيف خرج في النهاية ؟

أجابه هو بنفاذ صبر :

إجابة السؤال الثاني أن أختها كانت في الخارج حينذاك ..

أما الأول فلا يهم .. كل القتلة يستطيعون الدخول دائماً ..

ماذا عن الثالث ؟ .. كيف خرج ؟

لا مفر إذن ...

هذا الوغد سيجعله ينطق بالكلمة التي ظل أكثر من عشرين عاماً

يحاول تجنبها ..

لا أدري ..

قالها باهتضاب ... بغضب .. بفشل .. بخجل ...

لنحاول أن نعرف إذن ..

هتف بعصبية :

كيف ؟

أجاب الطبيب الشاب بحماس :

دعنا نستعيد ما حدث عملياً .. هل بقايا الحطام موجودة هنا ؟

نعم ..

عظيم ..

قالها و اتجه إلى باب المشرحة ليفلقه من الداخل بإحكام ، ثم تابع و عينيه

تلمعان حماسة :

و الآن نحن في (غرفة مغلقة) تمامًا كما كانت هي .. أين بقايا الحطام ؟

أشار إلى مجموعة من الأكياس ، موضوعة على المنضدة ، دون أن ينطق ، مراقبًا

إياه بعينه ..

أما هو فأخذ يتفحصها بعناية ، و لعشر دقائق كاملة ، قبل أن يقول :

و الآن دعنا نتخيل المكان .. لقد كان السرير هناك في الركن الأيسر من الغرفة

على سبيل المثال .. و الغرفة مضاءة بمصابيح النيون ، و ثمة امرأة ذات بروز

خشبي على الحائط ، و خزانة ملابس قرب السرير .. لقد كانت هي تجلس

على السرير أو نائمة عليه حين دخل القاتل .. لا يهم كيف ظهر كما اتفقنا من

قبل .. السؤال هو ، هل قتلها على الفور ؟

لا أعتقد .. هناك جروح قطعية في باطن الكفين و في الذراعين .. إنها جروح

مقاومة على الأرجح ..

هذا يعني أنها كانت مستيقظة حين ظهر ..

تسلل الحماس إليه نوعًا ما ، ففحص الجثة بعينه ، قبل أن يجيب :

ثمة خدوش و شظايا زجاجية ، تركت جروح (ما قبل الوفاة) .. أي أنه حطم

الغرفة ، قبل أن يقتلها ..

عظيم .. لماذا ؟

ليخفي الأدلة على الأرجح ..

لا أعتقد .. كان ليفعلها بعد قتلها ، لو أن هذا هدفه ..

لماذا إذن ؟

لا .. أدري ..

الآن تتعادل الكفتان !!

لقد منحه عجز الطبيب الشاب ، شعورًا عارمًا بالراحة ..

دعني ألقى نظرة على البقايا أولاً ..

و أخذ يفحص البقايا ، بعينين تحملان عشرون عامًا من الخبرة ، و إذ اعتدل

أخيرًا ، قال :

- هل تساءلت عن سر وجود هذه ؟

قالها و رفع بين أصابعه بقايا شمعة سوداء ، حدق فيها الطبيب الشاب باستغراب قبل أن يقول :
لم أقف كثيرًا عندها .. ربما استخدمتها لأن التيار الكهربائي انقطع أو ..
لو كان التيار الكهربائي قد انقطع لفتحت النافذة، هذا هو رد الفعل الطبيعي لأي امرأة ..

ثم لماذا تحضر شمعة وتشعلها ثم تغلق الباب و النافذة عليها من الداخل ؟
ألا تجد هذا غريبًا ؟
.. بالطبع ..

ثم هناك هذه البقايا الورقية .. هل لاحظتها ؟ .. لقد مزقتها أحدهم بعناية فائقة ، و بعضها يحمل دماء جافة ، بالتأكيد دماء الضحية ، لكن هل جاءت هذه الدماء قبل أم بعد قتلها ؟
عاد الإنبهار إلى عيني الطبيب الشاب ، و هو يقول :
و ما المكتوب في هذه الورقة ؟
دعنا نجعلها لنرى ..

و على الرغم من أن عملية جمع البقايا الورقية ، كانت مرهقة و مملة ، إلا أنه كان يشعر بحماس غير عادي أورثه إياه الحماس في عيني الطبيب الشاب ، و الرغبة في معرفة ما يحدث ... أو ما حدث بالفعل ..
في الغرفة المغلقة ...
«هل تفهم شيئاً من المكتوب ؟»

قالها الطبيب الشاب بعد نصف ساعة ، قضياها في جمع الورقة ، ليحدثا بعد ذلك في الرمز الغريب الذي تراصت أسفله كلمات بلغة أغرب ، و قد أخضت آثار الدماء الجافة ، معظم الحروف لتزيد الأمر تعقيداً ..
و لم يملك هو نفسه من الانفجار صائحاً :
- لا أعرف ما هذا .. لقد مللت هذا كله .. نحن نضيع وقتنا بلاطائل .. ربما لم تكن لهذه الورقة علاقة بالجريمة أساساً .. لنترك للشرطة مهمة العثور على القاتل ، و لننته نحن من ..
«مهلاً ... لقد نسينا الشمعة»

قاطعه الطبيب الشاب بهذه العبارة ، ثم تناول الشمعة بلهفة ، و أخرج علبة ثقاب من جيبه ، أشعل بها بقايا الشمعة السوداء ، قبل أن يثبتها على المنضدة أمام الورقة ، ليقول:

أعتقد أنه يجب أن نغلق المصباح ..

و دون أن ينتظر رده كان قد ضغط على الزر بالفعل ، ليهوي الظلام على المكان إلا من ضوء الشمعة المتراقص ..
- ألن ينتهي هذا السخف ؟
- لحظة أرجوك ..



صمت منتبهاً إلى حقيقة بالغة الأهمية ...

لو لم يستطيعوا تفسير ما حدث ، ستكون هذه هي أول جريمة كاملة تمر عليه في تاريخه كله ..

الجريمة الكاملة التي ظن أنها خرافة لا وجود لها .. عنقاء الطب الشرعي كما اعتاد أن يسميها .. وها هي العنقاء تفض رمادها و تعلن عن مولدها .. لا ..

هناك حل حتمًا .. بالتأكيد هناك حل ..

لقد اعتاد أن يلعب لعبة الإختلافات العشرة حين كان صبيًا ، و كثيرًا ما كان يتوقف بعد الإختلاف الرابع أو الخامس ، ليشعر - على نحو يقيني - أنه لا يوجد سواها ..

لكنها كانت هناك ... دائمًا كانت هناك !!

الآن ليلعب اللعبة بصورة جديدة .. صورة فريدة من نوعها ..

على اليمين صورة فتاة تجلس في غرفتها ، تقمراً على فراشها ..

و على اليسار صورة الغرفة المحطمة ، و الفتاة جثة تسبح في الدماء ، رأسها في ركن الغرفة !!..

أين الإختلافات العشرة إذن !!؟

السريـر لم يعد موجودًا .. واحد ، المرأة تحطمت ... اثنان ، المصباح تحطم ..

ثلاثة ، خزانة الملابس تحولت إلى شظايا .. أربعة ، الرأس في ركن الغرفة .. لم

يكن مكانه هناك .. خمسة ، عظيم لقد اقترب .. الدماء في كل مكان ... ستة ،

ماذا أيضًا !!؟ ... آه .. الورقة الممزقة .. سبعة ، و الشمعة السوداء .. ثمانية ، و

المفتاح .. تسـ ...

المفتاح !!!

المفتاح !!... المفتاح !!... المفتاح !!..

لقد أغلقت الغرفة من الداخل ، كما قالت الأخت ، فأين المفتاح إذن !؟

و قذف بجسده تجاه المنضدة ، التي تحمل على سطحها بقايا الحطام ، في تلك

الأكياس البلاستيكية ، ليبدأ في فحصها بلهفة أفقدته صوابه ..

«وجدتها ..!!»

هتف بها الطبيب الشاب بغتة ، و قد التمعت عيناه بنظرة عجيبة ، أرغمته على

التحديق فيه بدهشة ، و الطبيب الشاب يواصل ، موجهاً حديثه إلى الفراغ :

الجروح القطعية في باطن كفيها لم تكن جروح دفاعية .. هي أحدثتها بنفسها ..

هي أسالت دمائها على الورقة ..

ثم وجه كلامه إليه فجأة ، متسائلًا بلهفة مجنونة :

أين مشرطك !؟... ناولني إياه حالاً .. لا .. لا داعي .. ثمة واحد معي ..

ها هو ..

و أخرج المشرط من جيبه .. حدق فيه لحظة على ضوء الشمعة ..

ثم - و بلا تردد - شق باطن كفه ، لتسيل منه الدماء على الورقة ..
« هراء .. هراء .. كل هذا هراء .. لا توجد جريمة كاملة »
صرخ هو بهذه العبارة بمزيج من الإنتصار و العصبية و الشعور بالخلاص ، ثم تابع :

دعك من هراءك هذا .. إنها ليست جريمة غرفة مغلقة ، فالضحية لم تغلق الباب على نفسها من الداخل .. المفتاح لم يكن معها .. ليس موجوداً ضمن البقايا .. كل هذا كان بلا طائل ..
فاجأه ذلك الصمت الذي أجاب به الطبيب الشاب ، و تلك النظرة العجيبة في عينيه ..

أجب يا هذا .. لقد انتهى الأمر ..
كررها و أخذ يحدث في الطبيب الشاب الذي همس فجأة :
لقد .. فهمت .. مافي الورقة .. لقد أخطأت هي .. و نحن كررنا الخطأ .. يائنا من حمقى .. لقد استحضرننا ...
صرخ هو بعصبية :

انس هذه الورقة .. لقد انتهى كل شيء .. لقد ..
لكنه تر عبارته ، ليطلق شهقة فزع هائلة ، حينطار رأس الطبيب الشاب بغتة ليسقط في ركن الغرفة !!!
و للحظة ظل الجسد واقفاً بلا رأس ، ثم هوى دفعة واحدة لتدوي الطرقات ...
طرقات بدت و كأنها لآلاف المطارق ، تهوي على كل شيء في المشرحة محيلة إياه إلى حطام متناثر ..
و أمام عيناه الجاحظتان بهلع ، أخذ كل شيء في الغرفة يتطاير و يتحطم و ..
و سقط المفتاح و سطر الحطام المتناثر تحت قدميه ..
و فهم كل شيء ..
فهم في تلك الثانية قبل أن يطير رأسه من على جسده ..
في الغرفة المغلقة !!

.....



الذي حدث هناك ..



- «هل لى أن أفهم ما الذى يحدث بالضبط ١٥.»
قالها، ثم دارت عيناه فى الوجوه المحيطة، علّه يستشف إجابة منها دون جدوى ..
- و اقترب منه هذا القصير، قائلاً بلهجة محايدة:
- عذراً لإستدعائك العاجل يا سيدى .. ولكن ثمة ما أود عرضه عليك ..
زاده قوله هذا توتراً فعاد يتسائل:
- ماذا بالضبط .. ١٥..
- لست أظن الموقف قابلاً للشرح .. من الأفضل أن تراه بنفسك ..
و اجتاز بضعة ممرات، منحته إضاءة النيون الشاحبة، جواً ثقيلاً، شعر به يجثم على نفسه و يخنق أفكاره المخدرة بآثار النوم الذى انتزعوه منه بذلك الاستدعاء العجيب ..
- « نرجو حضور سيادتك على الفور .. الأمر عاجل و غير قابل للتأجيل ..»
ترى ما هو هذا الأمر العاجل الذى استدعوه من أجله .. ١٥..
- و ألقى نظرة أخرى، على ملامح القصير الذى سار إلى جواره صامتاً، فى محاولة أخرى لإستشفاف طبيعة الموقف، وأدها جمود ملامح القصير المستفز ..
و أخيراً بلغا قاعة عرض الفيديو، و ما أن دلفا إليها حتى أغلق القصير الباب خلفه بإحكام، ثم التفت إليه ليحدد فى عينيه بضراوة قائلاً:
- لقد منحت الأمر سرية مطلقة حتى تطلع عله بنفسك .. إنه يتعلق بالمركبة الفضائية (إس-32) التى أطلقناها الأسبوع الماضى فى مهمتها الاستكشافية ..
اصطبغ صوت المسئول بالتوجس و هو يقول:
- ما الذى حدث لها؟
منحه مساعده القصير نظرة صامته أذابت أعصابه، ثم واصل و كأنه لم يسمع سؤاله:
- التسجيلات التى ستشهداها الآن من داخل المركبة (إس-32) و لقد أخذنا فى تلقيها بعد ثلاثة أيام من إطلاق الملاكبة ..
و بدون أن ينتظر رده قام بتشغيل جهاز العرض
و على الشاشة المسطحة ، و أمام عيني المسئول ، أطل وجه شاب واضح القسمات، قصير الشعر، خرج صوته قوى النبرات على نحو يوحى بالثقة و هو يقول:
- هنا المركبة (إس-32) .. البث الأول .. الوضع مستقر و جميع الأجهزة تعمل بكفاءة .. السرعة تبلغ ثلثى سرعة الضوء و فى المسار الصحيح .. أجهزة الضغط و توليد الأكسجين تعمل بكفاءة .. سأقوم بإرسال البث الدورى الثانى بعد أربع و عشرين ساعة بالتوقيت الأرضى

قائها، و بدا كمن يمنح الكاميرا ابتسامه بلا معنى، ثم أظلمت الشاشة، و همّ
المستول بقول شيء ما عندما سطع ضوء الشاشة مرة أخرى فى عينيه حاملاً
الوجه الشاب بملامحه الثابتة، و الذى انبعث صوته مرة أخرى يقول:
- هنا المركبة (إس-32) .. البث الثانى .. مازال الوضع ثابتاً .. الفحص الدورى
للأجهزة يؤكد أن كل شيء على ما يرام .. فقط يبدو أن هناك خللاً ما فى
أجهزة ضخ الأكسجين، فهى تضخ الأكسجين أقل من المعتاد .. لست متأكداً ..
سأقوم بمراجعة جهاز الضغط و التأكد من هذا .. ما زلت أنطلق بسرعة ثابتة
وفقاً للقصور الذاتى ..

البث القادم سيكون بعد أربع و عشرين ساعة بالتوقيت الأرضى ..
و مرة أخرى الإبتسامه غير ذات المعنى، ثم أظلمت الشاشة ، و إذ سطعت
الشاشة مرة أخرى، كانت تحمل تفاصيل أكثر وضوحاً لأجهزة المركبة الداخلية،
و للشاب الذى وقف وسطها ليقول و قد نحت القلق تفاصيل جديدة فى قسماته
الواضحة:

- المركبة (إس-32) .. البث الثالث .. يبدو أن هناك خطأ ما .. لقد تأكدت من
جميع أجهزة ضخ الأكسجين و جهاز إعادة تحويل ثانى أكسيد الكربون إلى
و كلها تعمل بكفاءة و لكننى ما زلت أشعر أن الأكسجين أقل .. بالطبع سنستبعد
احتمال التسرب، و هذا يترك لى احتمالاً .. حسناً إنه ليس احتمالاً ..
و صمت الشاب لحظه بدا فيها حائراً فيما يقول ثم اقترب بوجهه ليملاً به
الشاشة أمام عيني المستول مردداً:

- الأمر يبدو كأنه هناك من يتنفس معى داخل المركبة ..!! .. لست أدرى ..
على كل حال البث القادم سيأتى فى موعده المعتاد ...
و هذه المرة اجتهد لينتزع ابتسامته المعتادة ثم أظلمت الشاشة مجدداً ..!!
و على الفور قال المستول و الخدر يغلف أعصابه أكثر و أكثر:
- ما الذى يعنيه بوجود من يتنفس معى داخل المركبة ..!!
أليس وحيداً داخل المركبة ..!!

- تابع يا سيدى .. تابع ..
و سطعت الشاشة مرة أخرى ، و انفجر معها صوت الشاب مخترقاً أعصاب
المستول، و هو يهتف و الإنفعال يصنع تموجات عنيفة فى ملامحه:
- هنا المركبة (إس-32) .. أعرف أن ما سأقوله سيبدو مجنوناً ، لكننى لست
وحيداً فى هذه المركبة ..!!

نعم، لست وحيداً ، هناك من يتنفس داخل المركبة ..!!
يتنفس و أنا أسمع بوضوح .. أسمع صوت تنفسه الثقيل طيلة الوقت .. إنه
يستهلك الأكسجين بضراوة دون أن يخرج منه ثانى أكسيد الكربون ؛ ليتم إعادة
ضخه فى صورة أكسجين .. أشعر أننى أتتنفس بصعوبة .. ربما أنا الذى يهذى ..
ربما هى الرحلة التى أثرت علىّ .. حقاً أتمنى لو أننى أهذى ..





و هذه المرة لم يلق بابتسامته قبل أن تظلم الشاشة ..
وهذه المرة تملك رجفة عجيبة جسد المسئول ، واتسعت عيناه فى مزيج من
اللمهنة و القلق منتظرًا سطوع الشاشة مرة أخرى ..
وفى أعماقه بدأ شعور دفين بالخوف يشق طريقه إلى سطح أفكاره .. أفكاره
التي استحال الخدر حولها الى طبقة كثيفة من الضباب و ...
وسطعت الشاشة مجددًا ..

وزحف الخوف بسرعة جنونية من قبره ، إلى سطح أفكار المسئول ، الذى حدّق
بعينين زائفتين فى الشاب الذى جلس على أرض المركبة ضامًا ركبتيه إلى صدره
وكانما يذوذ بهما من خطر مجهول ..
وتحدث الشاب .. بشحوب وجهه تحدث ..
بالإرتعاده فى صوته تحدث :

- إنه .. هنا .. هنا معي فى المركبة .. صدقوا هذا أو لا تصدقوه ، فلم أعد
أبالي .. لقد فقدت تحكمي فى المركبة .. تغير مسارها وهى تتجه الآن إلى
المجهول ذاته .. لست أدرى كم تبقى لي من أكسجين .. ولم يعد هذا يصنع فارقًا
على أية حال .. فقط أتمنى أن ينتهى كل هذا سريعًا ..
وأظلمت الشاشة ..
هيستريا !!

هذا الوغد الذى يلعب بأعصابه الآن ، من على بعد آلاف الأميال ، مصاب
بالهستريا ..

لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ..

أم .. أم أن هناك شخص آخر حقًا !!؟

واقترح صوت مساعده القصير، الحيادي النبرة ، أفكاره قائلاً :

انقطع الإتصال بعد ذلك لمدة ثلاثة أيام .. ثم .. ثم جاءنا هذا البث ..

ومع سطوع الشاشة مرة أخرى ، ظهر الهول ..!

وانتفض جسد المسئول و الخدر يتلاشى فجأة تاركًا كل أفكاره تحت رحمة
الخوف ..

فأمامه ظهر الشاب و هو يحاول أن يمسك بأي شيء أمامه ليحافظ على اتزانه
و على وجهه تبدت أفسى علامات الهلع ..

ترى هل كان يصرخ !!؟

أما المركبة نفسها فكانت تهتز لأغرب سبب ممكن .. وربما أكثر الأسباب إفزاعًا
على الإطلاق .. لقد كانت هناك طرقات عنيفة على جدران المركبة الخارجية ..

تمامًا وكانما اجتمع مجموعة صبية مشاكسين على سيارة صغيرة ليوسعوها
طرقيًا وركلاً ، مع فارق بسيط مخيف ..

أنها ليست سيارة .. بل مركبة فضاء ..!!

وأنهم ليسوا صبية .. فهم على الأقل فى الفضاء الخارجى الآن ..!!

وأظلمت الشاشة بغتة فشعر المسئول و كأنما فقد القدرة على التنفس ..
وانتزع كلمة واحدة من حلقه و كأنما ينتزع حرية من صدره :
- ريباااااا..

ويدا صوت مساعده الحيادي كأنما يأتي من بعيد ، إذ قال:
- الآن سنشاهد آخر بث وصلنا من المركبة .. تماسك ..
و سطعت الشاشة مجدداً، ليبدو رذاذ دم على سطح الكاميرا، حدق فيه المسئول
بفزع تضاعف مع ظهور وجه الشاب هذه المرة ..
ظهر وجهه ببطء .. من أسفل لأعلى ليملاء الشاشة .. عينان جاحظتان يرقص
الرعب في حدقتيهما .. جاحظتان بصورة غير طبيعية .. و خيوط الدم تسيل
من فتحتى الأنف و الأذنين ..
و خرخ صوته هذه المرمة مختقاً مخيفاً .. فى حياته لن ينسى المسئول هذا
الصوت الذي قال :

- ال..ضعف..ط..إ..نه..يتلاش..هو..فعلها!!!
و انفجر الدم بغتة ليغطى الشاشة كلها و ليرتد معها جسد المسئول إلى الخلف ،
كأنه الدم انفجر في وجهه هو ..
و عندما نطق أخيراً كان ما فعله أشبه بالصراخ:

- لقد مات .. هذا الشاب .. كيف؟ كيف حدث هذا ؟! .. و من الذي قام
بإختبار أجهزة المركبة قبل أن تتطلق ..؟! و ما الذى حدث هناك ..؟!
أدار له مساعده القصير وجهاً صبغه الضوء القادم من الشاشة باللون الأحمر
ليقول:

- سيدى .. أخشى أن هذه المشكلة ليست الأساسية ..
صرخ المسئول بغضب ارتجفت له حروفه:
- ما هى المشكلة إذن..؟!؟

اختفت النبرة الحيادية من صوت مساعده و هو يقول أخيراً :
- المشكلة أن المركبة (إس-32) أرسلت لمهمة استكشافية بحتة .. و قيادتها تتم
بواسطة الكمبيوتر، بصورة أوضح نحن لم نرسل أحد داخل هذه المركبة، نحن لا
نعرف من هذا الشاب و كيف بلغ المركبة .. لقد أرسلناها خاوية ..
خاوية تماماً ..!!!
و على الشاشة ..

بدا و كأن وجه الشاب الذى غطاه الدماء يبتسم ابتسامه بلا معنى ..





الغرفة في نهاية الممر

يقول السيد (كريم) :
« تريد قصة مخيفة ؟ ... حسن ، سأحكي لك واحدة »



« هذه الأوراق عثروا عليها بعد أن انتشلوا أحد الغواصات البريطانية التي غرقت إبان الحرب العالمية الثانية ، كتبها أحد من كانوا داخل الغواصة ، و لم يقرأها أحد إلا بعد الحادث بسنوات طويلة ، لكنهم لم ينشروا هذه الأوراق قط ، و السبب ستعرفه حالاً .. »
بهذه الكلمات بدأ السيد (كريم) حكاياته ، فبادلته الإبتسامة الهادئة ، لأقول :
لقد جذبت اهتمامي ، لكنني أشك أنك ستثير خوفي ..
لندع القصة تجيب عليك إذن ..
ثم إنه أخرج ملفاً قديماً مهترئاً من حقيبته التي يحمل فيها حياته كلها ، و فتحه على المائدة بيننا و بدأ يقرأ ..



سألخص كل شيء في هذا التقرير ، فلا داع للإطالة ، إذ أنني لا أعتقد أن أحداً سيقراً هذه الأوراق على أية حال ، لكنها العادة التي تدفعني للكتابة ، و حين تقترب نهايتك ستعرف قيمة عادتك القديمة .. صدقني ..
أنا الرقيب (جوناثان رايتز) .. لا أعرف تاريخ اليوم و لا يهمني أن أعرفه ، فلا فائدة لهذا هاهنا .. تلك الرفاهيات لم يعد لها وجود على متن الغواصة (U-78) .. معي هنا في قمرة القيادة كل من (كارل هانسن) و (ويليام سلانج) ، وكلاهما يحمل ذات الرتبة ، و ذات الوعد بالموت خلال يومان أو ثلاثة على الأكثر .. فنحن الثلاثة أيها السادة ، آخر من تبقى على قيد الحياة على متن الغواصة (U-78) !
القصة سهلة و لا تحتاج إلا لقليل من الإستنتاج ، غواصة ألمانية اعترضت طريقنا ، و أطلقت طوربيدها تجاهنا ، قبل أن تتمكن من الإبتعاد ما فيه الكفاية ، و الباقي لا يحتاج للإستنتاج بل للخيال .. أنت تسمع صرخة أحدهم يهتف أن طوربيدًا ظهر على الرادار و يتجه نحونا بسرعة ، لتجد أن خلية النحل التي تدير الغواصة قد أصابها الخبال .. الكل يصرخ .. الكل يجري .. الكل يضغط على أي زر يجده .. ضوضاء تملو بانتظام مخيف .. تمتزج أصوات

الآلات بصراخ الرجال بصلوات الجميع في سيمفونية هائلة الإيقاع ، ثم يرتطم الطوربيد بجسم الغواصة ، لترتج روحك ذاتها في جسدك .. و فجأة تخمد كل الأصوات ..

ما يحدث بعد ذلك لن يجدي معه أي خيال .. أنت لم تر مشهد المياه و هي تتدفق داخل غواصة موشكة على الفرق ، و لو رأيته لمت هلعاً قبل أن تموت غرقاً ، و أنا لم أره لكنني سمعت صرخات من رأوه في القسم السفلي من الغواصة ، إذ تدفق الموت عليهم بلا حساب ..

كنت حينها في قمرة القيادة ، لكن الصرخات كانت تدوي من حولي كأن جدران القمرة هي التي تصرخ ، و لم تتوقف الصرخات إلا حين هلك آخر من في الأسفل ، بينما كنا نحن نعمل على عزل الأقسام الغارقة بمن فيها لننقذ ما يمكن إنقاذه .. لكن بعد فوات الأوان ..

المياه كانت تتسرب ببطء من الأسفل إلى الأعلى ، و الأسوأ أن الغواصة بدأت أبطأ رحلة غرق عرفها تاريخ البحرية .. إنها اللحظة التي يكتشف فيها الناجون ، أن من غرقوا في الأسفل كانوا أسعد حظاً منا بكثير ، والناجون كانوا قلة بالمناسبة ..

صحيح أن الغواصة ارتطمت بالصخور لتتوقف عن رحلتها المخيفة إلى القاع ، لكننا و إذ بدأنا نحصي الخسائر ، انتبهنا إلى حقيقة موقفنا الجديد .. نحن لن نتمكن من الصعود ، و لا نملك وسيلة اتصال صالحة بالعالم الخارجي ، و المصير الوحيد الذي ينتظرنا هو الموت جوعاً في قلب المحيط البارد المظلم .. لا بد أن الذين غرقوا في الأسفل يخرجون السنثم لنا الآن !

و هكذا بدأ الناجون في التناقص .. و مع تسرب المياه المستمر ، لم يتبق في الغواصة مكان شبه جاف إلا قمرة القيادة و الغرفة في نهاية الممر حيث نقلنا جثث الذين هلكوا برداً و جوعاً و يأساً ..

يتناقص الناجون .. أكثر .. فأكثر .. على سطح الأرض يتركون زوجاتهم و أطفالهم و أصدقاءهم و ذكرياتهم ، ليموتوا هم في قلب المحيط ، في غرفة في نهاية الممر في الغواصة (U-78) ..

و الآن أنا أجلس ما ريفيقي ، لا نجد ما نفعله سوى أن نرمق الغرفة في نهاية الممر ، متسائلين أين سيدخلها أولاً ، و الإجابة لم تعد تشكل فارقا .. الأخير الذي سيبقى فينا لن نجد من ينقله ..

على كل حال ، أنا لا أكتب لأحكي لكم هذا كله .. أي تقرير سيكتبه السادة المسؤولين الذين تركونا نهلك هنا سيفي بالغرض ، إنني أكتب ما أكتبه لأحكي لكم عن الصوت الذي جاء من الغرفة في نهاية الممر !

لقد بدأ الأمر في اليوم السابق ، حين كنت أشترك مع (كارل) و (ويليام) في آخر لفاضة تبغ عثرنا عليها ، و أنا لست من هواة التدخين ، لكن من الحمافة أن أخشى على صحتي في موقفي هذا .. أذكر أن (كارل) حاول تزجية الوقت بأن



الظلام حوله بصورة عجيبة ، قبل أن يجذب جسده لداخل الغرفة بسرعة لا تصدق .. شيء ما داخل الغرفة جذبه !
لم يجد (كارل) الوقت ليصرخ .. ولم أسمع صوت (كارل) ولم أراه بعد هذه اللحظة قط ..
ناديت (كارل) بتخاذل ، لكنه لم يجب .. أنا أعرف أنه لم يعد على قيد الحياة ليجيب ..
و مرت دقائق من الصمت الثقيل ، ثم قال (ويليام) :
ما الذي حدث ؟
لا أعرف ..
هل نذهب لنرى ؟
اذهب أنت .. أنا لن أبارح مكاني مهما كان السبب ..
كان الهلع يشل قدرتنا على التفكير ، وقبل أن نجد الوقت لنستجمع أنفسنا ،
كان الصوت الماجن القاسي المخيف يقول :
- ويليام!!!!!! إنه دورك ..
شهق (ويليام) بذهول و انتفضت أنا بخوف .. إنه دور (ويليام) ، و بعده يأتي دوري ..
لكن (ويليام) صرخ بعصبية :
تعال و خذني أيها الحقير ..
أجابه الصوت في الغرفة في نهاية المر :
كف عن العبث يا (ويليام) أنا و أنت نعرف الحقيقة ..
تسلل الإرتباك إلى صوت (ويليام) :
ما .. ما الذي تقصده ؟
لقد خدعوك .. الألمان عرفوا منك كل شيء عن الغواصة و مسارها ، ثم هاجموها و أنت داخلها .. كان يجب أن تتوقع هذا ..
أنت تكذب !!
حقاً ؟ .. (فرانز دايشتن) .. أليس هذا اسم ضابط الإتصال الذي بعته الأسرار ؟ .. لماذا لا تأت هنا يا (ويليام) ؟ .. سنتحدث قليلاً ..
و سنمرح كثيراً ..
و جلجلت الضحكة لترتج الغواصة كلها ..
أما أنا فكنت في حالة صدمة كاملة ..
(ويليام) جاسوس للألمان !! .. كل ما نحن فيه الآن و كل الذي هلكوا ، و ذلك المصير المخيف الذي يواجهنا .. كل هذا لأن (ويليام) خائن حقير !! .. لحسن حظه أنني لا أملك سلاحاً أو قدرة على القتال .. لكنه لو مات الآن سأتمكن من استغلال وسيلة الهرب الأخيرة ..
و أمام نظرة الإتهام التي سددها له ، قال (ويليام) :

- إنه يكذب .. لا تصدقه ..
 - أنت .. خائن !!
 - إنه يريد خداعك .. حتى لو كنت خائناً ، فمن هو ١٩ و ما الذي يريد منا ١٩ ؟
 كنت أعرف أنه محق في هذه النقطة على الأقل ، لذا قلت :
 ما الذي سنفعله إذن ١٩ ؟
 أجابني (ويليام) هامساً :
 يجب أن نعرف من هو هذا الشخص أو الشيء .. ونقتله ..
 كيف ١٩ .. هل سنذهب إليه ١٩ ؟
 إنني لا أجرؤ على فعل هذا .. لكنني سأحاول أن أخدعه ..
 وهكذا رفع (ويليام) عقيرته صائحاً :
 - لماذا لا تعيد إلينا (كارل) أولاً ؟ .. بعدها يمكننا التحدث ..
 أقسم أنني لم أعرف المعنى الحقيقي للكلمة (جدل) إلا حين سمعت الصوت في
 الغرفة في نهاية الممر ، يقول :
 تريدان (كارل) .. لا بأس .. سأرسل لكما (كارل) ..
 و أرسل إلينا (كارل) ..
 و لم نتمالك أنفسنا من الصراخ هلعاً مما رأيناه ...



كان الظلام يغلف ما أمام الغرفة في نهاية الممر ، لكننا رأينا (كارل) ..
 و لم نتمالك أنفسنا فصرخنا مما رأيناه !
 لا أعرف كيف أصف المشهد ، لكنني سأحاول تقريب الصورة لذهنك .. تخيل
 جثة رجل تسير تجاهك بحركة ميكانيكية بطيئة مخيفة .. تخيل أن هناك شيء
 ما يتحرك أسفل جلد هذه الجثة كأنه سائل يغلي .. تخيل أن الرأس يسقط
 على الصدر بزاوية ذات دلالة .. تخيل أن هذه الجثة كانت صديقك منذ دقائق
 معدودة الذي يتناوب معك على لفافة التبغ الأخيرة ..
 تخيل أن الصوت الرهيب الماجن ، كان يصدر من أعماق جثة (كارل) ليقول :
 - ها أنذا قادم إليكما .. انتظراني .. هي هي هي ..
 ثم الضحكة الماجنة التي لم يكذب (ويليام) يسمعها حتى انتفض ، ليصرخ :
 إنه هو ...
 لم أجرؤ على إصدار أي صوت أزد به عليه ، و لم ينتظر هو رداً ..
 بل اندفع إلى باب قمرة القيادة ، ليغلقه في وجه الهول المتجه نحونا ، و كانت
 تلك هي اللحظة التي اتخذت فيها قراري ..

إما الآن أو لا للأبد .. وهكذا اندفعت خلف (ويليام) لأضربه على مؤخرة رأسه بكل ما أوتيت من قوة ، ليسقط خارج قمرة القيادة و هو يصرخ بألم مستنكر ..

لكني لم أضع الفرصة بل دفعته بقدمي بغلظة ، وأغلقت باب القمرة عليّ من الداخل ..

قبل أن يتهمني أحد بالخسة ، أذكركم أن (ويليام) جاسوس خائن ، بسببه هلك جميع من كانوا في الغواصة (U-78) .. جميعهم عدا (كارل) بالطبع ! بالطبع كنت ألهث لفرط الإنفعال ، بينما بدأ (ويليام) يطرق على باب القمرة بهستيريا من الخارج ، و هو يصرخ :

(جوناثان! ان) ..

ما الذي تفعله أيها الأحمق !!

لكني لم أجبه .. و الآن يأتي دور وسيلة الهرب الأخيرة من هذا الجحيم .. (جوناثان) افتح ..

أرجووووك !

أنا أعرف أن هناك منفذ عبر قمرة القيادة ، إلا غرفة سرية تحتوي على كبسولة لشخص واحد ، يمكنها أن تنقلني إلى السطح ..

هذا السر هو أخطر أسرار الغواصة (U-78) على الإطلاق ، و أنا أعرفه لأنني كنت أهوى العبث في أوراق الجنرال قائد الغواصة بانتظام ..

(جوناثان) ...

إنه قادم نحوي ..

أسرع و افتح الباب ..

طيلة الوقت و أنا أعرف هذا السر ، لكنني لم أجرؤ على استخدامه في وجود آخرين ، على استعداد تام لقتلي ليخرجوا هم من الغواصة ، لذا كان عليّ أن أنتظر حتى اللحظة التي أصبح فيها بمفردي ..

(جوناثان) ..

إنه ..

ثم دوت صرخة (ويليام) هائلة مريعة ، حتى أنني ظننت أنها ستقتلع باب القمرة ، و سمعت بعدها صوت عظام تتهشم بوحشية ، ثم توقف (ويليام) عن الصراخ .. و عن الوجود !!

أنا أعرف أن هناك منفذ ..

لكن أين هو بالضبط !؟

جوناثان!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! ان ..

لم يعد هناك سوانا ..

يقولها الصوت المخيف ، فأشعر ببرودة عجيبة تغمرني .. لقد حان دوري ..

لكن لا .. سأعثر على المنفذ الآن ، و سأخرج من هنا ..



و هكذا بدأت رحلة بحثي في قمرة القيادة ، و الصوت يواصل :
- جوناثا!!!!!!!!!!!!!! ان .. افتح الباب .. سأريك شيئاً سيروق لك حقاً ..
ثم دوت أول ضربة على باب القمرة المعدني ، فقزت متراجعاً بفزع ..
لقد انبجع الباب المعدني السميك لشدة الضربة .. لا يوجد بشري قادر على
تسديد مثل هذه الضربة للباب !

ضربة أخرى وينهار الباب ..
لذا أخذت أبحث كالمجنون بلا أمل حقيقي في النجاة ..
- جوناثا!!!!!!!!!!!!!! ان .. لا تحاول الهرب .. أنت آخر من أحتاحه بعدها يمكنني
العودة ..

ضربة أخرى على الباب المسكين ، كاد ينخلع لها قلبي ، بينما انبجع الباب أكثر ..
إنها الضربة القادمة إذن ، لذا قررت أن أجاريه لأكسب بعض الوقت ، فصحت :
تحتاجني في ماذا ؟!
لأتغذى يا جوناثا!! ان ..

إنني أحتاج للغذاء كما تعلم لأتمكن من الإستمرار ..
لا تهرب لأنك لو هربت سأتبعك إلى السطح ، وربما ذهبت بعدها إلى اليابسة ،
و صدقتي .. أنت لا تريد لمن هم مثلي أن يصلوا إلى اليابسة .. يمكنني حينها أن
أذهب لوالدتك المريضة في مستشفى (كامبريدج) ، لأخبرها أنك لم تكن ولدًا
مهدبًا يا جوناثا!! ان ..

هنا توقفت عن البحث و قد استبدت بي حالة عجيبة لا أعرف كيف أصفها
بالضبط ..

هذا الشيء القادم من أعماق المحيط ، حيث تختفي درجات اللون و يسود
السواد ، ليتغذى على جثثنا ، و لن يتوقف أمام أي عائق .. هذا الشيء كان
ينتظر طويلاً ، و ها هي فرصته ..
ضحكة ماجنة مريعة ، ثم ضربة أخرى على الباب الذي لا أصدق أنه احتمل
هذا كله ..
إنه على حق ..

لا يجب أن يصل مثل هذا الكيان إلى اليابسة .. لا أعرف ما هو و لا أريد ان
أعرف ، لكنني واثق من أنه يجب منعه من الوصول لليابسة ..
لذا اتجهت إلى تلك الخزانة المعدنية الضخمة ، و بدأت أدفعها تجاه الباب
لأدعمه .. هذا لن يحل المشكلة لكنه سيمنحني الوقت اللازم .. و الآن عليّ أن
أستعيد تركيزي لأبدأ في العمل على لوحة القيادة ..
تحمل الفواصة (U-78) ست طوربيدات لم تتمكن من إطلاقها .. ست
طوربيدات قادة على إغراقنا و إنهاء حياتي و حياة ذلك الشيء الذي جاء إلينا
من الغرفة في نهاية الممر ..!
نعم .. هذا هو الحل الوحيد .. المهم أن أنفذها كما يجب .. لن أرهقك



بالتفاصيل ، لكن المطلوب ببساطة هو أن أطلق الطوربيدات بينما الكوة التي
تخرج منها مغلقة، حينئذ ستفجر في الداخل .. التنفيذ ليس بهذه البساطة ،
لكنني سأحاول ..
لكنني و إن كنت سأغرق الغواصة (U-78) فيجب علي أن أكتب السبب عليهم
يعثرون على البقايا ذات يوم من الأيام ، حينها سيعرفون ما الذي حدث بالضبط
.. و هذا ما أفعله الآن ..
أحكي لكم حقيقة ما حدث ، بينما الضربات تهال على باب القمرة ، تخالطها
الضحكة الماجنة الشيطانية التي يبدو أنها ستكون آخر ما أسمعه في
هذه الدنيا ..
أنا (جوناثان رايتز) و هذه هي لحظة النهاية .. الباب ينهار أخيرًا بينما يدي
معلقة على مفتاح إطلاق الطوربيدات و الآن أرى هذا الشيء على حقيقته أخيرًا
و .. و ..
.....



« هذه هي نهاية الأوراق .. »
يقولها السيد (كريم) لأخرج - بصعوبة - من حالة الذهول ، لأقول :
قصة عجيبة حقًا .. لكنها صعبة التصديق ..
يبتسم السيد (كريم) و يقول :
أنت على حق .. إنها صعبة التصديق ، لكن (جوناثان) كتب هذه الأوراق ، و
وضعها في صندوق خاص في الغواصة ليضمن أنها لن تتلف ، و أن أحدهم
سيعثر عليها في يوم من الأيام ..
ربما كانت هلاوس رجل يموت وحيدًا في غواصة غارقة ..
ربما و لكن ..
و تتسع ابتسامة السيد (كريم) أكثر :
- لكنهم حين انتشلوا بقايا الغواصة (U-78) لاحظوا شيئًا غريبًا .. الغواصة
لم تحتو على أي جثة من جثث الرجال الذي غرقوا داخلها .. ربما كانت
الأسماك .. لكن .. أي أسماك هذه التي لا تترك حتى العظام خلفها ؟!
وصمت ، فصمت أنا أيضًا أقلب الأمر كله في رأسي .. و لسبب ما شعرت
بالقشعريرة تغمرنني ..
و في النهاية قلت :
- على كل حال تبدو قصة لا بأس بها .. لكنني أتوقع المزيد ..
تراخي السيد (كريم) في مقعده الوثير ، و شبك أصابعه على صدره ليقول

بهدوء :
ستحصل على المزيد و لكن .. في المرة القادمة ..





الشيء في الأعماق

يقول السيد «كريم»:
اليوم سأحكي لك قصة « الشيء في الأعماق».. تلك القصة التي عثرت عليها
في مذكرات القبطان «ديريك ويليامز»..



لن يعرف أحد حقيقة ما حدث على السفينة «برايت نايت»، بل لن يعرف أحد ما
حدث أصلاً إلا عبر هذه الأوراق، لذا أرجوكم التركيز والانتباه..
اسمي هو «ديريك ويليامز»، ولست هنا لأكتب مذكراتي، بل لأقص عليك ما
حدث ويحدث وجزءاً مما سيحدث.. لست هنا لأحدث عن نفسي لذا لا تتوقع
سخفًا على غرار «مر اليوم بلا أحداث» أو «كنت أشعر بالوحدة لذا ألقيت
بنفسي لأسماك القرش».. أنا أكره كتابة المذكرات ولا أجد لها ضرورة إلا لو قتل
صاحبها..

حينها سيأتي محقق متحذلق ليقراً عشرات الصفحات من المادة الخام للسخف،
قبل أن يعلن أنها لا تدل على القاتل..

ثمة هوس عجيب للمحققين عندنا أن يقرءوا مذكرات من يقتلون.. كأنه يتوقع
أن يكتب أحدهم «بعد يومين سيقتلني ويليامز.. أرجو أن تقبضوا عليه!»..
المهم.. نحن الآن على بعد عشرة أميال من شواطئ إفريقيا..
لقد نفذنا مهمتنا بنجاح، لكننا دفعنا ثمن هذا النجاح باهظًا إذ سقط منا خمسة
رجال، والأسوأ أن جثثهم لم تعد تصلح لنقلها أو دفنها حتى.. لمن لا يعرف أي
شيء عن الموضوع، سأشرح أكثر..

منذ أسبوعين استأجرتني اللورد «جون مكارثي» أنا وطاقي مهمة عجيبة حقًا..
منحني خريطة قديمة بالية عليها علامة جمجمة، وأخبرني أنه عند هذه
العلامة يعيش ساحر إفريقي، وعلينا أن نحضره له..

في الأحوال الطبيعية كنت سأرد الرد الذي يليق بمن يريدني أن أبحث عن
ساحر إفريقي له، لكن اللورد «مكارثي» منحني من العملات الذهبية، ما يكفيني
لأجوب بقاع الأرض بحثًا عن قردة حزينة تتحدث الأوردية، لذا جمعت طاقي
وشرحت لهم المهمة بسرعة، ثم أخرست سخريتهم بأن عرضت عليهم كيس
العملات الذهبية، وأخبرتهم أننا سنحصل على المثل لو نفذنا المهمة بنجاح،
هكذا أصبحوا على يقين أن قدرهم أن يعثروا على هذا الساحر الإفريقي..
هكذا تبدأ استعدادات الرحلات الطويلة.. تجهيز السفينة المتهالكة.. تخزين
الطعام والشراب الخالي من الكحول.. توديع الأهل والأصدقاء..
وأخيرًا حفلة الليلة الأخيرة على اليابسة والتي نريق فيها كمًا من النبيذ يكفي
لإشعال روما..

في النهاية تتحرك سفينتي الضخمة «برابت نايت» كمارد خشبي قادر -بمعجزة حقيقية- أن يظل على سطح الماء، وتمر أيام برائحة الملح وطعم الأسماك واللحم المقدد. تريدون اختصارًا أكثر.. حسنا..

بلغنا الشواطئ الإفريقية بعد رحلة شاقة تعرضنا فيها لعاصفة كادت تفرقنا وتضع حدًا لخطايانا، لكننا نجونا لنبدأ رحلة بحث في الغابات الإفريقية اللعينة عن هذا الساحر المخبول..
وهنا يجب أن أمنحكم بعض التفاصيل، فهي مهمة لفهم «ما حدث» وبالتالي «ما يحدث»..

حين بدأنا رحلة البحث كان الليل قد بدأ يخيم بظلاله الكثيرة على تلك الغابة التي التحمت أشجارها وأوراقها لتتحول إلى جحيم أسود يعج بالطين والوحوش والحشرات، وكانت المشاعل في أيدينا لا تثير إلا حاملها، لكننا كنا مسلحين بالبنادق والخناجر، وكانت ذكرى كيس العملات الذهبية تملأ قلوبنا بالعزيمة والشجاعة..

علامة الجمجمة على الخريطة البالية كانت دقيقة لدرجة لم أرها في حياتي على الإطلاق وأنا الذي رأيت مئات الخرائط، لكنني اعتبرت هذا علامة حظ، خاصة وأنا بعد مسيرة ساعات رأينا ذلك القادم مما وراء الأشجار، وبدا الأمر لنا وأن المهمة أوشكت على الانتهاء فأطلقنا مشاعلنا واقتربنا..
لكننا حين اقتربنا من مصدر الضوء لدرجة رؤية ما يحدث وسط الغابة المخيفة، كادت قلوبنا تتوقف هلعًا من هول ما رأيناه..

سأصف لكم المشهد، ثم سأحاول رسمه أسفل الصفحة لأقرب لكم الصورة..
ساحة دائرية حجرية، مضاءة بنيران حمراء ساطعة تخرج من الأرض مباشرة دون حطب يشتعل أو أي شيء قابل للاحتراق، وقرب النيران وقف ذلك الساحر الإفريقي وقد غلفته الظلال ممسكًا بأداة تشبه ريشة التلوين، أخذ يصبغ بها وجه ذلك الرجل الأبيض الواقف أمامه..
لا.. لا.. لم يكن واقفًا.. قدماه لم تمسا الأرض..

لقد كان معلقًا بخازوق خشبي اخترق جسده من أسفل البطن، ونفذ من مؤخرة العنق، ليبقيه معلقًا كالذبيحة.. لكن هذا لم يكن كل شيء..
لقد كان حيًا!!

الرجل الأبيض كان في هذا الوضع وعلى قيد الحياة، بينما الساحر الإفريقي يصبغ وجهه بذلك الطلاء الأحمر العجيب، وهو يحدثه بهدوء هامس، بينما الرجل الأبيض يرد عليها بذات الهمس، كأنهما صديقان قديمان يتناقشان في مسألة ما!

آه.. ولم يكن للرجل الأبيض سوى ساق واحدة، أما الأخرى فقد كانت على بعد أمتار منه وقد انتزعت بطريقة توحى أنها لم تكن جراحية على الإطلاق.. نعم.. هذا هو ما رأيته بالضبط.. في غابة إفريقية وفي الظلام وأسفل وابل من الأمطار

لابد أنه قد أغرق سفينتنا ونحن هنا، نشاهد هذا المشهد الرهيب وتبادل النظرات التي حملت ذات التساؤل..

كيف سيمكننا القبض على هذا الرجل والعودة به للديار؟

وهنا يجب أن أؤكد على نقطة مهمة.. لقد تصرفت بما يمليه علي المنطق السليم وقررت التضحية بالذهب.. أشرت للرجال بأننا سنعود لسفينتنا من دونه، ولأول مرة منذ عملت مع هذا الطاقم، لم أحظ بأي اعتراض..
كنّا فقط نؤد الرحيل -وبسرعة- من هذا المكان.. لكن هذا لم يندرج تحت قائمة «ما حدث»..

ما حدث هو أن «ستيفن» -واحد منّا- خطا بقدمه على صخرة زلقة فسقط على وجهه وقد تعلق يديه بالبندقية ليخرج منها طلق ناري وحيد، تردد دويه كأنفجار هائل في هذه الغابة، ليحدث كل شيء بسرعة بعد هذا.. في لحظة تلاشت النيران العجيبة من وسط الساحة الحجرية، وساد الظلام الكثيب على المكان، ثم دوت صرخة «ستيفن» فجأة..

واسمح لي.. أنت لا تعرف «ستيفن» لذا فلا يمكنك أن تعرف ما الذي يعنيه أن يصرخ «ستيفن»..

لقد احترق ظهره من قبل وكاد قرش تائر أن ينتزع ذراعه، ولم يصرخ في الحاليتين وكأنه يدرك أن الصراخ لا يليق بجسده الضخم، لكنه هذه المرة صرخ كما لم تصرخ امرأة فرنسية فوجئت بالألمان يقتحمون مخدعها مدججين بالسلاح..

صراخ صرخنا نحن حين سمعناه..

قبل أن أتمالك نفسي لأصيح:

تراجعوا إلى السفينة.. احموا أنفسكم بالبنادق.. حاذروا أن تطلقوا في وجوه بعضكم البعض..

وحين انتهيت شعرت بشيء ما يمرّ من جواربي بسرعة هائلة -وأزعم أنني رأيت عينين تضويان في الظلمة لكنني لست واثقاً- ثم دوت صرخة «بيتر»..

ومع صرخة «بيتر» شعرنا بشيء آخر يتناثر في وجوهنا غير مياه الأمطار..

شيء دافئ لزوج له مذاق ملحي مرير.. شيء يسري في عروقنا ونسميه الدماء..

حينها بدأ المهرجان..

الطلقات النارية امتزجت بالعاصفة بالصراخ بزمجرة وحوش الغابة وأخذت الدماء تتناثر كأن السماء تمطر به، وفي النهاية دوى طلق ناري أصاب الهدف المطلوب..

وهذه المرة لم نسمع الصراخ..

فقط هوى جسد الساحر الضخم على الأرض، فتجمعنا حوله لنفرغ بنادقنا في جسده، عاجزين عن الرؤية من فرط الظلمة، قبل أن نتوقف أخيراً ليسود صوت

لهاثنا على الموقف كله..
 وكان «جون» أول من تحدث:
 - فقدنا خمسة رجال..
 - لكنه سقط أخيراً..
 - لكننا فقدنا خمس رجال عليك اللعنة.. لم يكن هذا ضمن الاتفاق..
 هنا أعترف أنني رددت :
 - هكذا سيقسم الذهب على عدد أقل..
 وهنا أعترف أن هذا هدام قليلًا.. وقال أحدهم :
 - هيا بنا إذن..
 لكني قلت:
 - ما هي إلا ساعات قليلة وينبج الفجر.. لننتظره فلن أتحرك في هذا الظلام..
 مرة أخرة لم أحتظّ باعتراض، بل جلسنا على الأرض قرب جثة الساحر الإفريقي
 لأشعر بجسدي يرتعش بشدة، فشكرت السماء على الظلام الذي أخفى هذا عن
 الرجال..
 وفجأة سأل أحد الرجال السؤال المتوقع:
 - ما الذي حدث بالضبط؟!
 فكرت طويل، ثم أجبته:
 - على ضوء الفجر سنعرف.. وسنفهم..



ثم جاء الفجر بعد طول انتظار، ومرت ليلة لم يستطع أحدنا أن ينام فيها ولو
 للحظة..
 وعلى الضوء الوليد بدأنا في رؤية ما حولنا، ورأيت أنا جثة الساحر الإفريقي
 بوضوح لأول مرة..
 ورأيت -رغم أنني أقسم إننا أفرغنا فيه بنادقتنا- أنه كان سليمًا لا يحمل جسده
 خدشًا واحدًا!!
 لم يكن الساحر الإفريقي جثة هامدة كما كان ينبغي له أن يكون..
 بل كان ممددًا على الأرض باسترخاء شديد وهو ينظر لي..
 ويبتسم!!



مكبلاً بالأغلال نقلناه إلى السفينة ..



كان هذا قراري و لم يكن مبالغاً فيه ... حين يفرغ خمس رجال بنادقهم في صدر ساحر افريقي ، ليجدوه في الصباح سليم كالأفاعي بيتسم لهم ساخرًا ، فالقرار الحكيم هو أن تكبله جيدًا بالأغلال قبل أن تنقله إلى أي مكان .. بالطبع طالب الربال في البداية أن نتركه و ننجو بجلودنا ، لكنني ذكرتهم بالذهب و بدم رفاقهم الذي سيضيع هباء ، فعدلوا عن قرارهم و رائحة عدم الرضا تفوح منهم ..

لا أنكر أنني كنت أرتجف هلعًا من فكرة أننا سننقل معنا هذا (الشيء) في سفينتنا ، و سنقضي معه أيامنا في قلب المحيط ، لكنني أخذت أذكر نفسي بالقفص الحديدي الذي أضفته لسفينتي مؤخرًا ، لأحبس فيه كل من يخالف أوامري ، و هي طريقة - و لو وجدتها قاسية - مجدية للغاية مع قطع الرعاع الذي أقوده ... نعم .. هذا القفص سيستضيف ساحرنا اللعين حتى نلقيه في وجه من يطلبه ..

و لو بدر منه أي شيء خلال الرحلة ، فسأدفن باقي ذخيرتي في جسده و ألقيه إلى أسماك القرش ..
لكنني - أعترف - لازلت في أعماقي أرتجف ..
هلعًا ..



كانت حالة من الحزن و التوتر تسدو السفينة حين بدأنا رحلة العودة .. و الواقع أنني كنت أفتقد من هلكوا في الغابة .. طاقم السفينة قطع رعاع حقًا ، لكنني لم أعرف رعاغًا سواهم في الثلاثين سنة الأخيرة من عمري ، و هكذا تجد أن ما يحتفظ به عقلي من ذكريات يتعلق بصورة أو بأخرى بليالينا على هذه السفينة ..

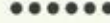
و الآن هاهم يرقدون في قبو السفينة جثثًا هامدة في رحلتهم الأخيرة عبر المحيط تاركين لنا حصصهم من الطعام و الشراب !

نعم .. كقبطان لسفينة يقودها الرعاع يجب أن أفكر بهذه الطريقة ، فالليلة سيحصل من بقى حيًا على ضعف حصته التقليدية من الطعام و الشراب ، و هذا كفيل بتهدئتهم إلى اليوم التالي و حينئذ سأجد شيئًا آخرًا للرفع من حالتهم المنيوية ..

على أية حال هذه المذكرات ليست لحكي خواطري الشخصية ، بل هي لروي ما حدث أيها السادة و مازال أماننا الكثير لنحكيه ..

الواقع أن كل ما حدث حتى هذه اللحظة كان شيئًا أشبه بالنسيم الذي يسبق العاصفة ..

العاصفتين لو أردنا الدقة ..



القبطان الذي لا يشعر بالعاصفة قبل حدوثها لا يستحق سوى أن يرتدي ملابس النساء و الجلوس في دارة جوار إناء الحساء !
لثلاثين سنة أخذت أسمع قصص من هلكوا في البحر لمجرد أنهم لم يعرفوا أن هناك عاصفة قادمة ليتجنبوها ، أو ليستعدوا لها بما يمكن الإستعداد به ..
لكني و على الرغم من هذا أصبت بالهلع حين شعرت بهذه العاصفة القادمة بالذات .. إنها ليست مجرد عاصفة .. إنها الأم الروحية لكل عواصف البحار التي هبت من فجر التاريخ ..
العاصفة التي تبدأ و تكتسب قوتها بسرعة قراءتك لهذه السطور .. العاصفة التي يمتزج فيها البرق بالرعد .. التي ترتفع فيها الأمواج حدًا لم تبلغه الجبال .. التي يصبح طنين الرياح فيها أعلى من صوت صرخاتك ... عاصفة كهذه تستحق الإحترام حقًا ..
عاصفة كهذه عليك أن تتجنبها أو تهلك ..

هنا يأتي عامل الخبرة و انا لا أملك في هذا المحيط سوى خبرتي .. جمعت من تبقى من رجالي و أقيت لهم بعشرات الأوامر عالمٌ أنهم لو نفذوا نصفها فسيكون هناك أمل بالا بيتلعنا المحيط .. ثم اتجهت أنا لأطمئن أنا ضيفنا الإفريقي - الذي أشعر أنه المسئول عن العاصفة بصورة أو بأخرى - سيظل في مكانه حتى نبلغ ديارنا و نحصل على الذهب ..

كنت قد وضعته في قفصي المعدني الضيق في أقدر مكان ممكن في قاع السفينة ، على أمل أن تصيبه كل أمراض البحر كعقاب مخفف له ، لكني حين بلغت في ذلك الركن المظلم الرطب ، رأيته يتمدد داخل القفص بإسترخاء عجيب ، محافظا على ابتسامته المخيفة ..
و كان يأكل !!

بيده الحرة كان يمسك بجثة قرد رمادي ضخمة ، اختفى أكثر من ثلثي رأسه مخلفًا بعض الدماء حول شفتي الساحر الإفريقي !!!!
قبل أن يتساءل أحدكم ، هذا الوغد لا يرتدي سوى مئزر صنع من لحاء الأشجار يستر به عورته ، و فيما عداه يلتمع جسده الأبنوسي على ضوء مصباح الكيروسين الذي أحمله ، معلناً أنه لم يكن هناك مكان يخفي فيه هذا القرد حين حملناه على السفينة ، و أنا أقسم بقبر أمي أنه لم يحمل شيئاً في يده منذ أن كبلناه ، و حتى جئنا به إلى هنا ، و بالطبع أنا أعرف أن سفيني لم يدخلها قرد إلا إذا ..

إلا إذا كان أحد الرعاع من رجالي كان يخفي قردًا على سطح سفينتي دون علمي ..

و هكذا استدرت عائدًا للسطح حين ارتفع الصوت الماجن الرهيب لأول مرة ، و

من يعرف منكم التفاصيل كاملة يدرك أنني لا أملك خيارًا سوى طاعة هذا (الشيء) الذي ينتظر طعم اللحم البشري ، و إلا فمصيري إلقائي في قلب العاصفة لأسماك القرش أو ما هو أسوأ ..

من يعرف منكم التفاصيل يدرك الآن أنني سألقي بواحد من رجالي في جوف ساحر افريقي لعين جلبناه من الغابة إلى حيث سندفع كلنا ثمن هذه المهمة البغيضة .. أنا سأضحى بواحد من رجالي في وقت أحتاج فيه لمن ماتوا سابقًا ، فما بالك بمن بقوا أحياء ..

نعم .. يمكنني بسهولة أن أستدرج (سنكلير) إلى القبو ، لكن كيف سأبرر إختفائه فيما بعد ؟؟

لهذا منحتك العاصفة .. الرجال يفرقون في العواصف لو كنت تذكر .. يقولها الساحر الإفريقي بصوته الماجن المخيف ، فأتذكر أنني لازلت أقف أمامه أفكر ..

هيا أسرع .. لقد اشتقت إلى طعم الرجال البيض حقًا ..

قالها ثم أعقب قوله بإبتسامة كشفت عن أسنان ، لم أرها حتى في فم أسماك القرش .. وفي عينيه التمتع جذل عجيب ..

أما أنا .. فعلى الرغم من الرعب الذي ينمو في عروقي و ينتشر في كل عضلة في جسمي و تفوح رائحته من أنفاسي ، أهز رأسي بإستسلام ..

ثم أذهب لأحضر له (سنكلير) ...



بلهجة لا تخلو من وقاحة أخبرني (سنكلير) :

لا لن أذهب إلى القبو طالما هذا ال .. ال .. الشيء هناك .. ارسل (شين) أو (دوريان) ..

لكنني أجبته بلهجة لا تقبل النقاش :

أنا القبطان على سطح هذه السفينة و أنا الذي يقرر من يفعل ماذا .. لذا اهبط إلى القبو و تأكد من أن قفص هذا الساحر محكم الإغلاق ، فلا أريد أن أجده على سطح معنا لو اشتدت العاصفة ..

لكن ..

صرخت فيه و قد فقدت أعصابي :

اذهب يا (سنكلير) و إلا سأحبسك معه في ذات القفص ..

أقسم أنني سأفعلها ..

هنا لم يجد (سنكلير) أمامه سوى أن يلعني في سره و يتجه إلى القبو ، بينما وقفت أنا على السطح متابعًا إياه بنظراتي ..

و لا أعرف إن كان هذا متعمداً ، لكن في اللحظة التي غاب فيها (سنكلير)
التمتع لسان برق هائل من السماء إلى المحيط ..
ثم ومع دوي الرعد هطلت الأمطار فجأة لتضربنا بلا هوادة ..
الآن أدرك أنني أحتاج لمعجزة كي أتجاوز هذه العاصفة بأربع رجال فحسب ..
الآن أدرك حجم الهوة التي سقطت فيها ..
و الآن أشعر بذات الشعور الذي شعرت به حين هوى رأس (سنكلير) في قبر
ابنته و أنا أقف على عتبه و الدخان يتصاعد من بندقيتي ..
الآن تهمس شفتي لا إرادياً :
وداعاً سنكلير ..



- « سوف تلقي بنا هذه العاصفة اللعينة في قلب الحجيم يا قبطان .. لن ننجو
من كل تلك القذارة حتى لو اجتمعت أرواح البحار الحقيرة لتمد لنا يدها العفنة
بالعون .. »
كان هذا (دوريان القدر) الذي لا تزيد نظافة لسانه عن نظافة جسده ..
لذا أجبته :
سنفعل ما في وسعنا لتجنب العاصفة ... لو استسلمنا سنفرق لا محالة ..
أعرف .. لكن عددنا قليل .. أين ذهب هذا الوغد (سنكلير) ؟؟
أثار تساؤله الإنتباه على سطح السفينة ، فكرر (شين) :
نعم .. أين اختفى (سنكلير) ؟
جاهدت لأبدو متماسكاً امام الرجال ، و قلت :
إنه في القبو ، يتأكد أن ضيفنا سيبقى في مكانه حتى نصل ..
سأهبط إليه لأحضره ..
لكنني صحت بارتياح :
لا .. أنا سأهبط .. نفذوا أنتم ما أمرتكم به ..
و دون أن أمنحهم فرصة للجدال ، استدرت متجهاً الى القبو ..
هذه الليلة لن تنتهي على خير ..
أنا واثق من هذا ..



كل ما أحتاجه هو أن نتجاوز هذه العاصفة و بعدها يمكنني قيادة السفينة
و حدي إلى الشاطئ لو اضطرني الأمر ..
إنني الآن في المرحلة التي يفقد فيها المرء عقله ببطء لكن بثقة .. الرجال في

الأعلى ينتظرون أن أعود لهم بـ (سنكلير) و أنا و أنتم نعرف أن هذا بات
مستحيلاً .. و العاصفة تشتد و تجذبنا نحوها بقبضة لا ترحم ، و الأسوأ من
هذا كله شعور الذنب الحارق الذي يستعر في أعماقي ..
أنا من قدت رجالي إلى رحلة لن يعود منها أحد .. بل إنني من يقودهم للمقصلو
دون أن يعرفوا حتى ..

هياييه .. انظر ماذا صنعت لك ؟

يدوي الصوت الماجن الرهيب في القبو ، فأنتفض و ألقى بنظرة سريعة على
المشهد أمامي لأفرغ معدتي على الفور كأقل رد فعل لما رأيته ..
الدماء تغطي ك شيء .. دماء على الجدران .. على الأرضية .. على السقف
لاتزال لرجة دافئة تتساقط قطراتاً مصدرة صوت (البليك) المقزز .. دماء في
الهواء .. على شفتي الساحر الإفريقي و جسده .. على أسنانه و على شعره ..
على قضبان القفص .. دماء سنكلير على صفحة ذنوبي ..
أعتذر عن الفوضى لكنه قاوم كثيراً .. أنت تعرف كم تكون المقاومة ممتعة .. لقد
مرحنا طويلاً ، لكنني صنعت لك هذه الهدية ..

و بذراعه الممدودة خارج القفص ألقى لي بعقد صنع بشعر و أسنان و بشرية ..

كل ما تبقى من (سنكلير) ..

هذه هديتي لك ... مع تحيات (آرثر) ..

باغتني الاسم ، فتساءلت :

(آرثر) من ؟

من كنت أن ظننه (سنكلير) .. ألم أقل لك أنه ليس اسمه الحقيقي ؟ .. هو
أيضاً كان يتخفى من ماضيه .. سر قبيح ظل يهرب منه طيلة عمره .. لكن هربه
انتهى ..

هنا لم أتمالك نفسي من أسأل :

كيف .. كيف تعرف هذا كله ؟؟

ضحك (الشيء) في قفصه ، ضحكة ماجنة مريعة ، و أجاب :

أنا أعرف كل شيء .. أعرف و أنتظر .. أعرف و أنتم تأتون إليّ بأنفسكم ..

نعم ..

نحن من آتينا إليه .. و هو كان ينتظرنا ..

من كُنا نحسبه فريستنا ، أصبح هو صائدنا الذي ينوي التهامنا واحداً تلو الآخر

..

و الآن أنا أريد (دوريان) .. (دوريان القدر) كما تسمونه ..

مستحيل .. الرجال يتساءلون عن (سنكلير) .. و العاصفة .. كيف سأنجو منها

بثلاث رجال فحسب ؟؟ .. مستحيل ..

أنا من بدأت هذه العاصفة و أنا قادر على إنهاؤها .. أما أنت فلا تملك سوى

تنفيذ ما أمرك به ..

حاولت المقاومة :

لكن الرجال يبحثون عن (سنكلير) و لو طال غيابه سوف ..
لكنه قاطعني بصوت ماجن عابث :
تريدون (سنكلير) .. حسن ..
سأرسل لكم (سنكلير) ... !!!

.....

أسفل سيل الأمطار و على ضوء ألسنة البرق روى لي الرجال على السطح ما
رأوه و هم يرتجفون هلعًا ..
اللعنة ..

لقد قفز القدر في المحيط ..
(سنكلير) اللعين خرج إلينا بوجه صامت و بدون أي تردد قفز في المحيط ..
و مؤمنًا على كلام (دوريان) قال (شين) :
- الأمواج ابتلعتة في ثانية ..
لم نملك حتى فرصة إنقاذه ..
لكنني كنت أعرف الحقيقة ..

أنا أعرف أين انتهى الحال بـ (سنكلير) .. لكنني قلت :
لاوقت لدينا إذن ..

به أو بدونه يجب أن ننجو من العاصفة و إلا التهمتنا الأمواج نحن أيضًا ..
لكن الرجال تبادلوا النظرات بسرعة ، ليقول (ستيفن) العجوز بصوته الواهن :
قبطان ...

لقد اتخذنا قرارنا ..
نحن لا نريد هذا الإفريقي في سفينتنا ..

ما الذي تقصده ؟؟

سنلقيه في المحيط ..

هذا قرارنا و لن نعدل عنه ..

صحت في عصبية :

و أنا سامعكم ..

هذا الإفريقي سيظل معنا حتى نصل للشاطئ و نأخذ ذهبنا ..
مرة أخرى يتبادل الرجال النظرات ، ثم يقول (دوريان القدر) :
توقعنا هذا منك ..

إذن ..

إذن سنضعك في قصص الساحر بعد أن نتخلص منه ..

سامحنا يا قبطان ، لكنه قرارنا ..



قالها و دوى هزيم الرعد ليخرس أي رد من الممكن أن أتفوه به ..
أي رد ..



لكنه لم يكن هناك !!!!!!!
حين حملني الرجال مكبلاً بالحبال إلى القبو ، وجدوا القفص المعدني مفتوحاً ،
ووجدوا الدماء لا تزال تغطي كل شيء و تتساقط قطراتاً من السقف ، لكن
ساحرنا الإفريقي لم يكن هناك ..
لم يكن هناك !
لم يكن هناك !
لم يكن هناك !
و رغماً عني وجدتي أنفجر في ضحك هستيري بينما الرجال يتبادلون النظرات
الحيرى ، بينما (شين) يردد :
- أين ذهب هذا (الشيء) ؟؟
يتساءل و أنا أضحك .. أضحك .. أضحك ..
إنه يعرف .. يعرف كل شيء و ينتظر ..
و إزاء ضحكاتي الهستيرية ، لم يجد الرجال سوى أن يلقوني في القفص و
يغلقونه عليّ ، ليعلن (دوريان) :
- سننتفض السفينة بحثاً عنه ..
و بينما قطرات الدم تهوي على رأسي من السقف ، لتمتزج بضحكاتي ، تركني
الرجال ليذهبوا بحثاً عن (الشيء) ..
و بدأت عملية الصيد ..
صيدهم !!



كم مضى عليّ و أنا في القبو ؟؟ ..
لا أذكر ..
فقط أذكر كيف انتهى الأمر ..
كيف دخل عليّ (شين) في النهاية و الدماء تغطيه ، و قد فقد ذراعه اليسرى
و شحب وجهه ليقول و الدماء تخرج من فمه مع حروفه :
لقد هلك الجميع ..
كلهم هلكوا ..
كنت قد أفقت من هوسي لأبدأ رعيي ، فصحت ذاهلاً :



ما الذي حدث 1999

لا وقت ..

يجب أن تنتهي الأمر ..

يجب أن تنهي قبل أن ينتهي كل شيء ..

ثم إنه فتح القفص ليتهاوى على عتبته ، فأسرعت إليه ، لينثر الدماء في وجهي
من فمه مرة أخيرة :

يجب ألا يصل هذا (الشيء) للشاطيء ..

يجب أن .. أن ..

و لم تكفي حياته ليكمل جملته أبداً ..

فقط استكان جسده إلى الأبد لينجو بنفسه من الهول ..

يجب ألا يصل هذا الشيء للشاطيء ..

الآن أفهم ما عليّ فعله للمرة الأولى ..

و الآن أسعى لتفذيده ..

●●●●●●

لكنني قررت أن أكتب ما حدث أولاً ..

أخبرتكم أنني أكره كتابة المذكرات ، لكن هذه القصة هي الشيء الوحيد الذي
يجب أن ينجو ، لذا ها أنا أروي لكم ما حدث و يحدث على صفحات من جلد و
بحبر يقاوم الماء ..

ها أنا الآن أقف في القبو المظلم أنتظر عودة (الشيء) ، فلم يتبق له سواي ،

بينما السفينة ترتج رجاً في قلب العاصفة ..

العاصفة التي بدأها هو و سأنهيها أنا ..

الآن سأتبع لكم بما سيحدث و سأضع هذه الأوراق في صندوق معدني منيع

سيحتمل ما سيحدث .. فلا أعتقد أنني سأملك المزيد من الوقت ..

سيأتي (الشيء) إلى القبو بقامته المديدة و ثون سواد الليل و بضحكاته الماجنة
و صوته الرهيب ، و سيخبرني :

إنه دورك ..

حينها سأجيب :

أنا مستعد ..

الآن سيكون عليك إيصالي للشاطيء .. هناك سأمرح كثيراً .. على اليابسة ..

لكنني سأتركه يقترب مني بخطواته الواثقة ، بينما بندقيتي خلف ظهري ..

أعرف ما تفكر فيه و ما خططت له ..

سيقولها ، فهو يعرف كل شيء ! ..

لكنني سأتركه يواصل تقدمه إلى الحد الكافي ، ثم سأقول :

أعرف إذاً أنك لن تبلغ الشاطيء أبداً ..

و بسرعة سأطلق النار من بندقيتي على براميل البارود المخزنة في القبو ..
و في العاصفة العاتية سيمتزج دوي الانفجار بهزيم الرعد بصرخة الشيء ، و
ستتذكر السماء لون انفجار سفينتي إلى الأبد ..
نعم .. هذا ما سيحدث تقريباً أو تماماً ..
لكن هذه هي نهاية مذكراتي ..





D.O.D



اليوم نكون قد أتممنا خمس أشهر في الفضاء ، لكنني لم أفتقد الأرض أبداً ..
لم أشعر بأي حنين لليابسة و لا للوطن و لا للبحر و لا للجاذبية ..
لم أشعر بما يشعر به رفاقي هنا .. لم أشعر بالوحدة !
يقول رفاقي هنا أنني بائس .. من لا يوجد لديه يشاقق إليه هو شخص بائس
و وحيد ، لكنني أرد عليهم برد واحد منطقي ..
أرض تحولت إلى حطام مشع و سماء تغطيها السحب السوداء و بحار ملوثة
بمزيج نادر من مخلفات الأسلحة و دماء الجنود ، هي أشياء لا تستحق أن
أشتاق إليها أو أن أفتقدها .. على العكس تماماً .. إنني محظوظ لأنني على بعد
ملايين الأميال من هذا كله ..
صحيح أنني لم أكن قد ولدت بعد أيام الحرب الأخيرة ، إلا أنني رأيت كل ما
حدث على مجموعة اسطوانات مدمجة يحتفظ بها أبي كتذكار ..
مزية التكنولوجيا الحديثة أنك تستطيع الإحتفاظ بسنوات من الحرب و الموت
و الدماء و الأهوال ، على خمس اسطوانات فحسب ، و بسعر خاص بمناسبة
ذكرى الحرب الأخيرة ..
كان أبي ممن عايشوا الحرب ، و لم يستطيعوا أبداً تجاوز ما رأوه ..
حالة أسماها العلماء باسم (متلازمة ما بعد الحرب) ، و هي تتلخص في
التالي .. هلاوس سمعية و بصرية .. اكتئاب حاد .. انفصال عن الواقع ..
كوابيس أدت إلى أرق مزمن ، و أخيراً الرغبة في الإنتحار ..
لكن أبي لم ينتحر ..
حتى بعد وفاة أمي بسرطان الكبد - نتيجة طبيعية للمياه المشعة - لم ينتحر
أبي ، بل تحول إلى تمثال خزفي لا يفعل شيئاً سوى مشاهدة الحرب الأخيرة
على الاسطوانات المدمجة ، ذات السعر الخاص و لفترة محدودة !
هكذا قضيت طفولتي .. يتيمًا معزولاً يقضي أيامه في رؤية أهوال حرب لا ذنب
له فيها ، و بصورة في غاية النقاء مع نظام صوت ثلاثي الأبعاد و كل هذا بسعر
- اللعنة على هذه الاسطوانات ! - خاص ..
بعد هذا تطالبونني بالحنين إلى الأرض .. إنني أعرف أنني سأصبح رائد فضاء
منذ أن كنت في العاشرة .. فهذه هي المهنة الوحيدة التي ستمنحني ما أبغيه
حقاً ..
الإبتعاد إلى أقصى حد ممكن ..
رفاقي الحمقى هنا قضوا حياتهم مثلي في مستعمرات صحية معزولة عن
الإشعاع ، يديرها مجلس حكم واحد - لم يعد هناك عدة دول و بالتالي عدة
رؤساء - و هذا المجلس أدرك أن من نجوا من الحرب الأخيرة ، يتضاعف
عددهم بإطراد لن تستوعبه تلك المستعمرات الصحية ، و أن الأمل الأخير أصبح
هناك .. في الفضاء ..
هكذا بدأت رحلات البحث عن أرض بديلة ، و هكذا وجدتي على تلك المركبة

الفضائية لخمسة أشهر كاملة ، نجوم الفضاء البارد ، تحيط بنا ملايين النجوم ، كأنها أعين تحديق فينا بسخرية ..

نعم .. المفترض في النهاية أن نعثر على كوكب بديل ، لنتكاثر فيه كالجراثيم قبل أن ندمره في حرب خرقاء لنبدأ رحلة البحث من جديد ..

دعك من أن هؤلاء العباقرة لم يروا الصورة الكاملة بعد .. بفرض أننا وجدنا كوكب بديل ، فكيف سننقل كل من تبقى حيًا على سطح الأرض إلى هذا الكوكب ؟؟ أم أنها ستكون أجمل مسابقة في تاريخ الأرض ؟!

اتصل برقم (...) لتكسب فرصة الحياة على كوكب بديل ! .. العدد محدود !! الآن حين أتذكر المذابح التي قامت بين الناجين من الحرب ، من أجل الحصول على مكان في المستعمرات الصحية ، أتخيل ما سيحدث لو كان الصراع هذه المرة على مقعدك في المركبة الفضائية التي ستخلصك من هذا الكوكب نهائيًا ، و تذكر .. العدد محدود ..

تدخل (إيفيتا) معلمي و تتجه إلى النافذة ، لتحديق شاردة في بريق النجوم من حولنا .. (إيفيتا) هي عالمة الفلك على هذه المركبة ، و هي فرنسية و إن كانت هذه المعلومة لا تهم ..

فلم تعد هناك فرنسا !

أتظاهر أنا أنني أقرأ في كتاب ما ، لكنها تبدأ الحديث قائلة بملل :

أتعرف ما هو اليوم ؟

يباغنتي سؤالها ، لأكتشف حقيقة أنني فقدت إحساسي بالزمن على هذه المركبة ..

و لأنها لا تنتظر إجابة ، واصلت :

- أمامنا شهر تقريبًا قبل أن نبدأ رحلة العودة ..

- سأفتقدكم قريبًا إذن ..

- الرفاق عشروا على تابوت في الفضاء ..

- ماذا ؟!

صحيح أننا فقدنا اهتمامنا بكل شيء هنا ، لكن .. تابوت في الفضاء !

لقد رأه (يوري) مصادفة .. لقد قرر أن نتوقف لإنتشاله ..

عجزت عن الرد من فرط دهشتي ، ثم قررت أنه من الأفضل أن أذهب لـ (يوري)

(لأفهم منه ، فـ (إيفيتا) لا تهوى الشرح مهما كانت طبيعة الموقف .. لو اتجهنا

لشمس سننقل هي الخبر ببرود (يبدو أننا سنهلك) !

في كابينة القيادة وجدت (يوري) - و هو قائد المركبة .. روسي سابق - مع

(آرثر) - مساعد القائد .. بريطاني سابق - يتناقشان في حماس عن

اكتشافهما العجيب ..

لا بد أن الجثة في داخله كما هي .. برودة الفضاء ستحفظها من التلف ..

هذا إن لم يكن التابوت خاويًا ..

لو كان خاويًا سأضعك أنت فيه و أعيده للفضاء ..
لن أتجشم كل هذا العناء من أجل لا شيء ..
لن أقاومك .. علي الأقل سأخرج من هنا !
قاطعتهما أنا قائلًا :

هل لي بمن يحكي لي ما حدث ؟
أشاح (يوري) بوجهه ليتتبع كنز السابح في الفضاء على شاشة كمبيوتر
المركبة ، بينمت تطوع (آرثر) بالشرح :
لقد عثرنا على تابوت يسبح في الفضاء بالقرب منا .. تابوت معدني حديث من
تلك النوعية التي كانوا يصنعونها قبل الحرب الأخيرة ، قبل أن تبدأ عادة حرق
الجثث ..

عظيم .. و لماذا نضيع وقتنا في انتشاله ؟
تابوت ملقى به في الفضاء .. ألا يستحق هذا أن نعرف من فيه ؟
أعترف أن الأمر يثير الفضول ، لكن لسنا واثقين من خطورته ..
هنا ضحك (آرثر) عابثًا ، و أجاب :
و ما الذي سنخشاه ؟ .. التابوت يحوي جثة ، و لا أعتقد أن شبح صاحب الجثة
سيغضب و يطاردنا ..
لكنني قلت :

مازلت لا أرى ضرورة لهذا ..
تدخل (يوري) ليقول بغلظة :
إنه قراري أيها المصري ..
قالها فلم أجبه ..

بالمناسبة أنا و (يوري) نتبادل كرهًا عميقًا لا حد له ، منذ أن تناقشنا قبل
يومين عن دور روسيا في الحرب الأخيرة ..
أنا اتهمت حكومته بالغباء و هو اتهمنا بالتخاذل ، لكن هذا لم يغير من حقيقة
أن حكومتينا أصبحا رمادًا مشعًا في مكان ما على الأرض المهجورة .. صحيح أن
جدلنا كان بلا طائل منذ البداية إلا المواضيع التي قد تجدها في هذا السجن
الفضائي ، محدودة نوعًا ما ..
هكذا هزرت كنتفي بمعنى (إلى الجحيم لو أردتم) ثم غادرت القاعة لأعود إلى
غرفتي ..

(يوري) .. (آرثر) .. (ايڤيتا) ... و أنا ..
ها أنت قد تعرفت على طاقم السفينة البائس .. الآن تبقى لك أن تعرف ما
سيحدث لنا ..



الساعة الآن (3612) ، و هي طريقتنا في تحديد الوقت على المركبة الفضائية .. هذا الرقم يعني أنه مرّ علينا 3612 ساعة منذ أن تركنا الأرض ، و هذا الرقم هو الساعة التي أدخلنا فيها التابوت إلى مركبتنا ليصبح عدتنا خمسة ..

(يوري) هو من خرج لإنتشاله ، بينما بقى (آرثر) في الداخل ليحل محله ، و ليساعده قدر الإمكان ، و استغرقت هذه العملية منهما ما يقارب الثلاث ساعات ، لكن في النهاية كان (يوري) قد عاد و معه غنيمته .. (إيفيتا) لم تهتم كما توقعت ، أمّا (آرثر) و (يوري) فبديا كطفلين صغيرين عثرا على دمية جديدة ، بينما جثم التابوت المعدني أمامها بطوله الذي تجاوز المترين ، و برتاجه الإلكتروني ذو الشفرة ، التي هرش لها (يوري) رأسه قائلاً :
لـ (آرثر) :

شفرة لفتح التابوت ؟ .. عجباً ..

لم أر هذا الطراز من التوابيت من قبل ..

أتعرف كيف تحل هذه الشفرة ؟

لا .. لكن العربي يعرف ..

قالها مشيراً إليّ ليفاجأ (يوري) بهذا الموقف ، بينما ابتسمت أنا بتشف لأقول :

كنت أودّ مساعدتكما .. لكنني لن أفعل ..

حل الشفرات - أيّ ما كان نوعها - هواية لي منذ أن كنت صغيراً أحاول ابتكار أي شيء ينسني حكايات الحرب الأخيرة التي كان يحكيها لي أبي .. و الآن هذه الهواية سترد لي كرامتي ..

لا .. العربي لن يمس التابوت ..

قالها (يوري) بحسم غاضب ، ثم أضاف :

أنا سأفتحه بأي طريقة .. سأנסفه أو أعيده للفضاء ، لكنني لن أطلب من العربي شيئاً ..

أجبتّه ببرود :

و أنا لا أنوي أن أساعدك حتى لوهددت بالانتحار ..

ثم جلست في ركن القاعة لأتابع ما سيحدث و (آرثر) ينظر لي في لوم ..

أشرت له بما معناه (سأفكر في الموضوع لو اعتذر) ، فهزّ هو رأسه بما معناه (لا أمل في هذا) ...

هكذا أخذت أتابع محاولات (يوري) لفتح التابوت بابتسامة وحة ، قبل أن أنتبه إلى (إيفيتا) التي وقفت عند باب القاعة الرئيسية ، و هي ترمق التابوت المعدني بمزيج عجيب من الكراهية و الخوف ..

حين شعرت بي ، أدرات رأسها تجاهي لتقول بفتور :

يجب أن تتخلصوا من هذا التابوت ..
و دون شرح ابتعدت في الممرات لتغيب فيها .. لكنني كنت قد بدأت أشعر بما
تشعر هي به ..
يجب أن نتخلص من هذا التابوت ..
لا أعرف لماذا ، لكنني واثق أنه القرار الصائب و إن عجزت عن تنفيذه .. شيء
ما داخل هذا التابوت غير طبيعي .. شيء شرير ..
شيء ينتظر أن يخرج !
أنا واثق من هذا ..



في الساعة 3613 كنت قد بدأت أُغيب في النوم في غرفتي ، حين طرق
(آرثر) الباب فجأة ، ليوقظني قائلاً بتوتر :
يجب أن تساعدنا على فتح التابوت ..
احتجت للحظات لأستوعب الموقف ، قبل أن أجيب بحزم :
هذا لن يكون إلا بشروطي و ..
لاوقت لهذا العبث .. لقد تغير الموقف تمامًا ..
كيف ؟
كمبيوتر المركبة التقط نبضات قلب ..
نبضات قلب قادمة من داخل التابوت ..
!!!



حين بلغت القاعة هذه المرة كان (يوري) يجلس جوار التابوت المشؤوم كطفل
حائر ، و لم يكذب يراني حتى بادر بالشرح دون أن أسأل حتى :
يوجد شخص ما حي داخل هذا التابوت .. كمبيوتر السفينة التقط صوت
ضربات قلبه .. معدلها بطيء مما يوحي أنه في حالة سبات .. لكنني حي ..
حي ..
هل حاولت فتحه بطرق عنيفة ؟
بكل الطرق ، لكنه لم يستجب لي إطلاقًا ..
ثم منحني نظرة (أرجوك افعليها) فاكتفيت بها .. أمّا (آرثر) فتساءل في قلق :
أواثق من قدرتك على فتحه ؟
إنها هوايتي .. المرء لا ينجح إلا في هواياته ..

ثم أشرت لهما بالصمت و بدأت في فحص التابوت ..
أمامي رقد التابوت في استرخاء بطوله الذي يبلغ المترين ، و وزنه الذي يتجاوز
الخمسمائة كيلوجرام ، و قد حمل على سطحه نقشًا واضحًا لثلاثة أحرف ..
(D.O.D) ..

أشرت للنقش مستغريًا ، فهزّ (آرثر) كتفيه مجيبًا :
لا أعرف ..

فقط أرجو ألا يكون اختصار (خطر الموت Danger Of Death) ..
لكن (يوري) صاح بعصبية:

خطر الموت من جسد شخص نائم في التابوت ؟
و هل يبدو لك الأمر طبيعيًا ؟ .. أتظن أن أحدهم وضع شخصًا حيًا في هذا
التابوت و أطلقه في الفضاء دون سبب ؟ ..
ألا يمكن أن يكون مصابًا بمرض ما قابل للعدوى ؟
لكن (يوري) أجاب:

لو كان الأمر كذلك لكان من الأسهل قتله و حرق جثته و هو لا يزال على الأرض
.. ربما هو هارب .. نعم .. هارب من الحرب الأخيرة ..
قلت أنا مفكرًا :

أتعني أنه ألقى بنفسه في تابوت في الفضاء ، على أمل أن تمر مركبة فضائية
لإنتشاله ؟ .. يبدو لي احتمالًا أبعد من أن يكون منطقيًا ..
أديك تفسير أفضل أيها العبقرى ؟

لا .. لكن السؤال الآن ، هل يستحق إرواء فضولنا المخاطرة بفتح هذا التابوت
على الرغم من احتمالية أنه يحوي خطرًا ما ..
قلتها فتبادلنا النظرات و إن كنا نعرف الإجابة مسبقًا ... بعد أن تقضي 3613
ساعة في هذا السجن ستجد أن أي مخاطرة هي ثمن بخس للقضاء على الوقت
ها هنا ..

لو كان صندوق بندورا ذاته فلن نتردد في فتحه ..
أشار لي (آرثر) أن أوصل ، فبدأت في حل الشفرة بتركيز شديد .. شفرة
رقمية هي من تسعة أرقام .. أي أن الاحتمالات لا نهائية ..
لكنني تعلمت حل هذا النوع من الشفرات و أنا لازلت في العاشرة .. طبيب أبي
النفسي هو الذي نصحني بهذه الهواية .. أخبرني أنها تستغرق وقتًا و تركيزًا ،
و أنها الحل الوحيد أمامي كيلا أفقد عقلي أمام أسطونات الحرب الأخيرة التي
يجبرني أبي على رؤيتها مرارًا و تكرارًا ..

أخبرني أنه طالما أحل الشفرات ، سيحافظ عقلي على شفرته التي تمنعه من
السقوط في هوة الجنون .. لذا فهذه الشفرة ذات الاحتمالات اللانهائية لا
تشكل لي تحديًا على الإطلاق ..

لكنني أشعر الآن أنني ارتكبت أكبر حماقة في حياتي على الإطلاق .. شعور لا

تفسير له و لا منطق ، لكنه يلتهم أعماقي بلا رحمة ..
شعور يخبرني أنه لو فتحت هذا التابوت سوف ..
ترررريك !

دوى الصوت المعدني الوقح ليقطع حبل أفكارى و ليعلن للجميع أن التابوت
أصبح قادرًا على نشر الأهوال الكامنة في أعماقه ..
نظرت إلى (يوري) فهز رأسه أن (افتحه .. لكن بحذر !) ، فبدأت أرفع
الغطاء المعدني ببطء متوقعًا الأسوأ ، حتى أنني أغمضت عيني و لم أفتحهما
حتى شقق (آرثر) ذاهلاً ..
فالواقع أن ما كان ينتظرنا داخل التابوت، قد فاق كل توقعاتنا على الإطلاق ..



كان شعرها أشقرًا .. كان رداها أبيضًا .. و كان الضوء الأزرق الشاحب المنبعث
من داخل التابوت ، ينثني عند ابتسامه شفيتها التي ظلت معها حتى النهاية ..
كانت يديها الصغيرتان معقودتين على صدرها كأنها تحلم ، لكن تلك الإبرة التي
انغرست في جانب عنقها أخبرتني أنه لا أحلام هناك .. إنها في حالة سبات
صناعي ، حيث لا نوم و لا أحلام و لا أمل في الإستيقاظ إلا لو قام أحدهم
بإنعاشك ..

كانت ترتدي حذاءً أبيضًا نظيفًا يشبه إلى حد ما أحذية راقصات الباليه ، و كان
طولها لا يتجاوز المتر إلا بسنتمترات قليلة ، وكانت بقع خضراء عجيبة تغطي
ساقها و مثبت عنقها و ذراعها اليسرى .. بقع خضراء داكنة ذات حواف بيضاء
قدرة و في مركز كل بقعة كان هناك ثقب تنز منه سوائل صفراء لا أتمنى حتى
أن أعرف ما هي .. و كان هناك جدار زجاجي عازل يغطيها و يحافظ على نقاء
الهواء في المركبة ..

و ببطء قال (آرثر) :

- يبدو أن توقعي كان صحيحًا .. هذه الفتاة مصابة بمرض ما .. مرض يترك
آثارًا مفرزة لو جاز لي القول ..

لم أعترض على ما قاله ، بل أردفت :

لكن يبدو أننا سنحظى بتفسير على أية حال ..

قلتها و أنا أشير إلى شاشة صغيرة في غطاء التابوت تراصت أسفلها مجموعة
من الأزرار ، فقال (يوري) بعصية :

- أرنا ما عندك ..

أخذت أعبت في الأزرار للحظات .. قبل أن تضئ الشاشة أخيرًا ، لتظهر عليها
سيدة في الثلاثينيات ، غطت البقع الخضراء أكثر من ثلثي وجهها ، لتبدو أشبه

بالكائنات الفضائية ، خاصة مع نحوها المخيف ، و عينها اليمنى التي تورمت لتبلغ خمس أضعاف حجم عينها اليسرى ..
وجه جدير بكوايبسك لو أردت أن تحصل عليه !
و بمزيج من الفزع و التقرز ، همس (يوري) :
- رياه .. ما هذا المرض ؟
فأجابته السيدة في الشاشة :

(فرانك) .. كما ترى لم يعد أمامي الكثير من الوقت .. و أغلب الظن أنني سأكون قد هلكت حين تصلك هذه الرسالة .. للأسف ابنتنا (جولي) التقطت مني العدوى .. كلنا في محطة (B-89) الفضائية أصبنا بالعدوى و أغلبنا لقي مصيره المحتوم بالفعل .. لا أعرف شيئاً عن طبيعة هذا الفيروس سوى أنه يقتل بسرعة ، لذا وضعت ابنتنا هنا في وضع التجميد على أمل أن يؤخر هذا من نشاط الفيروس حتى تصل إليك .. لم تكن هناك طريقة أخرى و لو حاولت إرسال ابنتنا بالطرق المعتادة ، لما سمحوا لها بأن تبلغ الأرض أساساً ...
(فرانك) .. ساعدها .. حاول .. و لو لم تتمكن .. (عند هذه النقطة اقتربت من الكاميرا لتملأ عينها المتضخمة الشاشة أمامنا) .. لو تتمكن من علاجها .. اقلتها .. لا تدعها تصل إلى هذه المرحلة .. لا أريدها أن تشعر بما أشعر به الآن .. (فرانك) .. سامحني ..

ثم تراجعت برأسها و هي تمسح دموعاً سالت من عينيها - دموع صفراء بالمناسبة ! - و أظلمت الشاشة أخيراً لنتمكن من التنفس مجدداً ، و كأننا كنا نخشى طيلة الوقت أن نلتقط العدوى منها ..
- رياه .. ما هذا المرض ؟

بفزع مطلق هذه المرة كررها (يوري) .. و برعب لا يقل عنه أجاب (آرثر) :
فضاء لا حد له و لا نهاية ، لكن حظنا التمس يلقينا لهذا التابوت ..
و قلت أنا :

إذن فأمرها أرسلت بها من محطة الفضاء إلى أبيها في الأرض لينقذها ، و هذا يفسر محركات الدفع المتصلة بالتابوت .. لكن يبدو أنه اصطدم بنيزك أوقفه و أبقاه معلقاً في الفضاء حتى مررنا جواره ..
عند هذه اللحظة دخلت (إيفيتا) القاعة بوجها الجامد و الشرود الدائم الذي يطل من عينيها ، لترى التابوت المفتوح و نظرة الخوف في عيوننا .. أعادت نظرها إلى التابوت ، ثم قالت آخر شيء كنا على استعداد لسماعه :
هذه الفتاة .. إنها تتحرك ..

انتفض (يوري) و شهق (آرثر) و اعتدلت أنا بحركة حادة لأواجه التابوت الذي رقدت فيه الفتاة و قد أخذت أناملها تتحرك ببطء ملحوظ ..
« لذا وضعت ابنتنا هنا في وضع التجميد على أمل أن يؤخر هذا من نشاط الفيروس حتى تصل إليك .. »

هذا ما قالته الأم .. لكن الفتاة لم تكن في وضع التجميد حين فتحنا التابوت ..
إنها الآن تحرك أناملها ، قبل أن تبدأ في تحريك رأسها حركة عصبية مفهومة
، فسرتها (إيفيتا) و القلق يشع من صوتها :

إنها تختنق ..

فصاح (يوري) :

تختنق .. كيف ؟

أجبتة :

لا بد أن محاولتك العنيفة لفتح التابوت أفسدت صمام الأكسجين ..
حركة رأس الفتاة تزداد قوة و سرعة ، وصدرها يتحرك بقوة كأنه يجاهد بحثاً
عن هواء يمتلأ به ..

و بانفعال حقيقي قالت (إيفيتا) :

- إننا لن نتركها تختنق ..

الغطاء الزجاجي العازل الذي يمنع وصول الفيروس إلينا ، هو الذي يمنع الهواء
الآن عن فتاتنا (جولي) و السؤال واضح .. لو حطمتنا هذا الغطاء الزجاجي
سننقذ الفتاة ، لكننا سنصاب بالعدوى و ستمتلاً أجسادنا بالبقع الخضراء التي
تنز بسائل أصفر كريه ، لنموت في النهاية ، فهل نكسر الغطاء ، أم لا ؟؟؟

لو عرفت الإجابة اتصل على (02_00xxxx) !

إننا لن نتركها تختنق .. الفتاة تموت ..

تكررها (إيفيتا) بهلع هستيري ، فنتبادل نحن النظرات ، بينما الفتاة تستيقظ
ببطء ..

صدرها يتحرك بجنون .. رأسها يتقاذز يميناً و يساراً .. و أنفاسها تتلاحق

بصوت مسموع ..

و بثورة مفاجئة قفزت (إيفيتا) إلى التابوت ، لتهوي بقبضتها على الغطاء
الزجاجي صارخة :

- إننا لن نتركها تموووووووت ..

لم يتأثر العازل الزجاجي ، لكن (يوري) انقض على (إيفيتا) ليكبلها بذراعيه
..

- إننا لن نتركها تموووووووت ..

كقطعة شرسة قاومت (إيفيتا) لكن (يوري) كان قوياً بحق .. لقد حملها و
تراجع بها بعيداً عن التابوت ، بينما أخذت هي تطوح ساقيها و هي تصرخ
بهستريا ..

إننا لن نتركها تموووووووت ..

(D.O.D) .. يوم اتخاذ القرار (Day Of Decision) ..

لكن (يوري) كان قد اتخذ القرار بدلاً منا .. ستموت !

و فجأة فتحت الفتاة (جولي) عينيها و بدأت في الصراخ بوحشية و قد

تحولت حركتها داخل التابوت إلى انتفاضات عنيفة كمرضى الصرع ، لدرجة أن الإبرة المغروسة في عنقه تحطمت وإن ظل متصلًا بعنقها ، لينثر الدماء على وجهها و على العازل الزجاجي ..

الفتاة الرقيقة (جولي) تحولت إلى كابوس مخيف يحمل لنا الموت - لو خرجت - و قد امتزجت صرخاتها الوحشية بصراخ (إيفيتا) الهستيرى ، لأفقد أنا أعصابي أخيرًا ، و لأهجم على (يوري) محاولاً تخليص (إيفيتا) من بين ذراعيه ، بينما تجمد (آرثر) في مكانه كتمثال ..

و كما قلت أنفًا ، كان (يوري) قويًا .. لقد اكتفى بتكبير (إيفيتا) بذراعه اليسرى ، بينما طوّح اليمينى إلى وجهي ، لأشعر و كأنما أحد صدمات القدر تهوي على رأسي ..

- إننا لن نتركها تموووووووت ..

تصرخ بها الحمقاء ثم تطوح ساقها ليضرباني في صدري ، قبل أن ينهي (يوري) ما بدأه بضربة أخرى في جبهتي مباشرة .. و .. و ..

هذه المرة هويت على الأرض .. و كان آخر ما سمعته قبل أن تظلم الدنيا من حولي ، هو المزيج الرهيب لصراخ (إيفيتا) و (جولي) ..



حين استيقظت كان أول ما أدركته هو أنني لم أغب عن الوعي سوى لدقائق معدودة ..

ثاني ما أدركته هو أن (آرثر) كان يجلس على الأرض جوارى و على وجهه تعبير ذهول جامد و هو يدفن ركبتيه في صدره ..

ثالث ما أدركته هو أنه لم يعد هناك صراخ !

ببطء اعتدلت لينفجر الألم في رأسي و صدري ، لأجد أن التابوت لا يزال في مكانه و قد وقف أمامه (يوري) يلهث و المشاعر تتقلب على وجهه بسرعة الضوء .. و حين شعر بي قال :

انتهى الأمر أيها العربي ..

لم أصدق فتحاملت على نفسي و وقفت لأتجه بخطوات حذرة إلى التابوت .. و هذه المرة لن أتمكن من وصف ما رأيته ..

سأدع هذا المشهد لخيالك .. أو لكوايبسك !

أين .. (إيفيتا) ؟

قلتها بحلق جاف ، فأجاب (يوري) :

عادت إلى غرفتها ..

هل هي بخير ؟



الحمقاء كانت ستتسبب في قتلنا جميعاً ..
لكني كررت :
هل هي بخير ؟؟
فهز هو رأسه بأن (نعم) ، قبل أن يقول :
سأعيد هذا التابوت إلى الفضاء .. لا أريد هذا الشيء على مركبتي ..
تماماً كطفل سأم من دميته .. الفارق هنا أن الدمية كانت (جولي) ..
و أنها الآن جثة ملطخة بالدماء و البقع الخضراء الداكنة ..
نظرت إلى (آرثر) فوجدت الدموع في عينيه .. لكنه لم ينطق بحرف ..
الساعة الآن 3614 و عددنا في هذه المركبة أصبح أربعة مرة أخرى ..



حين دخلت غرفة (إيفيتا) لم يكن لدي شيء لأقوله .. لم يكن لدي مجرد دافع
لرؤيتها سوى أنني شعرت أنه ينبغي عليّ أن أراها ..
كانت تجلس على فراشها تبكي بحرقة ، فانتظرت جوارها صامتاً حتى جفت
دموعها ، ثم قلت :
أنا أسف ..

قلتها ثم شعرت بمدى سخافتها .. أي أسف هذا الذي سيعيد (جولي) للحياة ؟
بالطبع لم تجبني بل عادت إلى جمودها الشهير ، و إن أطلت المرارة من عينها
كاوضح ما يكون ، فأخذت أبحث عن أي شيء لأقوله :
لقد .. حاولت .. لكن .. ثم .. الفيروس كان ..

هنا أدركت أنني أهذي و أنه من الأفضل لي أن أتركها ، و هممت بذلك بالفعل ،
لكنها قالت فجأة :

كانت لي ابنة في الماضي ..
باغتني قولها فتجمدت في مكاني ، لتواصل هي شاردة :
كانت في الرابعة عشر حين تمكنت من مغادرة المستعمرة الصحية التي كنا نعيش
فيها .. كانت تريد رؤية الأرض الحقيقية ..
شيء ما كان يجذبها بعيداً عن الهواء المعقم و الممرات المعدنية التي كنا نعيش
فيها .. بعيداً عن القبة الزجاجية و عن ذكريات الناجين من الحرب و عن
السجن الإختياري الذي ولدت فيه ..
في أحد الليالي انتظرت حتى غبت أنا في النوم .. و رحلت ..
صمتت لحظة ، ثم واصلت :

كانت تريد البحث عن الأزهار .. عن قطرات الندى .. عن رياح الصيف الدافئة .. لهذا تركتني و هربت من المستعمرة رغم أنني أخبرتها أن قانون المستعمرات ينص على أن من يغادرها ، لا يسمح له بدوخلها مجددًا .. لكنها و بعد ستة أشهر حاولت العودة .. و هذه المرة استقبلها حرس المستعمرات بينادقهم و بقانون منع العودة مهما كان السبب .. حاولت التسلل إلى الداخل ، لكن الأمر انتهى بها ببضعة ثقوب في صدرها و برسالة قصيرة أرسلت لي يخبرونني فيها أنني يمكنني أن ألقى عليها نظرة أخيرة لو أردت .. بالطبع ذهبت لأجد يدها تقبض على شيء ما .. هل تعرف ما هو هذا الشيء ..

و عادت الدموع لتسيل على وجنتي (إيفيتا) و هي تردف :

- زهرة ..

قالتها فشعرت بروحي تنتفض في جسدي ..

الآن فهمت لماذا كانت تحاول (إيفيتا) إنقاذ الفتاة ..

الآن فهمت كل شيء

لكني المرة لم أنطق بحرف ..



في الساعة 3616 اقتحم (آرثر) غرفتي للمرة الثانية ، لكنني لم أكن على استعداد لأي شيء مهما كان ، إلا أن نظرة الفزع في عينيه و الرعب الذي أطل من صوته أجبراني على الإصغاء له و هو يقول :

(يوري) .. لن تصدق ما أصابه .. كارثة !!



دعني أشرح لكم حقيقة علمية بسيطة .. حين تكون على الأرض فالهواء الذي يحيط به له وزن و هذا الوزن يضغط على جسدي ، و الذي يمنع جسدي من الإنسحاق هو أن خلايا جسدي و السوائل فيه لها ضغط آخر يعمل في الإتجاه المضاد .. أي أن الضغط الجوي للداخل و ضغط جسدي للخارج .. إذن .. ما الذي سيحدث لو تلاشى الضغط من حولك فجأة ؟ .. نعم ..

أحسن .. سيحدث لك ما حدث لـ (يوري) تمامًا !

ستفجر !!

الآن يمكنك أن تقف معي أنا و (آرثر) لتتابع عبر نافذة المركبة الفضائية ،

تلك الخرقه الممزقة التي تسبح حولها الدماء و التي كانت في يوم من الأيام كان بشري كان روسيًا و كان اسمه (يوري) ..
الآن يمكنك أن تصفي إلى (آرثر) إذ يقول :
لقد كان في غرفة معادلة الضغط ، في طريقه للتخلص من التابوت .. حين تأخر حاولت الاتصال به عبر الشبكة الداخلية لم يرد .. و فجأة وجدته أمامي يسبح في الفضاء جوار المركبة ..
عدت أنظر إلى الجثة الممزقة دون أن أشعر بذرة تعاطف واحدة ..
ربما كان حادثاً .. الغرفة فتحت قبل الأوان أو أنه لم ..
قلتها ليقاطعني (آرثر) صارخاً :
ألا ترى أمامك ؟ ..
أين رأس (يوري) ؟؟
أحدهم فصل رأسه عن جسده قبل أن يلقيه للفضاء ..
!!



مهلاً .. مهلاً ..
حين جئت إلى هنا كان أقصى ما تخيلت حدوثه ، هو أن الفيروس وجد طريقه إلينا بصورة ما ، لأرى أنا تلك البقع الخضراء على جسد (يوري) كنوع من العدالة الشعرية ، أما أن يقتله أحدهم و يفصل رأسه عن جسده قبل أن يلقي به في الفضاء فهذا يعني أن هناك قاتل معنا في المركبة ..
و هذا القاتل واحد منا ..
أو ..
أو شخص كان في التابوت !
- أين ذهب التابوت ؟
سألت فأجاب (آرثر) :
لا يزال في غرفة معادلة الضغط ..
من قتل (يوري) لم يمنحه الفرصة ليخرجه ..
هل أبلغت (إيفيتا) ؟
نعم ..
لكنها لم تهتم ..
لم ترد حتى ..
و ماذا عن تسجيلات كاميرات المراقبة ؟ ..
المفترض أن كل جزء هنا يصور و يسجل طيلة الوقت ..

لابد أن ما أصاب (يوري) في غرفة معادلة الضغط قد تم تسجيله ..
لكن (آرثر) أجابني بمرارة :
راجعت الذاكرة الرئيسية لكمبيوتر المركبة ..
إنها مغلقة بكلمة سر لا يعرفها سوى (يوري) ..
و الأسوأ أنني لا يمكنني رؤية ما يحدث في غرفة معادلة الضغط الآن ، فمن
قتل (يوري) هشم الكاميرا في الداخل و لا يمكنني فتح الغرفة و إلا خاطرت
بانتشار الفيروس لو كان التابوت مفتوحاً ..
آه .. أي أن الطريقة الوحيدة لمعرفة القاتل ، هي تلك اللحظة التي ستمر قبل أن
يقتلك !
إنه ليس أنا ..
و ليس (آرثر) ..
إذن ؟
مهلاً .. و من قال إنه ليس (آرثر) ؟ ..
و الأسوأ من هذا كله ..
من قال أنها ليست (جولي) ؟ !
نعم ..
بعد أن ماتت أعادها الفيروس للحياة بصورة ما ، فخرجت من تابوتها و قتلت
قاتلها ..
احتمال يستحق التفكير و التخيل ..
إنها الآن تجوب ممرات المستشفى و السائل الأصفر الكريه يسيل منها ، باحثة
عن ضحيتها القادمة ..
و في هذه الحالة ..
و في هذه الحالة سيكون الحل أن أدخل إلى غرفة معادلة الضغط لأتأكد
بنفسي ..
هل تفكر فيما أفكر فيه ؟
الفتاة ؟
بل (إيفيتا) يا رجل ..
ألم تر كيف حاولت إنقاذ الفتاة ،
و كيف منعها (يوري) ؟
ماذا عنك ؟
أنتهمني أنني القاتل ؟؟
لم لا ..
لاحظ أنك جئت إليّ دون أن تشك في و هذا يعني إما أنك أحمق ،
و إما أنك القاتل لذا فأنت تعرف يقيناً أنني لست هو ..
صدمه منطقي و أخرسه للحظات ، قال بعدها :

كان (يوري) محقًا حين اتهمك بالتخلف ..
على أية حال و بما أنني قائد المركبة من بعده ، فلقد قررت أن تنتهي الرحلة
عند هذا الحد ..
سنعود للأرض ..
هل أبلغتهم بما حدث ؟
لا يمكنني الإتصال بهم من على هذا البعد ..
لكنني سأفعل فور عودة الإتصال ..
لم أجادله في هذه النقطة ، بل تركته و قررت العودة لـ (إيفيتا) لأحسم شكى
تجاهها على الأقل ، لكنني ما إن بلغت غرفتها حتى وجدت باب غرفتها مفتوحًا
عن آخره ..
لكنها لم تكن هناك ..
لقد اختفت !



سأوفر عليكم بعض الوقت و سأختصر لكم جزءً مما حدث ..
أبلغت (آرثر) بإختفاء (إيفيتا) فقرر على الفور أن هذا يثبت كونها القاتلة ،
و انطلق معي عبر ممرات المركبة لنبحث عنها ..
كما ترون هذا الجزء لا يهم في شيء ..
بل إنني واثق أنكم استتجتم أننا لم نجدها ..
لكن الجزء الذي يهمنا هو أننا حين عدنا إلى القاعة الرئيسية وجدنا أن شاشة
كمبيوتر المركبة تحمل لنا رسالة خاصة :
أنا لا أنتمي إلى هذا العالم ..
لم أعد أريد البقاء فيه ..
وداعًا ..
على الفور همست (إيفيتا) ، لكن (آرثر) صاح في هلع :
لقد فتحت غرفة معادلة الضغط ..
إنها الآن في الداخل ..
لكننا لم نجرؤ على الذهاب إلى هناك ..
لو كان الفيروس هناك فلن نسرع تجاهه ..
هكذا أخذنا ننتظر جوار نافذة المركبة ، حتى ظهرت لنا (إيفيتا) أخيرًا
و هي ترتدي رداء الفضاء الخاص لتخفي الخوذة العملاقة أكثر من ثلثي وجهها
.. كانت تسبح في استسلام تام و على ظهرها لم تكن هناك سوى اسطوانة
أكسجين واحدة ..

بعد ثلاث ساعات إذن سنفقد (إيفيتا) بعد أن ينفذ منها الأكسجين ..
بعدها ..

بعدها ستتحول إلى جرم سماوي يجوب الفضاء إلى الأبد ..
شعرت (إيفيتا) بي و ب (آرثر) ، فاقتربت من النافذة لأتمكن من رؤية عينيها ،
فلم أجد فيهما سوى تلك النظرة الشاردة التي رأيتها آخر مرة ..
حقاً .. لم تعد (إيفيتا) تنتمي إلينا ..

نظرت تجاهي ثم رفعت قبضتها المضمومة ، و بسطتها ليطير ما كان في يدها
سابقاً في الفضاء ..
زهرة صغيرة ذابلة !

هذا هو ما تركته لنا (إيفيتا) قبل أن تسبح مبتعدة عنأ ..
سرت قشعيرية باردة في جسدي حين رأيت الزهرة ، في حين نظر إليها (آرثر)
ببلاهة :

ما هذا ؟

فلم أجبه ..

إنها تهرب ..

الحقيرة تهرب بعد أن قتلت (يوري) ..
سألته :

ماذا عن الفيروس ؟

كمبيوتر المركبة لم يلتقط شيئاً ما حتى الآن .. لكن التابوت لم في الداخل ..
لا بد أنها أخرجته معها ..

نجونا إذن ؟

صمت (آرثر) لبرهة قلب فيها الأمر في رأسه ، ثم أجاب في النهاية :

نعم ..

نجونا ..

.....

عدت إلى غرفتي و نمت واستيقظت بعد أربع ساعات ، لأتجه إلى القاعة
الرئيسية حيث كانت جثة (آرثر) تنتظرنني ..

هناك على مقعد القيادة و جدته ، و وجدت تلك النظرة الزجاجية في عينيه ،
و ذلك الثقب الغائر في صدره ، و ذلك التعبير الذاهل على وجهه ...
القاتل لا يزال هنا !

على شاشة الكمبيوتر وجدت محاولات (آرثر) لإجتياز كلمة السر التي وضعها
(يوري) و التي يبدو أنه لو يوفق فيها ..



فأزحت جثته من على المقعد و بدأت محاولاتي أنا ..
ساعة كاملة أخذت أحاول فيها متوقعاً أن يهجم عليّ القاتل في أية لحظة ، قبل
أن تفتح لي ذاكرة الكمبيوتر كصدر (آرثر) ..
على الفور بحثت في التسجيلات حتى وصلت إلى تسجيل ما حدث في غرفة
معادلة الضغط حين كان (يوري) فيها ، فضغطت على زر التشغيل و تراجع
بظهري لأرى ما حدث ..

هاهو (يوري) يدخل الغرفة و هو يدفع أمامه ذلك التابوت المشئوم ..
هاهو يتركه و يتجه إلى خزانة أردية الفضاء الخاصة و هو يعطي ظهره للتابوت
.. ها أنا الآن أرى شيء ما ينعكس على سطح التابوت المعدني ، قبل أن أظهر أنا
على الشاشة لأهجم على (يوري) بسرعة و تلك الأداء الحادة في يدي ، لأطير
عنقه بضربة واحدة !!

ها أنا أقف أمام جثته و الأداة الحادة في يدي تقطر بدمه ، بينما تكور رأسه في
ركن الغرفة .. أنظر الآن إلى كاميرا المراقبة ..
أهوي عليها بالأداة في يدي لينتهي التسجيل فجأة ..
ثم ها أنا الآن في القاعة الرئيسية أجلس أمام الشاشة الضخمة أرتجف ..

إنه أنا !!

إنه أنا !!

(D.O.D) ..

انفصام الشخصية

(Disorder Of Double personality) ..

نتاج طبيعى لمن عاشوا طفولتي . هذا ما أخبرني به طبيب أبي النفسى و الذى
أصبح طبيبى بعد ذلك .. أخبرني أن كتمان انفعالاتي المتواصل و محاولتي
المستمرة للتماسك ، قد يؤدىان إلى حالتى هذه بسهولة ..
أخبرني أن هناك آلاف مثلى من أبناء الناجين من الحرب الأخيرة و أخبرني أن
الحل هو أن أسجن شخصيتى الأخرى - التى تحمل كل عنفى و ثورتي - و أن
أعزلها بشفرة لأمنعها من السيطرة على جسدى ..
لكنه أخبرني أيضاً أنها قد تتمكن من الخروج أحياناً مع تعرضي لضغوط نفسية
عنيفة ..



لماذا..؟!



و في هذه الحالة و بعد أن أستعيد سيطرتي على نفسي يجب أن أفكر في شفرة جديدة لأعزل بها شخصيتي الأخرى و أن أتعامل مع الموقف ببساطة ..
لم يحدث شيء .. مجرد أنني قتلت (يوري) و (آرثر) و دفعت (إيفيتا) إلى الهرب إلى الفضاء !

لا بد أنها عرفت و من اللحظة الأولى .. بصورة ما عرفت ..
لكنها لم تحاول إيقافني بل تركتني لأنهي ما بدأت .. و لا بد أنها الآن تسبح في الفضاء و تبسم !

الساعة الآن 3620 و أنا آخر من تبق حياً على سطح المركبة الفضائية التي فشلت في العثور على كوكب بديل ، لكنها ستعود إلى الأرض بهدية رائعة ..
فهاهي تلك البقعة الخضراء الداكنة على ذراعي تمتد من أسفل سترتي لتطل على كفي ، و هذا يعني أنه لم يعد أمامي الكثير ، لكنني لم أعد أهتم ..
الفيروس الذي وجد طريقه خارجاً من التابوت دون أن يشعر به كمبيوتر المركبة هو الذي سيظل حياً حين تصل هذه المركبة إلى الأرض ، و هو من سيظل حياً بعد أن يخرج من المركبة ليفني كل الناجين في مستعمراتهم الصحية ..
(D.O.D) .. يوم المرض (Day Of Disease) .. هكذا سيسمونه قبل أن تحين النهاية ..

لكنني لن أكون هناك ..

و من بعدي لن يبقى أحد ..

فقط سيظل الفضاء يحمل الدليل الوحيد على أنه كانت حياة ما على كوكب الأرض في يوم من الأيام .. دليل وحيدة يتكون من زهرة ..
زهرة صغيرة ذابلة !

بدون أمل أخذت مساحات زجاج تلك السيارة تصارع سيل الأمطار المنهمرة ..
و في الداخل قاومت عينا الزوج ملايين الانعكاسات الضوئية من الضوء المنبعث من أعمدة الإنارة و التي شتتها قطرات المطر على زجاج السيارة ..
و في داخله هو قاوم ملايين الأفكار التي تقوده كلها نحو هدف واحد .. القتل !
قتل مديره ..

قالت زوجته و قد بدت شديدة الشحوب :

- هدىء السرعة قليلاً .. ستقتلنا ..

لم تصل إلى أذنيه سوى كلمة « ستقتلنا » .. و أحدثت رنيناً مدياً في رأسه ..
لا .. لن يقتلها .. بل سيقتل مديره .. ذلك الحقيق ..

سرق مشروعه و نسبه لنفسه ثم اتهمه بالجنون و طرده أمام الجميع .. منتهى الصفاقة

عادت زوجته تقول مرتجفة :

- أرجوك هدىء السرعة

تنبه لجمالها هذه المرة و لكنه لم يجب ..

تباً للأمطار .. لا يستطيع رؤية الطريق أمامه و تلك الشوارع .. إنها زلقة، و كأنما تشارك مديره الصفاقة ..
 إنه بالكاد يسيطر على سيارته ..
 لانت لهجة زوجته قليلاً و هي تقول :
 - لا داعى للإنفعال بإمكانك البدء و النجاح من جديد ..
 جراً على أسنانه بشدة و همس بصوت كالفحيح :
 - يجب أن يدفع الثمن .. يجب أن يرتشف من ذات الكأس ..
 - و لكنك ستقتل نفسك بهذا الإنفعال الذى لن تجنى منه شيئاً ..
 المشكلة أنه يدرك هذا جيداً إنه - حقاً - لا يملك ما يفعله سوى الغضب و تلك
 الفكرة الحمقاء بأن يقتل مديره .. تلك الفكرة التى يدرك - تماماً - أنه لن
 يفعلها ..
 و أمام عجزه هذا يجد نفسه فى سيارته المتهالكة فى شارع زلق تحت المطر بلا
 عمل و لا أمل، فى حين يرفل مديره فى النعيم و فى النجاح الذى صنعه هو ..
 و رغم أن الجو كان شديد البرودة إلا أن جسده كله يحترق و يرتجف انفعالاً و
 قدمه تسحق دواسة الوقود .. و .. و ..
 و أخذت سرعة السيارة تزداد و تزداد .. و خفقات قلب الزوجة تدوى كطبول
 الإعدام ..
 و فى داخلها تردد هاتف مخيف أكثر من الموت ذاته .. أن تتقلب السيارة فجأة و
 يلق زوجها مصرعه و ينحشر جسدها و هى تنزف فى طريق مصر الإسكندرية
 الصحراوى دون أن ينقذها أحد فى مثل هذا الوقت ..
 ستموت ببطء دون أن يفكر أحد فى التوقف من أجلها ..
 ابتلعت لسانها هذه المرة و قد عكس وجهها مزيج الفرع و الرهبة و عيناها
 تعكسان صور متلاحقة للطريق أمامها ...
 أعمدة الإنارة تظهر و تختفى مانحة إياهما و مضات من الضوء الشاحب ..
 علامات الطريق و قد حملت بيانات عديدة ..
 سيارة أخرى على الطريق الآخر فى الإتجاه المضاد، مرت كشبح رهيب يملك
 مصباحين فى مقدمته ..
 ملايين .. ملايين من قطرات المطر ترتطم بزجاج السيارة و كأنما تود اقتلاعه
 ثم ذلك الرجل العجوز الذى ظهر فجأة تحت المطر و نظرة رعب خاطفة ومضت
 فى عينيه قبل أن تقتلعه السيارة من على الأرض و من الحياة ..!
 و من الذى صرخ بعدها ..!
 أهى !!؟ .. زوجها !!؟ أم هو صرير السيارة إثر الفرملة المفاجئة - بعد فوات
 الأوان - قبل أن تبدأ فى الدوران حول نفسها فى الشوارع الزلقة !!؟ أم أنه
 العجوز أطلقها فى آخر لحظاته !!؟
 و توقفت السيارة أخيراً ..



و لم ينبس الزوج بينت شفة .. فقط فغر فاه .. و اتسعت عيناه ، ترمقان المطر
المتساقط على زجاج السيارة
و لكن لماذا تغير لون المطر؟
أصبح لونه أحمر قان؟!
و برعب همست زوجته :
- إنه .. د.م ..
قالتها ثم انفجرت صارخة فى عاصفة من البكاء الهستيرى :
- لقد قتلناه .. ذلك العجوز .. لقد رأيته .. جسده طار ..
حرك شفثيه بإجابة وهمية لم يسمعها أحد .. و تحرك أخيراً ليفتح باب السيارة
، فدخلت العاصفة ..
و خرج هو إليها ..
هوت الأمطار على رأسه و جسده .. وصفرت الرياح فى أذنيه منذرة باقتلاعه ..
جمد البرد عظامه .. وفى وسط كل هذا سؤال رهيب..
هل مات العجوز حقاً ؟..
سار الزوج كالمأخوذ وسط العاصفة و بكاء زوجته يتصاعد من داخل السيارة..
صوت خطواته على الشارع الزلق..
الجسد المتكوم وسط الطريق يكبر ويكبر..
وعندما بلغ الجسد الذى سكن تماماً ، انتفض جسده هو وكأنما لا يصدق أنه
فعلها ..
وللحظة تساءل عن شعور صاحب الجثة المكومة أمامه قبل أن تصدمه السيارة...
لا بد أنه كان يقف، ليفاجأ بشبح السيارة المخيف قادماً تجاهه بسرعة خرافية
و....
ولكن مهلاً ... ما الذى كان يفعله فى هذا المكان وهذا الوقت؟!
صوت باب السيارة يفتح من خلفه ..
ثم خطوات أنثوية سريعة ..
ثم زوجته تلهث الى جواره متسائلة :
- هل...هل مات؟!
همس:
- لست أدرى..
ومدقوفاً برغبة أجابة سؤالها، انحنى على الجسم المتكوم أمامه...
هرزه لحظة ..
ثم قلبه على ظهره، لتطلق زوجته صرخة رعب عاتية، أمام الوجه المتغضن الذى
حمل سكون الموتى ...
وبرعب هتف الزوج:
- يا إلهى ... يا للكارثة..

عادت زوجته لل بكاء الهستيرى وهى تردد:
 - لقد حذرتك .. قلت لك هدىء السرعة .. إنك لم تصغ لى ..
 هتف الزوج :
 - لقد ظهر فجأة دون مقدمات ولم يتحرك و ..
 وندت تلك السعلة الخفيفة من الجسد الساكن أمامه لتبتر حديثه
 وبمزيج من الفرع والأمل هتف الزوج:
 - إنه ..
 إنه حى ..!!
 وانحنى مجدداً على الجسد ، ثم وبتردد ألصق أذنه على صدر العجوز
 و أصفى ..
 خفقات قلبه الواهنة لازالت هنالك ..
 ثم سعلة خشنة من رثتين أنهكتها السنون ..
 وفتح العجوز عينيه .. دارت عيناه فى محجريهما لحظة تستكشfan ما
 حولهما ..
 ثم توقفتا أمام عيني الزوج الملتاعين ..
 و بصوت خشن و لكنه واهن قال العجوز:
 - ما الذى حدث ؟
 اندفع الزوج يقول :
 - لقد كان حادثاً .. لقد ظهرت أمامى و لم أستطع تضاديك و ..
 إننى على استعداد لدفع أى تعويض ..
 ابتمسم العجوز ابتسامة واهنة و قال محاولاً النهوض:
 - لا عليك .. لا علـ
 ثم بتر جملته مطلقاً صرخة ألم انخلع لها قلب الزوج و الزوجة و هو يمسك
 بساقه اليسرى قائلاً :
 - ساقى .. لقد كسرت ..
 امتزج صوته بنحيب الزوجة فى أذنى الزوج ليغطفى على دوى العاصفة و ليشعل
 عاصفة أخرى من التوتر و القلق فى أعماقه و هو يهتف:
 - ألا توجد مستشفى بالقرب من هنا؟!
 - منزلى إنه بالقرب من هنا .. أريد الذهاب إلى منزلى ..
 - و لكن .. ساقك ..
 هوت صرخة العجوز فى أذنى الزوج باترة، قاطعة:
 - أريد .. الذهاب .. إلى منزلى ..
 - حسناً .. حسناً ..
 و التفت إلى زوجته ليخرس نحيبها بصرخة :
 - ساعدينى على نقله ..

بدت زوجته كالآلة، إذ توقف نحيبها على الفور و ساعدت زوجها إلى داخل
السيارة و إن أخذت تردد بلا انقطاع :

- سامحنا .. لقد كان حادثاً ..

و ما إن أغلقت أبواب السيارة حتى ساد ذلك الشعور المريح بأن العصفه
أصبحت في الخارج !..

و متمصاً شخصية السائق مدفوعاً بخوفه قال الزوج :

- أين منزلك ؟

- سأرشدك ..

و عبر الطرق الجانبية، الأسفلتية في البداية و الطينية بعد ذلك ، شعر الزوج
بغمامة ثقيلة على نفسه تكاد تخنقه و تكاد تظلم الطريق أمامه أكثر و أكثر
هذا ما ينقصنا !..

ليت المدير كان مكان ذلك العجوز ..

يا إلهي ..

كان سيسوى جثته بالأرض و بكل استمتاع !

بلغا منزل العجوز أخيراً ، فرفع الزوج عينيه ببطء عن الطريق و أخذ يجول
بنظره في ذلك المنزل العتيق أمامه ..

كان الذى أمامه - و ببساطة - فيلا لم تمتد إليها أيدي العناية منذ عشر
سنوات على الأقل ..

و تحدث العجوز بصوته الواهن ليقول :

- ذلك هو المنزل ..

هل لكما أن تحملانى للداخل؟!

هتفت الزوجة على الفور:

- بالتأكيد ..

تحرك الزوج بألية تامة ليخرج من السيارة و فتح الباب الخلفى و انتظر حتى

انضمت إليه زوجته، و تعاوناً على حمل العجوز للداخل ..

و فى الداخل كان الاستقبال حافلاً .. مئات العناكب .. الظلام دامس .. ورائحة
العطن الرطب و ثمة ضوء ما يتسلل من غرفة ذات باب مفتوح ..

تقلص وجه الزوجه اشمئزازاً و هى ترمق هذا كله و ساعدت زوجها فى إنزال
العجوز على مقعد مغطى بالغبير قبل أن تقول :

- يا إلهي .. ألا يوجد من يعتنى بك ؟!

سعل العجوز سعلة مريعة أورثته إياها رطوبة المكان و أجاب:

- لا أحد على الإطلاق .. لقد ماتت زوجتى منذ زمن و لم نحظ بالأبناء ..

بدا التأثر على وجه الزوجة بينما تحدث الزوج بذات اللهجة الآلية :

- هل نحضر لك طبيب ؟!

أجابه العجوز:

- ثمة طيبب يقطن في الجوار هل ترى تلك الغرفة ١٩ نعم تلك المضاءة .. ستجد داخلها التليفون و دليل الأرقام .. الدكتور (مجدى على) .. إنه يعرفني .. دارت عينا الزوج من وجه العجوز إلى سماء الردهة المظلمة و السقف حيث تدلت منه بيوت العناكب .. ثم الباب الخشبي للغرفة المضاءة .. ذلك الضوء الذى أخذ يتذبذب بلا انقطاع ..

«لا توجد كهرياء .. إنها تتقطع دائماً لذا الغرفة مضاءة بالشموع» حمل الزوج قدمه من على الأرض و خطى أول خطوة و الغمامة تزداد ثقلاً و كثافة و تجعل تنفسه عسيراً و الرؤية شبه معدومة .. إنه يشعر أن تلك العاصفة فى الخارج تعصف بروحه .. تقتلعها من جذورها و تلقياها فى دوامة من الغضب .. انتزع الكلمة كأنه ينتزع أحشاه :

- سنتصل به ..

جاءت الخطوة الثانية أقل صعوبة ثم وجد نفسه - و ببطء - يتجه نحو الغرفة ..

و تبعته زوجته ببطء .. ثم تشجعن و أسرعن لتسبقه إلى الغرفة ، ثم زلزلت صرختها كل شيء .. جدران المنزل .. أعماق الرجل .. عظام العجوز .. بل و العاصفة ذاتها ..

و انتفض الزوج مسرعاً إلى داخل الغرفة ، لتبدأ الصورة فى التكون فى رأسه ببطء ..

فى الأول كانت الدماء .. الدماء الجافة التى لوثت الفراش .. ثم الطفل الصغير الذى حمل وجهه شحوب الموتى و قد استلقى جسده على الفراش الملوث و قد غطاه أحدهم بملاءة حملت بقعة ضخمة من الدماء الجافة .. و على الأرض كانت السكين التى تلوث نصلها ..

و انطلقت صرخة الزوجة مرة ثانية .. و ثالثة .. و رابعة .. إلى الأبد ! و لا شعورياً وجد الزوج نفسه يرمى هذه المذبحة أمامه .. يتجه إلى السكين .. يرتكب الخطأ الفادح الخالد فى عالم الجريمة

التقط السكين بيده ..!!

ثم التفت ليوواجه فوهة بندقية العجوز !!!

على باب الغرفة وقف مستنداً إلى عكاز خشبي .. كومة من العظام الواهنة تحمل بندقية و عينين يتطاير منها الشرر ... و خرج صوته كدفعة من اللهب :

- أيها القاتل ..

أخرست الكلمة صرخات الزوجة، و فجرت الدهول فى ملامح الزوج ، و تابع العجوز:

- قتلت حفيدى أيها الوغد .. أيها السفاح ..

سفاح !! ... وغداً قتلت حفيدي !!!

ما الذى يريد هذا الأبله؟!!

و فتح الزوج فاه قائلاً:

- أنا .. ل..

قاطعه العجوز:

- اخررس س ..

و جذب إبرة البندقية ليطل الموت من فوهتها ، و التمعت عيناه ببريق مجنون و

هو يقول:

- الشرطة قادمة حالاً و ستدفع الثمن ..

ردد الزوج ذاهلاً :

- ثمن ماذا ..؟

- ثمن موت حفيدي .. كلكم يجب أن تدفعوا الثمن ثمن معاناته .. المسكين عانى

المرض طويلاً .. لم أملك ثمن دواءه .. ثمن لحم أقدمه له فى الطعام .. و لو

قطعة صغيرة من اللحم .. كل ما استطعته أن أريحه .. منحته الراحة، و الآن

أطلب الانتقام ..

- أنت ... قتلته؟!!!!

- و أنت أمسكت السكين و كسرت ساقى ..

- لهذا ألقى بنفسك أمام السيارة ؟!

ابتسم العجوز ابتسامة مقيتة و قال :

- هذا أمتع ما حدث .. الوقوف على جانب الطريق .. إلقاء كيس من الدماء

على الزجاج .. ثم ..

ثم ألقى العجوز العكاز الخشبى !

و كومضات أخذت الصور تظهر و تختفى فى ذهن الزوج ..

و جه العجوز .. إذ سقطت عليه أضواء السيارة .. الدماء تصطدم بزجاج

السيارة .. ثم الجسد ملقى على الطريق .. بالحماقة .. إنه لم يرى نقطة دم

واحدة تسيل منه !!

و الآن يقف ممسكاً بالسكين .. أمام فوهة البندقية يحملها الوغد العجوز .. و

الشرطة قادمة

السكين فى يده ...!!!!

ربما لو طاشت أول طلقة من البندقية لوجد و قَتاً كافياً ليغمدها فى قلب

العجوز

«و الآن .. القى السكين أرضاً .»

قالها العجوز بابتسامة راضية فلم يجد الزوج مفراً من التنفيذ ..

- عظيم الشرطة ستصل بعد قليل ..

دارت عينا الزوج فى الغرفة .. فى ملامح العجوز القاسية .. فى جثة الطفل

المخيفة .. فى زوجته التى أخذت تتحب جواره غير مصدقة .. ثم فى الباب التى غطته الظلال فى الركن البعيد .. ترى إلى أين يقود !! .. حسناً إنه يقود إلى فكرة الهرب على أية حال ... و لكن هل يستطيع ؟؟؟؟

عاد العجوز يهذي و هو يتقدم إلى داخل الغرفة :

- ربما تتساءلان .. لماذا أنتما بالتحديد !! حسناً لقد كانت ضربة قدر و كان من الممكن أن يكون أى أحد آخر و ..

و تعثر العجوز فى عكازه الخشبي ليسقط أرضاً ..

و مرت لحظة الاختيار كالوميض فى ذهن الزوج .. هل يهرع من الباب فى ركن الغرفة أم ينقض على العجوز و ينتزع منه البندقية !!

لو تحرك بالسرعة الكا ..

و لكن العجوز ساعده على حسم قراره عندما ضغفت يده زناد البندقية لتتطلق رصاصاً طائشة ، اخترقت السقف ..

و على الفور قبض الزوج على يد زوجته و جذبها صارخاً :

- اتبعينى ..

و دلف على الفور عبر الباب الذى قاده إلى سلم مظلم ثم يتبين سوى أول ثلاث درجات منه

فأخذ يتقافز عليه دون و قد أعماه الظلام تماماً .. لكن من قال أن هناك خيار آخر ؟ .. هبط الثلاث درجات ثم هوى ..

هوى عبر السلم المحطم جاذباً زوجته معه .. زوجته التى أطلقت صرخة رعب مريعة قبل أن تسقط معه على أرض القبو ، لتفقد وعيها على الفور .. أو ربما ما هو أكثر !

أما هو فعلى الرغم من الإرتفاع المنخفض الذى سقط منه إلا أنه شعر بعظامه كلها تتن ألماً و هو يحاول أن ينهض ..

« تماماً كما توقعت »

دوى صوت العجوز ثم سطعت الأنوار بغتة ، فأغمض الزوج عينيه متأماً ..

و تابع العجوز :

- تماماً كما يحدث كل مرة ..

فتح الزوج عينيه فى ببطء و الكلمة الأخيرة تتردد فى أذنيه ..

كما يحدث كل مرة ..!!

ثم شهق بعنف عندما سقطت عيناه على القبو من حوله...

على العظام .. على الدماء .. على البقايا الأدمية المنتعنة .. على الغاز الوردى الذى تدفق من أركان القبو ..

و قال العجوز:

- نعم إنه غاز منوم و عندما أعود ستكون جاهزاً ..



و اختفى من مكانه تاركاً الزوج و رأسه تدور بشدة ..
الآن فقط فهم كل شيء بعد فوات الأوان و ..
مهلاً .. الدماء .. الآن فهم حقاً .. لقد كان الأمر خدعة و ..
و شهق أخيراً ثم سقط مغشياً عليه .. و إلى الأبد ..
و فى الأعلى .. و عندما عاد العجوز حاملاً سكيناً ضخماً و سلماً من الحبال ..
رمى الطفل الصغير الذى فتح عينيه بإعياء ، فترك ما معه على الفور و انتزع
الملاء المغطاة بالدماء و ليضع على جسد الطفل واحدة أخرى نظيفة ..
و بالإعياء الذى أطل من عينيه قال الطفل :
- جدى .. أنا جائع ..
رَبَّت العجوز على وجهه برقة و قال:
- على الفور يا صغيرى .. سأحضر لك العشاء حالاً ..
و تناول السكين الضخم و فرد سلم الحبال من مدخل القبو متابعاً فى رضا :
- سيكون هناك لحم على العشاء ..
و اتسعت ابتسامته الراضية أكثر ..





مرحباً

هل يحب أحدكم «موتسارت» ١٩.. .. حسناً.. أنا لا أحبه ..!!



وضع الجرامافون الثقيل أمامه و جلس .. لقد كانت صفقه جيدة مع التاجر على كل حال .. ومع ذلك فهو لا يدر سبباً محدداً لشرائه .. ربما لغرابه الفكرة .. ربما لأن شكله العتيق جذاب.. أو ربما لأن المطلقين حديثاً يفعلون أشياء غريبة حقاً ..!

أياً كان السبب ، إنه جالس الآن في منزله - الذى أصبح خاوياً إلا منه - يدخل بشرود و الجرامافون جائم أمامه منتظراً أى ردة فعل منه ..

و كان ذهنه شاردأ فى فكرة غريبة .. أن يحتل جرامافون عتيق مكان زوجته بالمنزل .. ألا يبدو الموقف أكثر هدوءاً بالرغم من كل شيء.. ١٩..

لقد كان هناك الكثير من الصراخ و الجدل و الغضب فى الفترة الأخيرة من زواجه ، قبل أن يحسم الأمر أخيراً و يتخذ القرار الذى شعر أنه كان يجب أن يتخذه منذ البداية ..

الطلاق ..

و مرت الأمور بسلاسة غير متوقعة هذه المرة ، بضعة إجراءات و أوراق و الكثير من الأثاث الذى أخذته زوجته فى ذهابها الذى بلا رجعة ، و ها هو يجلس الآن وحيداً فى شقة شبه خاوية يحدد فى جرامافون عتيق ، ابتاعه منذ ساعات من تاجر للعاديات ، لسبب لا يعلمه إلا الله ..

أخذ يحدد فى الجرامافون بانتباه شديد ، ثم فى الاسطوانة التى حملت بحروف إنجليزية كلاسيكية الخط كلمة «موتسارت»، و التى منحه له التاجر بلا اكتراث مردداً :

- لقد كانت مع الجرامافون .. خذها بدون مقابل ..

للحظة فكر .. «موتسارت» .. إننى لا أحب موتسارت بل إننى لا أحب الموسيقى الكلاسيكية أصلاً ..! ثم لم يلبث أن عدل عن هذا مغمغماً:

- و لم لا ١٩٩.. إننى لا أملك غيرها على أية حال ..

و هكذا وضع الاسطوانة فى الجرامافون .. و صنع إبرة الجرامافون على الاسطوانة .. لتتبعث موسيقى موتسارت تملأ الفراغ من حوله ..

و عاد هو لشروده مشعلاً سيجارة جديدة .. و على أنغام موتسارت بدأ يتذكر .. تذكر كيف رأى زوجته أول مرة .. أيام كانت وديعة لا يعلو صوتها على الهمس إلا قليلاً .. أيام كان وجهها يتورد خجلاً إذا قال لها .. «أحبك» .. تذكر أيام الخطوبة .. ابتسامتها عند اللقاء .. و اللفظة فى عينيها إذ يفترقا على وعد بقاء جديد ..

تذكر كي..

«مرحباً»..

باغته الصوت الأنثوى الذى انتزعه من أفكاره وجعله ينتفض مسقطاً السيجاره من بين أصابعه ، ليحرق في الجرامافون ذاهلاً ..

كانت الموسيقى قد توقفت و الاسطوانة تدور أمامه بلا توقف ..

هل توهم .. ١١٩.

ربما .. ١١٠.

بتناقل أطفأ السيجارة بضغطة من حذائه و أعاد إبرة الجرامافون إلى بداية الاسطوانة لتتساب الموسيقى مجدداً و لتتساب معها أفكاره ..

على الأقل إنه ليس صوت زوجته .. ١٠٠.

زوجته التى بدأت تكشف وجهها الحقيقى بعد الزواج ببضعة أيام ..

أشعل سيجارة نثت دخانها فى صمت و بدأ يحاول تخيل وجه زوجته فى الدخان المتراقص أمامه .. ظهر له الوجه المتورد لحظه خاطفة ثم تلوى الدخان و تلوت معه ملامح زوجته و فى ذهنه آخر حوار دار بينهما ..

- طلقنى أيها الأحمق .. لو أنك مازلت تحتفظ بكرامتك ..

- (منى) .. لا تجبرينى على إتخاذ رد فعل تتدمنين عليه ..

- إننى لم أندم إلا على زواجى منك ..

- هكذا إذن .. إنت ..

«مرحباً ..»

جاءت الإنتفاضة أعنف هذه المرة و هو يحرق ذاهلاً فى الجرامافون الذى انبعث منه الكلمة واضحه و صداها يرن فى أذنه ..

كانت موسيقى موتسارت قد انتهت و أخذت الاسطوانة تدور بلا نهاية مصدراً صوتاً رتيباً تسللت كلمة «مرحباً» فيه ..!

و يحذر اقترب من الجرامافون ، و مدّ أصابعه تجاه الاسطوانة بحذر أشد .. حاول أن ..

- « أنا اسمي (عزة) »

دوى الصوت الأنثوى الودود من الجرامافون ليجعله يقفز إلى الخلف مبهوراً .. إنه لم يخطيء إذن ..! و لكن ..

و لكن الاسطوانة انتهت فكيف يتبعث الصوت إذن .. ١٢٠.

« كيف إذن!؟ »

دوى صوت أنثوى آخر .. حملت نبراته بدلاً من الود توتراً و ذهولاً واضحين انتقلت عدوهما اليه، فجلس محرقاً فى الجرامافون ..!

عاد الصوت الودود يقول:

- « أرجوك لا تخافى »

صرخ الصوت الآخر:

- « يا إلهى .. من أين أتيت!؟ »



تحدث الصوت الأنثوي الودود مجيباً:

- «أعرف أن هذا يبدو عسيراً على التصديق و لكن .. و لكننى ..»

و انقطع الصوت بفته ...!

و لم يخرج هو من ذهوله إلا عندما لسعت السيجارة أنامله ، ليبدأ فى التحديق
ذاهلاً فى الاسطوانة التى أخذت تدور مطلقة هذا الصوت الرتيب ..

ثم همس :

- ترى .هل .!٩..

و لكن الصوت لم يأت هذه المرة ..

ترى هل توهمت !٩..

هكذا فكّر ليصيبه هذا بالعصبية و ليدفعه إلى أن يضع إبرة الجرامافون على
بداية الاسطوانة مجدداً لتخلل أفكاره موسيقى موتسارت ..

و عاد هو يجلس مشعلاً سيجارة ثالثة منتظراً انتهاء الموسيقى التى بدت له
و كأنها لن تنتهى إلا بانتهاء حياته هو ..!

يا إلهى !.. لكم أكره الموسيقى الكلاسيكية !..

و خاصة هذا الـ (موتسارت) !..

ثم انتهت الموسيقى أخيراً لينفس الصعداء .. و ليبدأ فى الإصغاء شاحداً كل
اهتمامه .. الصوت الرتيب لدوران الاسطوانة .. ثم و بعد أن كاد يفقد أعصابه
تماماً ..

الصوت الأنثوي المتوتر:

- «إنه هذا يبدو عسيراً على التصديق بحق ..»

الصوت الودود :

- «أعرف .. لكنها الحقيقة»

الصوت المتوتر يقول بحذر:

- « حسناً يا عزة .. كيف بدأ الأمر إذن؟»

الصوت الودود يجيب :

- « لقد كان خطأ منى منذ البداية .. لقد تزوجت رجلاً مخبولاً ..»

ضايقت الكلمة الأخيرة غريزة الرجولة داخله، لكنه حاول تجاهلها راسماً فى
خياله صورة لما يسمعه الآن .. صاحبت الصوت الودود ترتدى الأبيض و تجلس

أمام صاحبة الصوت المتوتر و الجرامافون إلى جوارهما ..

بالتأكيد كان هناك جرامافون ..

صاحبة الصوت الودود تقول:

- « لقد بدأ كل شيء منذ عشرة أعوام عندما قررت فجأة التصدى لرغبة والدى

و الزواج من زميلى فى الجامعه ، لم أفكر حينها لماذا فعلت هذا ، هل لأننى أحبه

حقاً أم لمجرد تنفيذ رغبتى ؟ و لكن البكاء على اللبن المسكوب ضرب من الجنون

.. و هكذا و جدتتى أبدأ حياتى مع (مراد) ..»



تحدثت صاحبة الصوت المتوتر ليجتاح توترها بعض الملل :

- « إلى هنا تبدو القصة التقليدية »

و لابد أن صاحبة الصوت الودود قد ابتسمت قبل أن تجيب :

- « أعرف .. شديدة التقليدية .. حتى بدأ هو يدمن الخمر .. هل رأيت يا سيدتي من يدمن الخمر من قبل ..؟ لا .. إذن دعيني أؤكد لك أنه يكون مجنوناً تماماً و خطراً .. خطراً إلى حد لم أدركه إلا متأخراً .. جداً »

- « كيف..؟! »

- « بدأ الأمر معه بالتأخر .. كان يأتي كل ليلة و الفجر يرسم خطوطه الأولى في السماء و كنت أنتظر أنا جالسة على مقعد أمارس هوايتي في التريكو و الجرامافون بيت أنغام موتسارت .. رياه كم أعشقه .. »

- « زوجك ..؟! »

لا بد أن الإمتعاض ظهر على ملامح صاحبة الصوت الودود و هي تجيب:

- « بل موتسارت بالطبع .. تصوري .. كان يكره موتسارت إلى حد الجنون .. مجرد وغد آخر لا يحب موتسارت .. »

- « إحم .. لكنني أيضاً لا أحب موتسارت .. »

ساد الصمت للحظات بعد كلمتها .. و في ذهنه هو تخيل صاحبة الصوت الودود ترمقها بنظرة مبهمة قبل أن تقول:

- « ثم جاءت تلك الليلة التي حاولت فيها الاعتراض و كان هو قد فقد عقله تماماً و لم أتخيل رد فعله .. لقد انفجر .. و دفعت أنا الثمن .. »

- « ما .. الذي .. فعله .. بالضبط ..؟! »

- « أخذ يصرخ أولاً .. صرخ و سب و لعن و هذى فانفجرت أنا الأخرى لأطلب منه الطلاق .. لم أتصور حينها إنني أثرتة إلى هذا الحد لكنني فعلت .. و هالك ما فعله بالضبط .. لقد ألقاني أرضاً و حمل الجرامافون الثقيل ليهوى به على ظهري .. هوى به مرة ثانية و ثالثة حتى كسر عمودي الفقري ليشلني تماماً ، ثم أخذ اسطوانة موتسارت التي تحطمت تماماً و هوى بالطرف الحاد المكسور على عنقي .. لقد بدا لي الأمر حينها أنه أخذ يهوى إلى الأبد .. الشرطة قالت بعدها أنه لم يتوقف حتى فصل رأسي عن جسدي .. »

- « يا إلهي .. لكن .. سيدة عزة ما الذي تغليبه ..؟! »

- « دعيني أكمل لك أولاً .. لقد قتلني .. لكنني عدت كما قلت لك .. أعرف أن الأمر عسير التصديق لكنني عدت .. و جعلته يدفع الثمن .. »

بدا الصوت المتوتر يختق و هو يقول :

- « ما .. الذي تغليه .. نه .. بالضبط ..؟! »

- « أكرر ما فعلته معه تماماً .. »

لقد كنت أهوى التريكو كما قلت لك ، لا تتصوري كما لم أتصور أنا ما الذي يمكن فعله بإبرة تريكو .. لقد غرست الإبرة في عنقه ..





بل إن يدى كلها غاصت فى عنقه .. للشبح إمكانيات كما تعرفين ..
ثم أدت الخيط حول شرايينه العنقية، و أدت الخيط مرة أخرى لأصنع
أنشودة كالتى يستخدمها رعاة البقر.. ثم بدأت أجذب الخيط لتضييق الحلقة
حول شرايينه .. لقد تألم كثيراً ..
الوغد الحقير تألم كثيراً و أنا أضيق الحلقة أكثر و أكثر .. «
هز الصوت المتوتر أعصابه و هو يجاهد ليصرخ قائلاً :
- « عزة .. أرجوك .. كفى ..! »
إنها .. إنها - صاحبة الصوت الودود - تكرر معها ما فعلته بزوجها !..
يستطيع الآن أن يتخيلها تجذب الحبل الخارج من عنق صاحبة الصوت المتوتر
بيطء .. وواصلت صاحبة الصوت الودود :
- « لكن هذا لم يكن المؤلم .. ليس مؤلماً كفاية كيفما أردت .. لذا أرخيت الخيط
لحظة .. ثم .. ثم جذبته فجأة بكل قوتى .. »
و شهقت صاحبة الصوت المتوتر ..
فجأة و مرة أخيرة !..
و اكتست الصورة التى رسمها فى ذهنه بالدماء .. دماء تفجرت من حلق صاحبة
الصوت المتوتر و أسفل جلد عنقها إذ تمزقت شرايينها لتغرق ملابسها و عينيها
الجاحظتين و لسانها المتدلى مع الدماء يعلنان كلمة النهاية ..
نهاية حياتها !..
و فى ذهنه ارتسم تعبير قاس على وجه صاحبة الصوت الودود وهى تفلت
الخيط قائلة :
- « أعرف إنك على الأقل تريدان أن تعرفى (لماذا ؟!) ..
حسناً ..
السبب لأنك كنت تكرهين موتسارت تماماً كما كان يفعل هو ..
هذا هو السبب .. »
و توقف الصوت أخيراً ..
فقط الصوت الرتيب لدوران الإسطوانة ..
إسطوانة موتسارت .. موتسارت الذى يكرهه !
يكرهه !..
هو أيضاً يكره موتسارت .. هو أيضاً ابتاع الجرامافون .. هو أيضاً سمع القصة
..
هو أيضاً عاجز عن الحركة الآن !..
عاجز حتى عن إلقاء السيجارة التى تحرق أنامله الآن ..
عاجز عن الإلتفات إلى صاحبة الصوت الودود .. التى ترتدى الأبيض .. ممسكة
إبرة تريكو يتدلى من خيط .. و التى ظهرت على المقعد المجاور له بغتة ..
لتقول :

- مرحباً ..
و ازداد صوتها وداً و هي تقول :
- أنا اسمى عزة .. أعرف أن هذا عسير التصديق .. ولكن و لكننى .. شبح ..



عندما اكتشفت الجثة بعد ذلك ببضعة أيام .. وقف هذان الشرطيان الشابان و أولهما يقول محدقاً في الجثة المغطاة بملاءة بيضاء مظهرة بقعة دماء واضحة في منطقة العنق و الرأس:
- طريقة عجيبة في الانتحار حقاً ..
- المطلقين حديثاً يفعلون أشياء لا تصدق ..
- و يبدو أنه فعلها على موسيقى موتسارت ..
مط الشرطى شفثيه قبل أن يقول :
- هل تحب موتسارت؟ ..
- حسناً .. أنا لا أحبه ..!





خطوات

« كنت أسمع تلك الخطوات .. كنت أسمعها كل ليلة »



اليوم احتفل بمرور عامين على وحدتى ..
أن تعيش وحدك ، فهي تجريره قاسية ... تجريره فريدة ... تجربة ممتعة ..
أنت تعيش وحدك فهذا هو الكمال فى حد ذاته ...
أن تعيش فى شقه بمفردك، دون أصدقاء أو أهل أو أقارب أو حتى هاتف ،
يقطع خلوتك الذاتية برنين مزعج ،هذا هو ماكنت أصبوا إليه ، و هذا هو
ماحصلت عليه ..

يغلقتنى الصمت التام ... صمت لا يلوته حتى ضوء الشمس ، فلقد دقت ألواحًا
خشبية على جميع النوافذ ، لأصنع سجنى الخاص الذى لا أملك فيه سوى
كتابى الوحيد أيضًا ، أقرأ فيه كل ليلة دون أن ينتهى ...
أستيقظ كل يوم لأجلس ساعات طويلة على الفراش ، لا أملك حتى القدرة على
معرفة إن كان الوقت ليلاً أو نهارًا ، ولا أبارح مكانى إلا لتلبية ضروراتي القصوى
، ثم افتح كتابى وأبدأ فى القراءة حتى يغلبني النعاس ، فلا ألتقى بأحد إلا فى
أحلام مضطربة أستيقظ منها والعرق اللزج يغمرنى ، عاجزاً عن تذكر ماكنت
أحلم به ...

هذه هى حياتى بلا زيادة أو نقصان ...

لماذا اخترت هذا النمط من الحياة ؟؟ ...

لا أذكر ... كنت أذكر السبب فى مرحلة من مراحل وحدتى ، لكن كل الأسباب
وكل المنطق ذابوا فى أطنان الصمت الذى يحيط بي من كل جانب ...
صمت طويل مستمر ثقيل مقدس .. أشك أننى لو حاولت أن أصدر صوتاً ، فلن
أستطيع أن أبدد جزءً من هذا الصمت ...

كنت أحدث نفسي فى مرحلة أخرى من المراحل وحدتى هذه ، وهى عادة تحتاج
لتدريب وإصرار لتكتسبها ، و إلى مزيد من الصمت لتوقف عنها ، بعد هذا لن
يتبقى لك شيء ...

فى المرحلة التى وصلت لها ، ستدرك أن الجدوى من أى شيء ... لا شيء !
ستصل إلى حالة لم يصل إليها كاهن قضى نصف عمره فى التبت ، وستبدأ
الموجودات من حولك ، تتحول إلى صور صور ثنائية الابعاد ، غير ذات قيمة أو
لون ...

مجرد ظلال صامتة هى الأخرى وفى النهاية مزيد من الصمت
والوحدة ..

أصبحت عاجزاً عن التفكير فى أى شئ أو تذكر أى حدث مررت به ، قبل أن

أدفن نفسي في عزلتي الإختيارية هذه ...
حتى الكتاب الذي أقرأ فيه كل ليلة ، أستيقظ دون أن أتذكر حرفاً واحداً مما
قرأته ...

لكني لم أتوقف عن القراءة ... لا يوجد شئ آخر لأفعله
لا مدياع ... لا تلفاز ... لا صحف ولا أنزل حتى من المنزل لأشتري شيئاً من
الطعام ، فلدي هنا ما يكفيني لأعوام مقبلة
ولدي الكتاب والوحدة والصمت ... أنا أغنى رجل في تاريخ البشرية إذن !
دخنت لفترة على سبيل التغيير ، لكن سحب الدخان المتراكمة مع نقص التهوية ،
أجبرتني على التوقف ، وها أنا قد نجحت فيما عجز عنه أي مدخن آخر ...
على كل حال لست هنا ، لأصف لك سعادتي المفرطة ولا يؤسي المتراكم ، أنا هنا
لأحكي لك ما حدث - لا يعني هذا أنك تهمني في شئ ! - لعل أفهم ...
مشكلتي بدأت حسبما أذكر ... أذكر ... حتى هذا لا أذكره على وجه الدقة ،
لكني أعرف أن الوقت كان ليلاً حينها ، وأنني كنت أقرأ في كتابي كالمعتاد ...
والذي حدث هو أنني سمعت تلك الخطوات لأول مرة ..
خطوات ثقيلة خطوات واثقة خطوات أنثوية لحذاء ذو كعب معدني ،
أخذت تصعد الدرج متجهة إلى أعلى ...

إلى شقتي!

أذكر أنني انتفضت حينها ، فأنا لم أعرف زواراً منذ جئت إلى هنا ، ولم أعتد
أن يصعد أحد إلى شقتي ، فهي في الطابق الأخير ، ولم يجزؤ أحد من الجيران
على محاولة التعرف إليّ ، لذا ... لكن مهلاً ...
هذه الخطوات تتجاوز الشقة ، لتسير قليلاً في الممر أمام المنزل ، ثم هاهي
تواصل الصعود الى السطح ، ولكن
ولكن كيف ؟!

باب السطح مغلق ببوابة معدنية صدئة ، لم ينجح أحد في فتحها من قبل ، فإلى
أين تذهب صاحبة تلك الخطوات ؟
أذكر أنني ألصقت أذني بباب الشقة مصغيّاً إلى صوت الخطوات تواصل طريقها
إلى الأعلى ، ثم ارتجفت حين سمعت صوت الباب المعدني يفتح بصريير مخيف
لأول مرة منذ جئت إلى هنا

من هذه المرأة ؟ .. وكيف فتحت الباب بمفردها ؟
سؤالان لم أحاول التفكير في إجابتهما طويلاً ، قبل أن أعود لأغوص في وحدتي
وصمتي ، ولكن ما حدث بعد هذا ، كان جديراً بإثارة فضولي أكثر وأكثر
الخطوات الأنثوية الثقيلة بدأت تدق السقف فوق رأسي ، ثم سمعت الصوت
المعدني المميز لسلسلة مفاتيح تتراقص في أصابع صاحبها ، ثم صرير فتح الباب
مجدداً ...
باب آخر في السطح الذي أعرف يقيناً أنه خالي تماماً ، لا توجد فيه ولو غرفة



ذات باب لتفتح ...!

لم تتوقف الأصوات عند هذا الحد ، بل تحركت الخطوات قليلاً ، يصاحبها صوت إغلاق الباب الثانى ، كأن صاحبة هذه الخطوات دخلت شقتها ، وأغلقت الباب خلفها ...

لكن .. لكن ... لكن لا توجد شقة فى الأعلى !

صمتت الأصوات عند هذا الحد ، وعاد الصمت المقدس يغمرنى من كل إتجاه ، لكن صخب الأسئلة فى راسى كان مدوياً بحق ، فلم أستطع النوم فى هذه المرة ..

كيف فتحت الباب المعدنى ١٩

إلى أين دخلت وما الذى تفعله فى الأعلى ١٩

من هي أصلاً ١٩

بالطبع لم أحصل على إجابة واحدة لأي من هذه التساؤلات ، فعدت لكتابى الأثير ، أقرأ فيه حتى غلبنى النعاس ... إلى هذا الحد يكاد الأمر يبدو سخيلاً مكرراً ، لكن ما حدث بعد ذلك لم يكن كذلك ...
أبدأ ...



فى اليوم التالى استيقظت والعرق اللزج يغمرنى ، شاعراً بثقل على صدرى يكتم أنفاسى هذه الشقة تحتاج للتهوية حتماً ...
لكن لا ...

الهواء الذى سيدخل سيحمل معه أطناناً من ضوضاء ، لم أعد قادراً على احتمالها ..

أذكر أن شيئاً ما غريباً حدث فى الليلة الماضية ، لكنى لا أذكر ما الذى حدث بالضبط ...

سنوات الصمت أحالت ذاكرتى الى مصفاة لا تبق على شيء ، وها أنا لا أحمل من ذكريات الليلة الماضية سوى صورة مشوشة لحذاء أنثوى ذو كعب معدنى ، دون أن أملك القدرة على تذكر ما الذى تعنيه هذه الصورة ..

شرحت لك يومى من قبل ، لذا لن أطيل عليك ، بل سأقفز مباشرة إلى النقطة التى أعرف جيداً أنك توقعتها ...
لقد سمعت الخطوات مجدداً ...

خطوات بطيئة خطوات مهيبه ... خطوات تصعد ...

تتابع الأصوات بعد ذلك ، حدث كالمرة الأولى تماماً ... الصرير المعدنى .. سلسلة المفاتيح ... باب يفتح ويغلق ، والخطوات تدق السقف طيلة الوقت كأنها ستهوى

تماماً - أن الخطوات ستعود ...

وستصعد ...

لم تكن لدى أى فكرة عن الذى سأفعله بالضبط ، ولكنى أثق فى أننى لن أقف ساكناً هذه المرة ، لذا ...

لذا ها أنا أقف أمام باب الشقة منذ استيقظت ، أقبض على سكين المطبخ الصديء وأنتظر ..

أنتظر الخطوات ...

لم يعد الصمت يغلفنى ، فضربات قلبى فى صدري ، كانت تدوى فى أذنى بضجيج مؤلم ...

ضجيج لن يتوقف إلا لوحدثت النهاية التى أخشاها ...!

كيف لم أنس ما حدث الليلة الماضية كما هى عادتى ؟! ... حسناً ... أعرف أنه حل مجنون نوعاً ما ... لكنى كتبت كل ما حدث على الجدار ...

لا أحاول إستيحاء عادات فرعونية قديمة ، لكنى لا أملك ورقاً هنا ، ولم أكن

أريد أن أنسى ما حدث ، لأبقى فى عذاب عدم فهمى إلى الأبد ... لذا ها أنا

أقف أمام جدار كتبت عليه ملخص ما حدث الليلة الماضية ملخص رديء ... لكنه يكفى

أعرف أنك تتسأل الآن عن الذى حدث ليلة أمس ، بعد دوى الصرخة ...

أعرف لكنى لا أملك رداً ... فلم يحدث شيء على الإطلاق !

حتى جيرانى - عليهم اللعنة - لم يتحرك أحدهم ليتحرى مصدر هذه الصرخة ...

المهم أن الأصوات أختفت بعدها ، وعاد الصمت - نسبياً - ليلتها ، فأخذت

أسجل على الحائط كل ما حدث ، لذا لا تستغرب لو رأيت كم علامات

الإستفهام على الحائط ...

وها أنا أنتظر خطوات الإجابة ...

طال انتظارى ، حتى كدت أعدل عن الفكرة كلها ثم ... ثم ...

ثم سمعت الخطوات تصعد ...

خطوات مخيفة خطوات رهيبية ... خطوات قادمة نحوى ...

كنت أرتجف حتى كاد السكين فى يدي يسقط ، لكنى تحاملت على نفسى ،

لأفعل ما لم أفعله منذ سنوات ...

أزحت رتاج الباب ... أمسكت بالمقبض .. التقطت نفساً عميقاً ... ثم فتحت

الباب ... فتحتة قليلاً ، ودسست رأسى فى الفرجة الضيقة ، لأرى ظلام الدرج ،

وصوت الخطوات يصعد ويقترب ... ويقترب ...

ثم رأيتها لأول مرة .. يا الهى ... لقد رأيتها !

كانت بلا وجه ... كان الشعر الأسود الطويل يغطى رأسها تماماً ... وكانت

ترتدى فستاناً أبيض اللون يشع بالضوء وكانت بلا ساقين !

كانت تحلق على الأرض كأنها تسير على وسادة هوائية ، لكن صوت الخطوات كان يعلو من تحركها وهي تصعد متجهة نحوى نحوى أنا !
البرودة المخيفة تشل أطرافى ... السكين يسقط من يدي فعلاً ... وشعري ينتصب كقنفذ ... و هي تصعد مصدرة صوت الخطوات المخيف
حين استدارت لتتظر إليّ أخيراً ، انفجرت أنا فى صراخ هستيرى ، وانتفض جسدى كله كأنما صعقنى البرق ، ويدي تتصرف تلقائياً لتغلق الباب ، ثم حملتني ساقاي إلى غرفة النوم ، حيث تكومت فى أحد الأركان ، ضاماً ساقاي إلى صدري ، وانفجرت فى البكاء وأنا ارتجف ...
أنا أهذى أنا أهذى أنا أهذى ...
مستحيل ان يكون ما رأيته صحيحاً ... مستحيل ... مستحيل !



لم أجد فى نفسى القدرة على كتابة ما حدث هذه الليلة ، لذا نمت مكانى ، واستيقظت فى اليوم التالى عاجزاً عن تذكر ما حدث ...
كنت لا زلت أرتجف ... شيء رهيب حدث ليلة أمس لكنى لا أذكره
فقط أذكر الخطوات ...
كنت أسمع هذه الخطوات .. كنت أسمعها كل ليلة !
وكنت أعرف أنتى سأسمعها مجدداً هذه الليلة ... وهذا ما حدث سمعت الخطوات تدق أعصابى فى موعدها المعتاد تصعد الى أعلى ، ثم تتابع الأصوات المعتاد فوق السقف ...
لا ... لن أسمح لهذه الخطوات بأن تدمر حياتى فلتكن خطوات الشيطان ذاته فلن يمسنى بسوء ، طالما أنا فى شقتى لا أغادرها ، وأنا لم أكن أنوى المغادرة بأى حال ...
ما سأفعله الآن هو أنتى سأجلس على فراشى كالمعتاد ، وسأواصل القراءة فى كتابى كما اعتدت أن أفعل كل ليلة ...
وبالفعل فتحت الكتاب محاولاً السيطرة على تلك الإرتجافة التى تغمر جسدى وبدأت فى القراءة ، حتى سمعت ذلك الصوت الجديد ...
صوت شيء حاد شقّ الهواء كأنه سيف هائل ، ثم صوت الارتطام ...
ثم سقطت أول قطرة دم من السقف على الكتاب المفتوح بين يدي ...!
ماذا تفعل لو كنت مكانى ؟!
هل تصرخ ؟! هل تبكى ؟! هل تهرب ؟!
حسن ... أنا لم أفعل ..
أنا لم أجرؤ على فعل شيء !

فقط رفعت رأسي إلى السقف، لأرى دائرة تصبغ باللون الأحمر وصوت الصفير
يتكرر مرة أخرى، لتسقط قطرة دم أخرى ...
بليك...
لقد جننت ... أرجوك يا إلهي ... لقد جننت...
بليك...
هذه القطرة سقطت على رأسي .. وها هي تسيل لزجة على جبهتي ..
بليك...
صفير .. ارتطام .. قطرات...
وها أنا أسير الآن كالمأخوذ ... أغادر الفراش .. الشقة .. أصعد الدرج...
أصعد...أصعد...أصعد...
الباب المعدني مفتوح ... أدخل ... أراها ثانية...
وأرى السكين الضخم في يدها تسيل الدماء من على نصله ...
تلتفت هي لي ، ويدوى صوتها في أذني ..
« أبي... لقد عدت »
!!!!!!!!!!!!!!!!

●●●●●

« أبي .. لماذا نسيتني ؟ »
« لأن النسيان نعمة يا حبيبي ... النسيان نعمة »

●●●●●

دعني أحكي لك قصة رجل كان سعيداً...
دعني أعرفك بـ (أنا) في وقت آخر .. أنا حين كنت زوجاً ... وأباً...!
أنت الآن تراني أدخل منزلي عائداً من عملي ، أحمل في يدي حقيبة الأوراق
وبعض الفاكهة، كأبي زوج تقليدي..
أنت الآن ترى ملاكي الصغير (رنا) وهي تجري نحوي بأقدام مكنتزة طفولية
تردد :
- بابا... بابا...
أضع ما في يدي على أي شيء مسطح ، وأستقبل طفلتي بين ذراعي ، أضمها
بحرص ، وأطبع على خدها قبلة صغيرة .. وأداعب شعرها الناعم قائلاً :
- مرحباً بصغيرتي الحلوة ..

طفلتي لاتزال في الخامسة من العمر ، وهي بالنسبة إليّ ، مباحج الدنيا كلها

مجتمعة في جسد صغير ...
زوج وزوجة وطفلة صغيرة ...
مشهد تقليدي تمامًا ، وأنا لم أعدك بأي نوع من التجديد ...
لكني وأنا أتذكر الآن واقفًا على السطح، ارتجف بردًا وهلعًا، أراه لحظة من ماض
اندثر ...

ماض كنت فيه عاديًا و تقليديًا .. فكيف انتهى بي الحال بهذه الصورة ؟
هذا هو السؤال ...

زوجتي كانت امرأة طيبة .. تزوجتها بعد قصة حب مراهقة ..انتهت بأن
أصبحت زوجتي ، وانتهى الحب بأن أصبحنا صديقين يخوضان متاعب الحياة
معًا ... ثم رزقنا بـ (رنا) لتضيف إلى حياتنا معنى جديدًا .. معنى جميلًا
كانت(رنا) تتمتع بجمال ملائكي لا أعرف مَن ورثته، وكانت كل ضحكة تطلقها
، تغسل هموم اليوم كله ، و تمنحني سببًا جديدًا للإستمرار ...
تمر علينا السنوات وتكبر(رنا) ...

ها أنا الآن أراها فتاة صغيرة ، تعود من المدرسة بمفردها ، تحمل حقيبتها
الصغيرة و تبسّم وهي تحكي لنا عن يومها ...
ويمر الزمن كعادته ...

تكبر هي ونكبر نحن ... يأخذ منا الزمن ويعطيها ...
ابنتي الآن على أعتاب المراهقة والجامعة ... فاتنة كأميرة ... رقيقة كندف
الثلج ... وهي تحب...!

أنا أعرف هذا وأدركه جيدًا .. أسمعها تتهدد ... أراها تحلم ... أشعر بها طيلة
الوقت ...

لكنها لاتزال طفلة في نظري .. و لا تزال في السادسة عشر من العمر في نظر
المجتمع .. فأي نهاية تنتظرها لقصة الحب هذه ؟
إن أفضل الإفتراضات التي تملكها لن تتحقق إلا بعد سنوات طويلة ، لذا حين
جاءتني ذات ليلة، لتحديثي عن ذلك الذي اسمه(رامي) حاولت شرح هذا كله
لها ...

حاولت وحاولت وحاولت ... فكانت النتيجة :

- إذا لم تزوجني من رامي ... سأنتحر !

تقولها هي بصوت لم أسمعه منها من قبل ، فتتحرك ذراعي لتطبع صفقة مدوية
على وجهها ...

أول وآخر صفقة لها ...

تتجمع الدماء في وجهها وعينيها وفي قلبي ... وتتركني لتنفجر في البكاء في
غرفتها ، بينما أقف أنا جامدًا ، لا أصدق ما اقترفته يداي ...

لابأس .. ستبكي قليلاً ثم ستنسى الموضوع كله .. إنها مراهقة ، وكلنا مررنا
بهذه الفترة وكلنا أجدت معنا الصفعات نفعًا ...





لابأس ... حين تستيقظ ستكون قد نست ذلك الذي اسمه رامى ...
أنا واثق من هذا ...
لكن .. فى تلك الليلة استيقظت على صراخ زوجتى ... وقبل أن أصل إليها كان
قلبى قد أخبرنى بما حدث ... لقد فعلتها...!
الآن أنا أقف فى غرفة ابنتى ... أصغى لصراخات زوجتى الهستيرية وهى
تحتضن الجثة الغارقة فى الدماء ...
لقد فعلتها...!
تدور الدنيا بى و أنا أرمى هذا المشهد ، عاجزاً عن النطق و عن الحركة ...
الآن فقدت آخر سبب كان يدفعنى للإستمرار ... لقد فعلتها ...
الآن أتمنى لو أننى مت ألف مرة ، قيل أن أمنحها صفعه النهائية ...
الآن أرى تلك الورقة التى تعلقت بيدها ... يدها التى خرجت من أوردتها
المقطوعة دماء الحياة بلا رجعة ...

« حبيبتي ... لو فرقتنا الحياة ، فعلى الموت أن يجمعنا إلى الأبد ...
سأنتظرك .. إما فى هذه الدنيا... أو فى عالم الخلود ...

رامى
يا للمراهقة ... يا للمأساة !
كلنا قرأنا (روميو و جوليت) فى مرحلة من مراحل حياتنا ، لكن... هل جريت
أن تعيشها بنفسك ؟
و فى أسوأ دور ممكن ؟
أنا فعلت .. ودفعت الثمن ..



لكن (رامى) لم يفعلها ...
هذا ما عرفت لاحقاً لا أحد فى كلية ابنتى اسمه (رامى) انتحر ... لم ينتحر
أحد سوى ابنتى .. ابنتى أنا ..
الوغد الجبان النذل لم يفعلها ، لكنه ترك ابنتى تتزف حتى الموت و هى تتردد
اسمه ...
سيدفع الثمن أقسم أنه سيفعل ...



هل جربت أن تقتل من قبل ؟ ... لا .. إذن اصنع لي جيداً أيها الساذج ..
 أول ما عليك فعله هو أن تدرس ضحيتك جيداً، لتنتقي أنسب وقت ممكن لتنفيذ
 هذه المهمة القذرة ، و بالتقدير الكافي من الأناقة التي ستجعلك لا تترك دليلاً
 واحداً يشير إليك ...
 هذه مهمة صعبة بالمناسبة، لكنها الضرورة ... فلا يزال مشهد جثة ابنتي الغارقة
 في الدماء يطاردني كلما أغلقت عيني ، ولم أعد أستطيع الإحتمال ..
 هناك مشكله أخرى عليك أن تتجاوزها نفسياً، وهي أنك ستقتل شخصاً ...
 شخص يحب ويكره و يفكر و يضحك و ينام و يحلم و يصيب و يخطيء ... مثلك
 تماماً ...
 و كل هذا سينتمي على يديك ...
 أنت ستضع حدّاً لحياته وربما لحياتك لو انكشف أمرك لذا عليك أن تفكر
 ملياً ... أن تفكر طويلاً ... بعدها سيتحول الأمر بالنسبة لك ، مهمة عليك
 أن تتجزها، و سيتحول الشخص في مهمتك الرهيبة هذه إلى شيء تتخلص منه
 تماماً ككتاب قديم ملئت قراءته ...
 هكذا استغرقت في تفكير عميق، دام لأشهر طويلة ، لم أخرج منه إلا لأدفن
 زوجتي التي ماتت حزناً على ابنتها ، لتتضم إليها في العالم الآخر ، ولأتفرغ أنا
 لمهمتي الحتمية ..



هنا يبدأ المرح الحقيقي ... و هنا تتأكد حقيقة أن لكل مأساة ، جانب كوميدي
 قد يكون أكثر قسوة من المأساة ذاتها ...
 «رامي» من ؟
 عرفت أن في كلية ابنتي الراحلة أكثر من طالب يحمل هذا الإسم المقيت
 (رامي) .. لكن من منهم على وجه التحديد الذي أعطى ابنتي الدفنه الأخيرة
 على حافة النهايه ؟
 هذا سؤال مهم .. هذا سؤال منطقي... هذا سؤال سيبرر للجميع موقفتي حين
 أنفذ ما انتويت تنفيذه ..
 الحل اذن ؟
 هه ..
 لا بد أنك استنتجتته مبتسماً ... نعم ... ستصبح كلية تجارة هذا العام
 بلا (رامي) ... أي (رامي) !



شبح ابنتي يتجه تجاهي بلا ساقين و السكين في يدها لا يزال يقطر دمًا ..
تردد بصوتها الحالم :
أبي .. إنه أنا ..
لكن لا .. سأركز .. سأركز ..
نعم .. إنني الآن أتذكر ..
أتذكر كيف قتلت أول (رامي) ..



كان اسمه (رامي محمد) .. كان عمره سبعة عشر عامًا .. كان في طريقه
للمنزل ..
كان يعيش في أحد الأحياء الفقيرة التي لم تسمع شوارعها لفظة (إضاءة) و
كانت هذه النقطة في صالحه .. كان يحمل في يده تلك الأكياس البلاستيكية
السوداء التي تشي بأن الفاكهة هي محتواها ، و كان هذا لحسن حظي ، فهذا
لن يعيظه فرصة للمقاومة و أنا لست بالشاب الفتى لأصارعه ..
كان يمرّمن جواري و كله طمأنينة ، فمن الذي يقلق من عبوز مثلي يسير بمفرده
في ظلام الطريق ؟ .. لكنه شعر .. في تلك اللحظة الأخيرة في عمره و بعد أن
تجاوزني بخطوتين شعر بشيء ما ، و استدار تجاهي ليجد يدي تغرس السكين
لآخره في صدره ، بينما يدي الأخرى تكمم فمه لتمنعه من الصراخ ..
لثوان تجمدت عيناه الجاحظتان على نظرة مزجت الهلع بالدهشة بالغضب بالألم
، ثم تراخت يده لتسقط الأكياس من يده ، قبل أن يسقط هو كصخرة ..
هكذا يموت الإنسان .. تخرج الروح و لا يتبقى سوى جسد سيبل في التراب ..
هكذا لم يعد هناك (رامي محمد) ..
فقط جثة غارقة في الدماء ..
أما أنا فكنت قد أخذت كمًا من الحبوب المهدئة منعني من الذعر ..
نعم لقد قتلت إنسانًا ، لكنني لن أستوعب هذه الحقيقة حتى أعود إلى منزلي ..
الآن أستعيد السكين لأدسه في ملابسي
و أبتعد بسرعة دون أن يشعر بي أحد ..
الآن أتحوّل من أب مكلوم إلى قاتل ..



لكنه لم يكن (رامي) المطلوب .. عرفت هذا حين زرت قبر ابنتي لأجد قصاصة

ورق مكتوب عليها :

« سأذكرك إلى الأبد .. »

رامي

إذن فعلي لم ينته .. يتبقى ثلاثة يحملون هذا الإسم .. ثلاثة سينضمون إلى ابنتي في العالم الآخر ..

قبل أن يتهمني أحدكم بالجنون ، أؤكد أنني حاولت كثيرًا معرفة أي (رامي) الذي يجب أن يموت .. حاولت و سألت صديقات ابنتي و فتشت في أوراقها ، لكنني لم أصل لشيء ..

لهذا دفع (رامي غانم) الثمن هو الآخر ..

هذه المرة لم أجد سوى أن أنتظره في غرفة تبديل الملابس في النادي ، فلقد كان من الطراز الذي لا يفارقه أصدقائه إلا أثناء النوم و في دورة المياه .. دخول النادي لم يكن صعبًا ، لكن الوصول لغرفة الملابس لم يكن هينًا .. المهم أنني فعلتها ..

كان غارقًا في العرق و عضلاته تان من مجهود المباراة التي خاضها منذ قليل .. كان هشًا جدًا و كالعادة لم يتوقع من عجوز مثلي شرًا ..

لا أنكر أنني شعرت بالندم حين تدفقت دماء الحارة على يدي بعد أن غرست السكين في عنقه ، لكن لا .. كلِّما تذكرت مشهد جثة ابنتي تأكدت من أنهم يستحقون ..

كل من يحملون اسم (رامي) يستحقون !



و كان طبيعيًا أن يلفت نشاطي هذا الإنتباه ..

اثان في ذات الكلية يقتلان طعنًا و كلاهما يحمل ذات الإسم .. يبدو الأمر مثيرًا للشك ..

هكذا بدأ الجميع في الحذر ، و هكذا بدا أنه سيستحيل علي أن أواصل انتقامي ..

لكنني أقسمت ألا أتوقف .. تبقى اثان يحملان ذات الإسم ، أحدهما السبب في موت ابنتي ، و أنا لن أتركه يعيش و يتخرج و يتزوج و يحظى بالحياة التي حرم ابنتي منها .. أبدًا ..

لقد كان (رامي حسين) يعيش بمفرده في شقة صغيرة في أحد المناطق الراقية .. لقد كان حذرًا فلم يفتح لي الباب حين زرته ، بل أخذ يحدثني من وراء الباب بينما أنا أختلق الحجج ليفتح لي ، و لم يفعلها إلا حين تظاهرت بأنني أصبت



بأزمة قلبية ، حينها لم يملك إلا أن يحملني إلى داخل شقته ليتصل بالإسعاف ..
عجوز مسكين يصاب بأزمة قلبية أمام منزلك .. بالطبع ستساعده .. بالطبع
ستعطيه ظهرهك و أن تتصل بالإسعاف .. بالطبع ستشهق ذاهلاً إذا اخترقت
سكينته ظهرهك ، و بالطبع ستكون آخر كلمة ستنتقها هي :
لماذا !؟

ثم ستهوي كأني (رامي) آخر !
و بهذا تبقى واحد فقط لتنتهي مهمتي .. لينتهي انتقامي ..

●●●●●

لكن (رامي رشاد) هرب !
هرب .. هرب .. هرب .. الوغد الحقيير هرب ..
ترك منزله و الكلية و اختفى .. هرب ...

●●●●●

هكذا بدأت وحدثني ..
بعد أشهر من البحث أصابني اليأس ، فانزويت بمفردي في تلك الشقة التي
أعيش فيها الآن .. كنت أهرب أنا الآخر ..
أهرب من الماضي و من الذكريات و من جرائمي و من فشلي ..
و لأن النسيان نعمة .. بدأت أنسى ..
لم يعد معي سوى الوحدة ، و كتابي الوحيد أقرأ فيه كل ليلة .. مهما طال
الأيام ستنتهي و سأموت هنا دون أن يشعر بي أحد ..
هذا ما كنت أخطط له ..
حتى سمعت الخطوات ..

●●●●●

الآن أنا على السطح و الدموع تسيل على وجنتي ببطء ..
لقد تذكرت كل شيء ..
أما شبح ابنتي فمد يده تجاهي مردداً :
أبي .. لقد انتهى الأمر ..
تقولها فأنتبه إلى الجسد الذي تكوم على السطح بلا حراك .. لازلت أذكر هذا
الوجه الذي أصبح الآن يحمل شحوب الموت و سخريته ..

(رامي رشاد) .. !

لكن .. ما الذي أتى به إلى هنا ؟؟
أجابت ابنتي على السؤال دون أن أنطق به :
لقد كان يبحث عنك ..

ياااااااااه .. ! .. لهذا السبب اختفى .. ليتتبع القاتل الذي يطارده ..
لأشهر طويلة أخذ يقتفي أثري و يبحث عني ليقتلني قبل أن أقتله، و حين توصلت
إلى مخبأي - بمعجزة ما - بعد عام طويل من البحث ، وجد شبح ابنتي في
انتظاره ..

ابنتي .. أنقذتني !

غالبت دموعي لأقول بصوت مبسوح :

(رنا) .. أنا .. آسف ..

لكن شبح ابنتي أخذ يتلاشى ببطء أمامي دون أن تجيب .. و على الأرض هوى
السكين الذي كان في يدها ليملاً رتين سقوطه المعدني صمت الليل ..
أنا آسف يا ابنتي ..

لكنها تتركني و لا تجيب ..

الآن أسمع صوت خطوات تصعد إلى السطح .. يبدو أن الجيران على قيد
الحياة برغم كل شيء .. سيبلغون السطح الآن ليجدونني جوار جثة (رامي)
و سيجدون السكين الملوّث بدمائه جوارني .. إنها النهاية إذن ..
لكن لا يهم .. لقد انتهت مهمتي و لم أعد أمقت الموت إلى هذه الدرجة ..
ستكون محاكمة سريعة ، بعدها السجن الإنفرادي حيث أمارس وحدتي مجدداً
بعدها ستكون المشنقة ..

لا بأس .. كل شيء سيكون على ما يرام ..

الآن أسترخي بينما صوت خطوات الجيران يقترب ..

و يقترب ..

و يقترب ..

و ..





العشرون دقيقة الأخيرة



« ألن تتوقفي عن قراءة هذه التفاهات يا (ميشكا) ؟ »
فلا ترد (ميشكا) و تواصل قراءة تفاهاتها المحببة .. أمّا أمها فتعود للنوم و قد سقطت أسيرة الإيقاع المنتظم ، مستندة على كتف أبيها ، الذي استند بدوره على نافذة ، بدت الثلوج من خلفها و كأنما غزت الكون كله ..
(ميشكا) في العاشرة من عمرها لذا فقد يثير اهتمامك أن تعرف أن التفاهات التي تقرأها تقول :

- الجثة الثالثة عثر عليها في أحد الأزقة في موسكو التي حولها انهيار الإتحاد السوفيتي إلى شيخ مجد من أمجاد الماضي .. و كالعادة كانت مذبوحة بأداة شبيهة حادة و قد حمل الوجه أقصى آيات الفزع التي من الممكن أن يحملها وجه بشري .. الأمر الذي فسره د . (بوريس ميلانوف) بأن القاتل يفضل أن تتم عملية الذبح ببطء شديد لتعاني الضحية أقصى درجات الألم و الرعب و هي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، لكن باقي التفاصيل التي حملتها الجثة هي التي أكدت أنه قاتلنا الملقب بـ (نازع الأحشاء) ..

لكن هذا لا يعني أن (ميشكا) غريبة الأطوار ..
فلنقل - فقط - أنها لها مزاجًا غريبًا في القراءة ، وهذا حقها خاصة و أن أطفال هذه الأيام ليسوا أطفالاً بالمعنى الذي نعرفه عن الأطفال .. نحن كنّا أطفالاً يضحكون علينا بـ (العروسة) و (الحاجة الحلوة) .. أمّا الآن فلا يكفي الانترنت و القنوات الفضائية و الهواتف المحمولة و ألعاب الكمبيوتر لماء فراغ هؤلاء الأطفال .. لذا حين يكون عيب (ميشكا) الوحيد هو أنها تهوى قراءة قصص الجرائم و السفاحين ، فسنجد أن الأمر ليس بهذا السوء ..
ثم إن تلك الصحيفة المسماة (مسرح الجريمة) و كاتبها الأبرز (ليو باروفسكي) هما الأجدر باللوم مع كل تلك الققص التي ينشرونها بتفاصيل سادية لا مثيل لها في أية صحيفة خرى .. صحيح أن هذا ما يبقئها على رأس قائمة المبيعات ، لكن اقرأ معي هذه الفقرة لتفهم ما اعنيه :

كما وجدنا في الجثة الأولى و الثانية تمامًا كان البطن ميقورًا بذات الأداة التي استخدمت في الذبح و هذا ما أثبتته فحوص الطب الشرعي بعد أن عثر الأطباء على أجزاء من نسيج العنق ملتصقة بالفشاء البيروتوني المحيط بالأمعاء .. أمّا الأمعاء فكانت تتدلى خارجة بذات التشكيل الرهيب الذي لم يفهم المحققون المغزى منه حتى الآن .. أمعاء ممزقة و معقودة على بعضها البعض بحيث تبدو كأنها زهرة .. زهرة من الأمعاء البشرية تثبت في جسد ممزق في بشاعة .. و لو أضفنا إلى هذا كله نزع العين اليسرى و ..
تتذكر أنت الآن أن (ميشكا) في العاشرة من عمرها و هي تقرأ هذه السطور ، فأذكرك أنا أنها ليست المسؤولة عن توافر هذا النوع من التفاهات بين يد العامة .. إنه (ليو باروفسكي) و صحيفته (مسرح الجريمة) ..

سحقاً له و لصحيفته !

الإيقاع المنتظم و الإهتزاز المتواصل لا يجعلان القراءة أسهل بأي حال .. بل إن (ميشكا) بدأت تفرك عينيها كأنما سيخفف هذا من الصداع الذي تشعر به .. و حين مرّ الساقى من جوارها و هو يدفع عربته ، طلبت منه قدحاً من القهوة فمنحها إياه ذاهلاً بعد أن أقتعته بيدها التي قبضت على بضعة أوراق مالية أخذتها من حقيبة أمها الغافية أمامها ..

في العاشرة و تشرب القهوة !؟ .. أرجوك .. اقرأ معي ما تقراه هي الآن و ستجد أنه من حقها أن تشرب الخمر لا القهوة !

الجثة الرابعة كانت في (سيبريا) التي لا تحتاج إلى المزيد من الجرائم لتزيد رهبتها .. و كانت لامرأة هذه المرأة .. امرأة في الثانية و الثلاثين تدعي (منيرفا شولوخوف) لكنها كانت أول ضحية يعثر عليها في منزلها .. في غرفة نومها .. الأمر الذي حذر منه د . (بوريس) و اعتبره نقلة نوعية في نشاط قاتلنا الذي اعتاد اصطلياد ضحاياه في الأزقة المظلمة لا أن يتبعهم إلى منازلهم ، مما سيؤدي إلى حالة عارمة من الفزع ستحتاج البلاد كلها بعد أن أصبح (نازع الأحشاء) هو الكابوس الذي ينتظره الجميع خلف كل باب و مع كل دقة جرس .. لا بأس .. سأعترف أن (ميشكا) غير طبيعية ، لكنك الآن تريد أن تعرف ما الذي أصاب ضحيتنا الرابعة :

الجيران هم من اكتشفوا جثة (منيرفا) بعد أن رأوا الدماء و هي تتسلل أسفل عتبة بابها بغزارة غير طبيعية .. و حين اقتحموا المنزل كانت جثتها هناك لكنها كانت معلقة في وضع عكسي في السقف و قد شكلت أمعاءها تلك الزهرة المخيفة بحيث تكون في استقبال من يدخل .. أما الرأس فقد تم العثور عليه في .. في .. يتبع العدد القادم ..

و هو قول كان كفيلاً بتحطيم أعصابها لولا أنها كانت تملك العدد القادم .. من أهم الدروس التي تعلمتها من هذه الصحيفة ألا تقرا عدد أبداً قبل أن تتأكد أنه لا يحمل تلك العبارة البغيضة (يتبع العدد القادم) .. في هذه الحالة توجل قراءة العدد حتى يصدر العدد - اللعين - القادم !

« ميشكا .. أألزمت .. »

تقولها أمها من وسط نعاسها الذي تعود إليه ، فتتصلب (ميشكا) للحظة قبل أن تلتقط العدد القادم من حقيبتها بحذر شديد ، لتعود لمواصلة ال .. لكن صرخة حماسية انطلقت مجلجلة من بين شفيتها حين قرأت : نحن ننفرد بنشر مواصفات نازع الأحشاء الشهير .. و أسفل هذا العنوان و بخط أصغر :

- الضحية الوحيدة التي نجت من الموت تصف لنا ما رآته في تلك الليلة الرهيبة كانت أمها قد انتفضت مستيقظة من صرختها الحماسية ، و كأي أم أدركت الموقف كله في لحظة ، لتصيح :



ألم أقل لك أن تتوقفي عن قراءة هذه التفاهات ؟
ثم وبحركة سريعة انتزعت منها الصحيفة ..
- أمي .. لا ..

صرخت بها لكن هذا لم يزد أمها سوى حماسًا بينما واصل أباها تظاهره بالنوم
ليجنب نفسه الجدل .. وبحزم لا نقاش معه قالت الأم :
والآن اخلدي إلى النوم ..

وهي من المعجزات التي يمارسها الأهل منذ زمن ..
إنهم يفترضون أنهم قادرين على إصابتك بالجوع والشبع والنعاس واليقظة و
الخوف والسعادة بمجرد أن يأمروك بهذا !
أمي إنني ..

قلت أخرسي وإلا ..

ثم إنها طوّت الصحيفة أسفل ذراعها و عادت للنوم ، بينما مطّأ أبوها
- المتظاهر بالنوم - شفّتيه في أسف ..

مستحيل .. لقد أوشكت منذ لحظة واحدة على معرفة سر (نازع الأحشاء)
الرهيب .. أوشكت أن تعيش ما عاشته تلك الضحية التي نجت منه لتحمي لها
هي وحدها ما حدث و أي هول رأت .. أسرار الكون ذاته أوشكت أن تتكشف لها
، ثم تأتي أمها لتتنزع هذا كله منها في لحظة ..
إنها تستحق أن تتنزع أحشاءه .. لا .. لا ..
يبدو أنها أسرفت حقًا في قراءة هذه القصص ..
لكنها تريد أن تعرف حقًا ..

تريد لكنها لن تجرؤ على جذب الصحيفة من أسفل ذراع أمها ، وإلا تحولت
هذه الأخيرة إلى ما هو أسوأ من (نازع الأحشاء) وهي أكثر من يعرف هذا ..
هكذا لم تملك (ميشكا) سوى الدموع الصامتة و أمل أن تسقط الصحيفة من
أسفل ذراع أمها بأي طريقة ، حتى امتدت يد أبيها فجأة لتجذب الصحيفة ببطء
ليناولها لها و هو لا يزال يتظاهر بالنوم ، و إن منحها ابتسامة جانبية ، فبادلته
إياها بأخرى ممتة و هي تلتقط منه الصحيفة بحذر ..

و ببطء شديد فضّت الأوراق و عادت تواصل :

- الضحية الرابعة كان اسمها (منيرفا) و ..

لا .. لا .. ليس هذا .. (منيرفا) ماتت في شقتها معلقة بوضع عكسي أمام باب
شقتها و قد تحولت أمعائها إلى زهرة مرحة .. لم تعد تهم الآن !
جرت عينها المرهقتان على الأسطر حتى وصلت إلى :

الضحية الخامسة و الحيدة التي نجت من الموت كان (فيودور تاركوفسكي) ..
في الرابعة و الثلاثين من العمر و كان ينظف المطعم الذي يعمل فيه بعد انتهاء
ساعات العمل ، حين دخل (نازع الأحشاء) مطعمه متظاهرًا أنه زبون ، و على
الرغم من أنه لم يعد استقبال الزبائن بعد ساعات العمل الرسمية ، إلا أن

(فيودور) كان يشعر بالوحدة ، و وجدها فرصة ليؤنس وحدته .. لكنه لم يكن يعرف أنه سيدفع عينه اليمنى و لترين من دمائه ثمناً لهذا ..
رشفة من كوب القهوة أمامها ، ثم :

و حين دخل (فيودور) إلى المطبخ ليعد العشاء إلى هذا الغريب ، فوجيء به يقف خلفه و قد قبضت يده على سكين ضخمة ذو نصل متآكل لا يزال يحمل آثار دماء جافة .. و قبل أن يجد الفرصة للحركة كان (نازع الأحشاء) يهوي بسكينه على وجهه ليفقد (فيودور) عينه اليمنى و لتتمزق شرايين عنقه نوعاً ما .. لكن العجيب أن (فيودور) قاومه رغم إصابته و أخذ يصرخ كالمجنوبين ، ليفرّ (نازع الأحشاء) ، قبل وصول بعض المارة الذي جذبهم الصراخ و ..
و الذين نقلوا (فيودور) إلى المستشفى حيث أجروا له عملية و .. الخ الخ .. كل هذا مفهوم .. أين الوصف بالضبط ؟؟

- و في التحقيق وصف (فيودور) الغريب بأنه معتدل القامة و على درجة من البدانة .. ذو شعر خفيف في مقدمة رأسه يشي بأنه في طريقه للصلع ، و أنه يرتدي منظاراً طبياً ذو إطار ذهبي و هناك ندبة خفيفة في ذقنه .. و بهذا يصبح لدينا - أخيراً - وصف واضح لهذا القاتل الذي رُوّع روسيا بجرائمه التي ..

لكن (ميشكا) لم تكمل و قد تحول الصداع في رأسها إلى طرقات لا ترحم تهوي بانتظام على جمجمتها .. لذا أغلقت عينها بقوة و أخذت تتخيل (نازع الأحشاء) ..

المشكلة أن هذا الوصف يليق بأي شخص رأته في حياتها .. الكل أصبح على درجة من البدانة و الكل يرتدون النظارات الطبية هذه الأيام و الكل يصابون بالصلع .. حتى أباهها بدأ الصلع يغزو مقدمة رأسه ، و لولا أنه لا يملك ندبة في ذقنه لأبلغت عنه على الفور !

لكن (ليو باروفسكي) كتب كأنما يجيب :

و صحيح أن هذه المواصفات لا تكفي لتحديد هوية القاتل ، لكنها تكفي بالتأكيد لإثارة الشكوك التي قد تجنب المزيد من الضحايا ، و لابد أن (نازع الأحشاء) سيخفف قليلاً من نشاطه في الفترة القادمة ، بل ربما يقدم على الإبتعاد عن المدن حتى تهدأ الأمور ، قبل أن يعود لينتزع المزيد من الأحشاء .. و لقد أكد الدكتور (بوريس) على أن في .. و هذا هو ..

ثم مساحة بيضاء إلى آخر الصفحة و هي من العيوب التي تكررت في صحيفة (مسرح الجريمة) أكثر من مرة ، لكنها لم تحتط لها للأسف .. بعض النسخ تحمل عيوب طباعة كتلك التي تطالعها الآن و الحل الوحيد أن تحصل على نسخة أخرى و إلا تحول تأكيد الدكتور (بوريس) إلى بعض الرموز الغير مفهومة .. لكن ..

من أين لها أن تحصل على نسخة أخرى ؟



إنها في قطار يشق طريقه وسط ثلوج تبدو وكأنها لا بداية لها ولا نهاية ،
ولا بد أن أقرب بائع صحف يبعد عنها أكثر من ألفي كيلومترًا على الأقل ، وهي
لن تطيق صبرًا حتى تصل .. فما الحل ؟
أخذت تنظر حولها في حيرة لتصطدم عيناها بنسخة أخرى من (مسرح
الجريمة) يمسكها أحد المسافرين على بعد عدة مقاعد منها ..
ها هو الحل إذن !

صحيح أن أمها حذرتها من مغادرة مكانها أيًا كان السبب ، لكنها تستطيع دومًا
التظاهر بأنها ذاهبة إلى دورة المياه ، هذا بفرض أن تشعر بها أمها أو أبوها
الذي غرق في النوم فعليًا لا تظاهرها كما كان يفعل منذ قليل ..
ثم إن المخاطرة تستحق ..

الدكتور (بوريس) بنفسه يؤكد على شيء ما يجب أن تعرفه وإلا ..
هكذا غادرت مكانها ببطء شديد ثم اتجهت على أطراف أصابعها إلى ذلك
المسافر الذي اختفى تمامًا خلف الصحيفة وهي تبسم ببراعة .. ستطلب منه
النسخة أو ستقف أمامه لتقرأها وهي في يده لو وصل الأمر .. المهم أن تنتهي
قبل أن يضطر أبوها إلى إلقاء أشلائها من القطار بعد أن تنتهي منها أمها ..
عذرًا .. هل يمكنني أن ؟
لكنها لم تكمل عبارتها هذه أبدًا ..

ففي اللحظة التي نطقتها طوى المسافر صحيفته لترى وجهه لأول مرة ..
كان معتدل القامة وعلى درجة من البدانة .. ذو شعر خفيف في مقدمة رأسه
يشي بأنه في طريقه للصلع ، وكان يرتدي منظرًا طيبًا ذو إطار ذهبي وهناك
ندبة خفيفة في ذقنه ..

و كانت تلك النظرة الرهيبة المطلقة من عينيه أوضح من اللازم ..
صدمتها المباغتة جعلته يدرك أنها تعرفته على الفور ..
أنها عرفت أنه (نازع الأحشاء) الشهير ..
شخصيًا ..



لكن (ميشكا) في السابعة من عمرها برغم كل شيء ، لذا تصرفت كأبي طفلة
أخرى في السابعة من عمرها ..
تجمدت في مكانها وقد اتسعت عيناها بنظرة رعب ذاهلة ..
صحيح أنها حاولت التحرك .. حاولت التماسك .. حاولت الصراخ حتى ، لكن
هذا كله لم يحدث .. فقط ظهر (ليو باروفسكي) في عقلها ليروي لها كيف
سيكتب عن جريمتها :

و لا بد أن الفتاة المسكينة حاولت تحذير أحدهم ، لكنهم لم يصدقوها .. من الذي يصدق طفلة في السابعة من عمرها هذه الأيام ؟ .. هكذا وجدت نفسها في قطار يشق الثلوج في مواجهة نازع الأحشاء الشهير الذي ..
قال هو :

اجلسي ..
فأطاعته كأنما نومها مغناطيسيًا بنظراته ، و انتفخت مئانتها كضم ضفدع في موسم التكاثر ، بينما (لو باروفسكي) يواصل في رأسها :
السؤال هو كيف قتلها في القطار دون أن يشعر به أحد ؟؟ أين كان والديها حين كان نازع الأحشاء يمزق عنقها ب ..
و قال هو :

- أنت تعرفين من أنا .. لا داعي للتظاهر بالعكس ..
ثم إنه تحسس الندبة في ذقنه ، ليردف :

لا تفكري في أي حماقة ، فمهما حدث سيظل هناك وقت كاف لأجز عنقك لو اضطررت إلى هذا ..

لكنها كانت عاجزة بالفعل عن فعل أي شيء .. أما هو فطوى الصحيفة و وضعها جواره ببطء ، و أخرج من جيبه لفاقة تبغ أشعلها بأناقة ، ليدخن في هدوء دون أن ينظر لها حتى ..

أما (ميشكا) فقد بلغت مئانتها حلقتها ، و شعرت بها على وشك الانفجار ، فانتزعت الأحرف من فمها انتزاعًا :
أنا ... لن .. أتحدث .. أبدًا ..

بالطبع لن تتحدثين .. فأنا سأقتلك .. فقط أفكر كيف و أين ؟
قالها بهدوء كأنما سألته عن الساعة ، فبدأت تشعر أنها ستفقد الوعي ..
لكن (ليو باروفسكي) حذرهما في عقلها :

ربما فقدت الوعي ، و هذا ما منحه حجة نقلها من مكانها .. ربما زعم أنه والدها و أنه سيأخذها إلى دورة المياه ، و هناك ما كان عليه سوى أن يكرر ما مارسه من قبل عشرات المرات .. و لو نظرتم إلى الصورة في الأسفل ستلاحظون أن الدماء ..

بالطبع سيضعون صورتها و ستراها كل صديقاتها في المدرسة .. ربما سخرن منها كذلك .. ربما قالوا أنها كانت تستحق ..
إنها تكرههم جميعًا !!

على أية حالة بعد أن يقتلها سيغادر القطار بكل هدوء دون أن يعرف أحد أنه هو نازع الأحشاء الشهير ، و ربما مر بمدرستها ذات يوم .. صحيح أنها لن تكون موجودة لتشهد المذبحة ، لكن الفكرة في حد ذاتها سوف ..
لم لا .. سوف أتركك ..
قالها فجأة ففغرت فمها بذهول ..





تبدين فتاة لطيفة و لست أشعر أنه يجب عليّ أن أقتلك .. فقط عليك أن تعديني أنك ستعودين إلة مقعدك و ستنامين حتى تنتهي هذه الرحلة .. ستنامين و لن تستيقظين مهما كان السبب .. موافقة ؟

فانفجرت (ميشكا) لترد بحماس :

بالطبع .. سأنام و لن أستيقظ حتى لو انقلب بنا القطار و سأنسى أنني رأيتك و سأتوقف عن السهر متأخرًا و ..

كفى .. كفى .. فقط تذكرني .. ربما تركتك أنت و قتلت والديك .. سيدفعان ثمن حماقتك ، و ستعيشين يتيمة دون أن تجدي من يرعاك .. من يحميك مني .. و حينها .. و حين تخلدين إلى فراشك في أحد الليالي ، قد تشعرين بنصلي البارد على عنقك ، قبل أن أرسلك في زيارة سريعة إلة والديك في الجحيم .. و الآن يمكننا أن نقول أن (ميشكا) ستفقد عقلها في أية لحظة .. الواقع أنه لو قتلها لكان أهون عليها من أن تقضي ما بقي لها من عمر ، تستيقظ كل ليلة على هذا الكابوس ..

لكنه أشار له بيده الحرة :

هيا .. انصرفي ..

فسالت الدموع من عينيها غير مصدقة ، و لم تتحرك ..

هيا قبل أن أغير رأبي ..

فوقفت بصعوبة .. ترنحت للحظة .. ثم تراجعت بظهرها إلى مقعدها ، لتتكور

فيه على نفسها و لتتخرط في بكاء صامت مرير ..

لقد نجت .. نجت .. نجت .. نجت ..

لكنها ستموت لو لم تدخل دورة المياه الآن !

و لو فعلت سيقتل نازع الأحشاء والديها ، و لو بلت نفسها ستقتلها أمها !!

فقط تتمنى الآن لو مرت هذه الرحلة في سلام .. حينها ستذهب إلى مقر

صحيفة (مسرح الجريمة) و ستنتزع أحشاء (ليو باروفسكي) بنفسها ، قبل

أن تشعل النيران في كل شيء .. فقط لو تماسكت دون دورة مياه حتى تنتهي

الرحلة ..

فقط .. لو .. تمك ..

يقول (ليو باروفسكي) في عقلها :

و لم تدر (ميشكا) كيف غابت في النوم .. ربما هو الإهتزاز الثابت ، ربما

لأن خوفها استهلكها عاطفيًا .. المهم أنها نامت .. و أنها حين استيقظت كانت

مفاجأة تنتظرها .. مفاجأة قاسية حقًا ..

و المفاجأة كانت أنها فتحت عينيها لتراه أمامها مباشرة !

معتدل القامة و على درجة من البدانة .. ذو شعر خفيف في مقدمة رأسه يشي

بأنه في طريقه للصلع ، و كان يرتدي منظارًا طليباً ذو إطار ذهبي و هناك ندبة

خفيفة في ذقنه .. و كان يضحك مع والدها في استمتاع حقيقي ، بينما أمها

تتابع حديثهما بابتسامة وقورة ، و لم تكذ الأم تلاحظ الذعر الذي تبدي في عيني ميشكا كأوضح ما يكون ، حتى قالت :
ها قد استيقظت .. لن تصدقي من انضم إلينا أثناء نومك ..
نازع الأحشاء الشهير .. نعم إنها تعرفه !!
لكن أمها قالت بابتسامة تتسع :
الدكتور (بوريس) .. إنه يعمل في صحيفتك المفضلة تلك التي اسمها .. اسمها ..

مستحيل !!

ألم أقل لك أنها مفاجأة ؟ .. إنها لا تكف عن قراءة صحيفتكم أيها الدكتور ..
على الرغم من اعتراضني أن تقرأها و هي لا زالت في السابعة .. لكن ..
لكن الصوت الذي سيطارده كوايبس (ميشكا) إلى الأبد ، قاطع أمها :
الأطفال لم يعودوا كما كانوا في الماضي .. إنهم الآن يعرفون الكثير و الكثير ..
ثم إنه مال على (ميشكا) المرتجفة ، ليردف :
أكثر مما ينبغي لهم أن يعرفونه بكثير ..
و هو في هذا محق ... فهي تعرف انه ليس الدكتور (بوريس) .. تعرف أنه أشهر في سفاح في روسيا على الإطلاق .. و تعرف أنه ما دام قد قرر التعرف على والديها فلن تنتهي هذه المعرفة بصداقة أو بزيارات عائلية في المستقبل .. بل ستنتهي بكارثة ..
(ميشكا) .. هل لك أن تذهبي إلى عربة الطعام لتحضري لي زجاجة مياه .. لقد فرغت زجاجتي ..
قالتها الأم فجأة فسادت لحظة من الصمت المبالغت ، تبادلت فيها (ميشكا) نظرة ذات مغزى مع الضيف الرهيب ..
نظرة تساءلت فيها (ميشكا) .. هل لي أن أغادر مكاني ؟ فأجابها بنظرة .. نعم ، لكن تذكرني أن والديك تحت رحمتي .. فاكثقت (ميشكا) بهذا الرد و جرت قدميها مبتعدة عن الجميع ..
الآن تعود الشجاعة في أعماقها كالعنقاء إذ تبرز من الرماد ...
الآن تتصاعد في رأسها أفكار ، لم يكن عقلها ليجرؤ على طرحها منذ لحظات من معدودة ..
الآن تصل (ميشكا) في أعماقها إلى حقيقة واضحة و صريحة ..

يجب أن أتخلص من السفاح .. يجب ..
لكن .. كيف ؟!





أن تقتل الدون (باتشيني) ..

اليوم عليّ أن أقتل دون (ريكاردو باتشيني) ..

لست مجبراً على اليوم ، فالمهلة الممنوحة لي تمتد لثلاث أيام من لحظة استلام المهمة ، لكنني اعتدت تنفيذ المهمة يوم تلقيها .. هذا يحافظ على سمعتي كقاتل محترف .. هذا يضمن لي أجراً أفضل ..

ثم إنني - كقاتل - أعرف أن الموت أرحم بكثير من انتظاره .. زميل مهنة حكى لي كيف أنه أخذ يعد لقتل ذلك الهدف ليومين كاملين ، خطط فيهما لكل تفصيلة ، لينتهي به الأمر وقد انتحر الهدف خوفاً من موته المنتظر ! صدقتني .. الهدف دائماً ما سيختار الموت في اليوم الأول .. ولولا أنني سأبدو مبالغاً لقلت أنني أستحق إكرامية ممن أقتلهم لأنني أفعلها في اليوم الأول .. لكن ، لا بأس .. الأجر الذي يتقاضاه من هم مثلي كفيفل بقتل حاسة الطمع عندنا ..

اليوم عليّ أن أقتل دون (باتشيني) و هي مهمة ليست بالسهلة ، لكنك لا تتقاضى مليوني ليرة لتنفيذ المهمات السهلة .. فقط ضع في اعتبارك أن دون (باتشيني) هو واحد من زعماء العائلات الخمس التي تحكم إيطاليا ، و أن تحت سلطته يعمل أكثر من ألفي رجل يكفي ثلاثة منهم لإحتلال أي منشأة عسكرية في البلاد ، فالدون يعرف أن أعداءه كثر ، و أن هناك العديد ممن سيرغبون أن يروونه نائماً مع الأسماك ، و كوني تلقيت هذه المهمة يثبت أنه كان بعيد النظر حقاً ..

و يعني أن مهمتي ستكون خطيرة للغاية .. هنا الخطأ لا يعني هروب الهدف فحسب ، بل سيصل الأمر إلى أن يعلق رأسي على مدخل المدينة و ستوزع باقي أطرافه على زعماء إيطاليا كتذكارة لذلك الأحمق الذي حاول اغتيال الدون (باتشيني) ..

و هذا ما يمنح عملي متعته !

نعم ..

أنا رجل أقضي يومي في القتل و هو ليس الخيار الوحيد لمن هم في عمري ، لكنني أحب مهنتي و لست أخجل من هذا .. أنا أحب مهنتي لأنني بارع فيها حقاً ..

الدليل أنه لا أحد يعرف من هويتي على الرغم من أنني نفذت أكثر من ثلاثين مهمة حتى الآن ..
لم يكتشفني أحد ..
لا الشرطة و لا من قتلهم
و لا حتى من يكلفونني بالمهام ..
لو أردت أنا أعمل لحسابك ذات يوم ، عليك أن تكتب تفاصيل المهمة - شاملة السعر فلا أحب أن آتي في إثرك لو لم يعجبني السعر لاحقاً - و أن ترسل التفاصيل إلى () ..
لو وافقت ستجد رسالة في غرفة نومك - و هو نوع من استعراض القدرات لا أكثر - فيها السعر الذي سأوافق عليه ، حينها ستضع نصف المبلغ في حساب بنكي يتغير بعد كل مهمة ، و النصف الآخر بعد التنفيذ ..
هكذا أكون أكثر أهل الأرض غموضاً ..
قد أكون صديقك .. الرجل الذي تجلس جواره في المقهى .. جارك الذي لا يتحدث كثيراً .. قد أكون أي شخص ..
فقط حين تتذوق طعم رصاصتي ستعرف من أنا ..
و اليوم ..
سأقتل الدون (باتشيني) و لن يوقفني أحد !



قواعد القتل بسيطة و واضحة ..
أولاً .. لا تتورط مع الهدف ..
لا تتعرف عليه .. لا تحدّثه .. لا تقابله وجهاً لوجه ..
لا تنظر في عينيه حتى ! ..
هكذا يظل الهدف هدفاً ، و إلا أصبح بشرياً بالنسبة لك ، ذو قلب ينبض يستحق الرحمة و أن يستمر في الحياة ..
ثانياً .. اعرف أنك مهما كنت بارعاً أو ذكياً و أنه مهما كانت خطتك لتنفيذ المهمة محكمة ، ستكون هناك لحظة يدرك فيها الهدف أنه سيموت حالاً .. لحظة سيتوقف فيها و كأنها همس الموت باسمه في أذنه .. لحظة لن تدركها حتى تشعر بها ..
لحظة لو تجاوزتها أنت كقاتل ، فاعرف أن مهمتك فشلت و أنه عليك أن تبتعد على الفور ..





ثالثاً .. أفضل وقت للقتل هو بعد تناول الطعام ..
نعم .. نحن الإيطاليون لدينا هوس عجيب بالمطاعم ، و لكل واحد منا مطعمه
المفضل الذي لا يقل عنده أهمية عن منزله ، و لو كنت من زعماء المافيا ،
فالمطعم بالنسبة لك هو أرضك المقدسة التي تعقد فيها اجتماعاتك و تتخذ فيها
قرارتك ..
لرجال الشرطة هنا تعبير شهير و هو أن زعماء المافيا يمزقون إيطاليا بالشوكة
و السكين ، و هم في هذا محقون ..
المهم أنه بعد تناول الضحية وجبتها المفضلة ، تصبح في حالة سلام نفسي من
الكون ، و تصبح في أفضل حالة لتلقي الرصاص ..
لهذا يجب على أي قاتل محترف هنا أن يحمل دليلاً للمطاعم في المدينة ، و
أهم زبائن كل مطعم ..
بهذا يمكنك أن تختصر الوقت ، و بهذا يمكنك أن تعرف أن الدون (باتشيني)
يحب يرتاد مطعم (كاستللو) يومياً ..
و بهذا يمكنك أن تسترخي على بطنك على سطح المبنى المواجه للمطعم .. في
يدك بندقيتك المفضلة ، و من فمك تتدلى سيجارتك الأثيرة ..
بهذا يمكنك أن تنتظر اللحظة التي يخرج فيها الدون (باتشيني) من المطعم ،
يحيط به رجاله متأهبين لكل شيء و أي شيء ، إلا لو كانت رصاصة تأتي من
السماء ..
بالطبع عليك أن تحتاط في هذه المهنة لبعض الأضرار الطبية ..
فالانتظار في هذا الوضع لساعات طويلة يؤثر على فقرات العنق ، و يصيب بنوع
من الخدر في الأصابع ، مما قد يفقدك لحظتك الذهبية ، لذا عليك بتمارين
العنق كل صباح لتصبح أفضل قاتل في إيطاليا !
ثم إن الـ .. لحظة ..
هاهو الدون يخرج من المطعم ..
هاهو بمعطفة الأنيق و القبعة السوداء و ذلك الشارب الكث الأشيب الذي يخفي
نصف وجهه ، و النظارة الضخمة التي تخفي الباقي ..
هاهو الآن و جبهته تملأ منظر بندقيتي ، ننتظر سوياً لحظتنا الذهبية ..
للحظة التي سيهمس فيها الموت باسمه و التي سأرسله أنا إليه ..
للحظة التي يتوقف فيها عند باب المطعم ، و يرفع وجهه تجاهي كأنما شعر بي
و .. و ..
و أضغط أنا الزناد ..



بعد أي مهمة أكرر ما أفعله بذات الحذافير ..
أخفي البندقية في أي مكان في السطح على أن أعود لأستردها لاحقاً ، و أنطلق
إلى أقرب مقهى لأحتسي فنجاناً من القهوة المركزة ، تاركاً الكل يبحث عني في
كل مكان لا أتواجد فيه ..

من الذي سيشك في رجل بسيط مثلي يحتسي القهوة في مكان عام ؟؟
عادة ما يبحث رجال الهدف عني ، ثم تأتي الشرطة لتواصل البحث بحماس أقل
، ثم و حين يأتي المساء يعود كل شيء لطبيعته ، و يغسل أصحاب المطاعم الدماء
من أمام أبوابهم ، ليوصلوا عملهم مرة أخرى ..

حينها أعود أنا إلى منزلي لأغتسل و لأنعم بنوم هاديء طويل ، و أستيقظ في
اليوم التالي لأخذ ما تبقى من أجري ، تاركاً جيراني يتساءلون ، كيف يظل رجل
لطيف مثلي بلا زواج حتى الآن ..
كأنني جننت لأتزوج !

على أية حال أنا لم أحك لك هذا كله لأستعرض لك حياتي المعتادة ، بل لسبب
جعل من حياتي هذه رحلة بحث عن سؤال وحيد ..
لقد قتلت الدون (باتشيني) ..

فكيف ظهر إذن في اليوم التالي في مطعم (كاستللو) ؟



عرفت أنه على قيد الحياة في اليوم التالي حين لم أجد نصف المبلغ الثاني في
حسابي ، بل وجدت رسالة تزعم أنني لم أنفذ المهمة المتفق عليها ، و هي رسالة
لم أكد أقرأها حتى عقدت العزم على أن أقتل من كلفني بهذه المهمة ، فأني قاتل
محترف يعرف أنه ينبغي أن يحافظ على سمعته ، و أن يقتل الزبائن الذين لا
يدفعون باقي الأتعاب ..

لكن الرسالة كانت غريبة بحق ..
لقد اشتممت في سطورها رائحة الغضب ، و الزبون لا يغضب إلا حين لا يحصل
على ما طلبه ، لذا قررت أن أتأكد أولاً قبل أن أقتله .. لذا قررت أن أزور مسرح
الجريمة ..

هكذا تراني الآن في مطعم (كاستللو) أتناول حسائي بأبط ما يمكنني منتظراً
شبح الدون (باتشيني) المزعوم .. أما (كاستللو) فأخذ يمارس هوايته في قص
ما حدث بالأمس لرواد المطعم :

لقد رأيته يسقط بعيني .. دفع الحساب و خرج من المطعم .. ثم بووووووم ..



و قبل أن يتحرك واحد من رجاله كان يسقط على الأرض و نافورة من الدماء
تخرج من رأسه .. حزنت لأنني فقدت زبونًا مستديمًا مثله و ..
زرررائع .. لقد مات إذن و ها هم يرددون قصة موته ، فما الذي يزعمه من
كلفني بالمهمة إذن ؟؟

ثم بالسخاقتي ..
كيف أشك في مصرع رجل قتلته بنفسي و رأيت دماؤه تغرق قارعة الطريق
بمنظار بندقيتي ؟؟

ثم رأيت اليوم يدخل في مواعده المعتاد و يطلب طبقه المفضل كأن شيئًا لم يحدث
.. بل إنه لم يحمل حتى أثر جرح على رأسه ..
أعترف لك أنني خفت و كأنني أرى شجبًا ..
!!!!

ما الذي يقوله هذا الأحمق !؟
لكن في مهنتي هذه لا يهم إن كان شبحًا أم لا .. ما دام يدفع الحساب فهو زبون
.. ثم كيف يكون شبحًا و يلتهم كل هذه الكمية من الإسباجتي ؟
.. إنني طباح ماهر حقًا ، لكن ليس إلى درجة اجتذاب الموتى ..
فيسأل أحد الزبائن :

من الذي مات إذن ؟
هو .. أعني أنه لم يموت .. لست أعرف ..
إنني لا أخرج من هنا كثيرًا لظروف عملي .. المهم الحساب يا سيدي الفاضل ..
مادام يدفع الحساب فليأت من الجحيم ذاته .. ثم إنه من السادة الكبار ،
و هؤلاء لا يموتون بسهولة ..
لا يموتون بسهولة !؟ ..

رصاصه تخترق رأسه لا تكفي لقتله !؟
و يقول الزبون :

- إنها تمثيلية إذن .. الرجل تظاهر بموته لسبب ما ..
ربما ليبعد أنظار البعض عنه ..
- ربما .. لكن لا بد أنه لم يقاوم جودة أطعمتنا ، ليأتي إلينا اليوم هادمًا نظرية
قتله هذه .. المهم أنه يأتي و أن درجي يمتليء بالليرات ..
هنا لم أتمالك نفسي ، لأقول :

هل سمعت صوته ؟ .. أعني .. أهو ذات الصوت الذي اعتدت سماعه ؟
ففكر (كاستللو) للحظة قبل أن يجيب :

لا أعرف .. الدون (باتشيني) لا يتحدث إلا نادرًا و بصوت خفيض للغاية ..

أنت تعرف هؤلاء القوم ، يبالغون في الهدوء ليزيدوا من تأثيرهم عليك حين يهددونك ..
لكنك واثق أنه هو ..
تماماً كما أثق في جودة مأكولاتي ..
عظيم .. إذن الدون (باتشيني) لم يمت بمعجزة ما ..
مادام يأكل الاسباجتي و يدفع الحساب ، فهو لم يمت ..
ربما لأن جمجمته أقوى من اللازم و ربما لأنني لم أصبه جيداً بل خدشه
فحسب و ربما لأن (باتشيني) باع روحه للشيطان ليضمن له الخلود ..
لا فارق ..
المهم الآن أنه عليّ أن أقتل الدون (باتشيني) ..
مرة أخرى !



لتقتل رجلاً للمرة الثانية عليك أن تكون في قمة الحذر ، فهذه المرة لن يكون
عنصر المفاجأ في صالحك .. الرجل يعرف أن هناك من يسعى لإغتياله و
سيحتاط هذه المرة جيداً ، مما سيزيد في صعوبة تنفيذ المهمة ..
و بالطبع لست بالحماقة الكافية لأنفذ المهمة في ذات المكان ، و هذا يعني أنني
أحتاج لمعلومات أكثر عن الدون (باتشيني) لأقرر أين سأقتله هذه المرة ..
الواقع أنني بدأت أكره هذا الرجل حقاً ..
صحيح أن هذا ضد قاعدة ألا أتورط في أي شعور عاطفي تجاه هدفي سواء
كان حباً أو كرهاً ، لكنني بدأت أكره الدون (باتشيني) ..
الرجل - و ببساطة - يمثل أول فشل في تاريخي المهني ..
ألمي الوحيد لإستعادة مجدي ، هو أن أقتله بطريقة مبتكرة ..
طريقة تليق به ..
طريقة صاخبة علنية ليحكى عنها سكان المدينة لأشهر بعد ذلك ..
نعم .. سأفجره !



في ايطاليا لدينا عادة تلقيم السيارات قديمة قدم الدهر ، حتى أن أي صاحب



- و لقد صرح مصدر مسؤول أن هذه العملية هي امتداد لـ ..

هاهو !!

صحيح أنه تحول إلى أشلاء ، لكن بقايا معطفه الطويل واضحة ، و لو أمكنني إيقاف الصورة و تكبيرها لأريكم شاريه الضخم الذي تفحم تمامًا ..

إنه هو .. هو ..

الدون (باتشيني) ..

لقد قتلته .. قتلته و لن يمكنه العودة هذه المرة ..

أبدًا ..

●●●●●

بالطبع أنت تعرف .. نعم .. إنه لم يمض !

لا تسألني كيف ففي هذه المرحلة لم تعد لدي حتى القدرة على التفكير في كيف .. كل ما يمكنني استيعابه - بمشقة بالغة - أنه لا يزال حيًا ..

هذه المرة عرفت حين رأيت ذات ليلة مصرعه في سيارته الملقومة .. كنت قد تركت منزلي لأبتاع أغلى زجاجة شراب في الأسواق لأحتفل بنجاحي ، حين رأيت يجتاز الشارع المقابل و من حوله رجاله كالمعتاد ، قبل أن يختفوا جميعًا داخل أحد المتاجر ..

أشباح ؟ .. كنت أتمنى هذا و كنت سأحتمله .. لكنهم دخلوا إلى المتجر ليقتلوا كل من في داخله بمدافعهم الرشاشة قبل أن يهربوا بسرعة في سيارتين كانتا في انتظارهم ..

أما أنا فلقد تجمدت في مكاني ذاهلاً طيلة الوقت ، حتى أنني لم أتمكن حتى أن أتواري بعيدًا عن الرصاص الذي تناثر في كل اتجاه ..

إذن هم ليسوا أشباحًا .. الدون (باتشيني) على الأقل ليس شبحًا فلقد رأيت رذاذ الدماء على وجهه حين خرج من المتجر مسرعًا ، و قبل أن يختفي مع رجاله في الأفق ..

إنه .. فقط .. لم .. يمض ..

كيف ؟؟؟؟؟

رصاصه في رأسه لم تقتله .. و سيارته انفجرت لتمزقه تمزيقًا و لم يمض .. كيف ؟

ما الذي يلزمني لأقتل هذا الوغد ؟؟

ما الذي يلزمني ؟؟

●●●●●



هذه المرة قتلته ..
هذه المرة قتلته ..
هذه المرة شعرت بقلبه يتوقف عن النبض
و شعرت بدفء دماءه على يدي ..
هذه المرة - بالتأكيد لا محالة - قتلته !
و الآن حان وقت الهرب .. إن كان هذا ممكناً ..



يمتلئ قصر الدون (باتشيني) بالثغرات ، لكن دخوله ليس كخروجه و مئات
الرجال يطاردونك بمسدساتهم ..
لذا اسمح لي أن أعتبر نفسي محظوظاً ، لأنني أجلس الآن في ردهة منزلي
أصيب عرقاً و احتسي الشراب .. برغم كل ما حدث لازلت أعتبر نفسي
محظوظاً ..
لم أغسل يدي بعد من دماء الدون و لا أعتقد أنني سأفعل ..
إنها دليلي أنه مات .. أنني قتلته ..
أنني نجحت ..
المشكلة الآن أنني أتنفس بعسر .. و على الرغم من كل الشراب الذي احتسيه
، لا يزال جسدي يرتجف عرقاً من كثرة الدماء التي تنزف من جرح الرصاصة
التي اخترقت جانب صدري !
أخبرت أن الهرب لم يكن بسهولة الدخول ، و أنني أخطأت لأنني اقتربت من
الهدف أكثر من اللازم ، لكن لا يهم .. حقاً لم أعد أهتم .. حتى لو مت الآن
فيكفيني أنني قتلت الدون (بات ..
إذن فهذا هو منزلك ..
يقولها بصوت خفيض مثلج ، فالتفت إليه ببطء
و قد بدأ وعيي يغيب عني تدريجياً ..
كنت أظن أن منزل أفضل قاتل في ايطاليا سيكون أفضل من هذا كثيراً ..
إنها مشكلة الرجل الذي يعيش وحده دون أن ترعى منزله امرأة و ..
من هذا الشخص ؟
أجاهد لأتخلص من تأثير الشراب و الدماء التي أفقدها بسخاء ، لأرى ملامح
محدثي الذي اقتحم منزلي دون أن أشعر ...
القائمة المعتدلة و الشارب الكث و النظارة التي تخفي باقي الوجه ..





الدون (ريكاردو باتشيني) !!

أتسمح لي بالجلوس ؟

و هو من نوعية الأسئلة التي لا تعني إجابتها شيء ، فلقد جلس بالفعل ..
أما أنا فلم أتمالك نفسي من الضحك الذي تحول إلى سعال لأشعر بطعم الدماء
في فمي ..

إنه حي .. حي .. حي .. حي .. حي .. حي .. حي .. حي .. حي ..

أنت ..

أنت الشيطان ..

أليس كذلك ؟

أسأله فيجيبني هو بهدوء و بصوت يأتي من بعيد :

لا ..

الأمر ببساطة أنني كنت أعرف أن هنام من سيحاول قتلي ..

كنت أعرف هذا لكني لم أعرف من ..

لذا استأجرت عددًا من الأشخاص ليتكروا في هيئتي و ليتحركوا في البلاد

نيابة عني ، لأتبع أنا قاتلهم ..

هذا هو الموضوع بكل بساطة ..

بساطة !!؟

بكل بساطة !!

كيف ..

لم ..

سوف ..

أسقط على ركبتي و وعيي يبتعد عني أكثر و أكثر عالمًا أنه لن يعود لي مجددًا ،

بينما يواصل الدون (باتشيني) :

لم أتوقع أن يأخذك الحماس و تحاول قتلي في منزلي ..

لكنك فعلت و قتلت شبيهي ..

هكذا تمكن رجالي من إصابتك و تبعدك إلى هنا ..

و الآن لا أخفي عليك أنني محبط ..

فأهمس أنا و قد فقدت قدرتي على الرؤية :

محبط ؟

نعم ..

لم أتوقع أن يستأجروا ساذجًا مثلك ليتخلصوا مني ..

و لا أرى مسدسه ، لكنني أسمع صوته حين يجذب الزناد ، قبل أن يقول :

- لكي تقتل الدون (باتشيني) ..
عليك أن تكون أفضل من هذا بكثير ..
و لم أسمع حتى صوت الرصاص ..
فقط غاب عني وعيي ..
و لم يعد !





حين يأتي الموت

« متى تظنه سيأتي ٩٩ »

قالها الأول ، فارتجف الثلاثة ، رغماً عنهم ..

و أجاب الثاني بصبر نافذ :

سيأتي حين يأتي... لا داع لإضاعة الوقت المتبقي، في عذاب الانتظار... كفانا عذاب النهاية...

أما الثالث ، فكور جسده البدين ، في أحد الأركان ، كأنما يصنع لنفسه شرنقة من الدهون المحيطة به ، و أخذ يبكي ..!

بكاء مر غزير ، أصاب الرابع بالغيظ ، إذ شاهد كتلة الشحم هذه تبكي ، فزمرجر :

- أهذا وقت البكاء ١٩

جاء الرد بطعم الدموع ، مالحاً :

- ألا أملك حتى لحظاتي الأخيرة، لأفعل بها ما أشاء! ١٩

ثم غلغفهم الصمت و النحيب ، فجلس الأول يفكر ..

ماذا تفعل في لحظاتك الأخيرة ١٩!

تصلي ٩٩.. تبكي ٩٩.. تفكر ٩٩.. ترقص ١٩.. تقتل ١٩!

هيا فكر.. فالخيارات محدودة ، و اللحظات معدودة ..

اعتصر ذهنه فلم يجد شيئاً .. لا شيء على الإطلاق ..

فراغ قاتل أكثر من الموت ذاته ..

متى ينتهي هذا كله ١٩!

ربما بعد لحظات ...

ربما بعد ساعات .. ربما بعد أيام ...

لا فارق ، إنهم هنا منذ شهرين و لم يتغير شيء بعد ..

ذات الغرفة الضيقة ، عارية الجدران ، بلا أثاث أو إضاءة أو مخرج ..

فقط منفذ صغير للتهوية ، أعلى السقف ، من حيث ألقوا به ، و ثلاث أرواح

تتعذب مع روحه طيلة شهرين ، سابحين في ظلام أشد قتامة من ظلام القبر ،

و سؤال واحد يدور في العقول و القلوب ..

متى يأتي الموت ١١٩!

كان يعرف أن السؤال الأحق - في حالتهم هذه - هو (كيف يأتي الموت ؟) لكن

أحدهم لم يجرؤ على التلطف بالسؤال ..

سيأتي الموت بأبشع صوره ..

هم يدركون هذا حق الإدراك ، فلا داع للمزيد من الفرع ..

كانت عيونهم قد اعتادت الرؤية في الظلام كالوطاويط ، فأخذ يتسلى بمراقبة

ردود أفعالهم ..

الثاني كان نحيلاً إلى حد الهزال .. إلى حد بروز عظام جمجمته ، المغطاة بالشعر ، و قد امتزج شعره الطويل ، بذقته النائرة ، فبدأ أشبه بالمدووبين ... و وسط غابة الشعر هذه ومضت عيناه ، كمصباحين ييثان الفزع في كل مكان .. بإمكانك أن تلحظ علامات المرض ، في أنياب الرجل النامية ، و العروق البارزة في وجهه ، و ذلك الانتفاخ الطفيف في عنقه ... المرحلة الخامسة من المرض .. حين يبلغون المرحلة السادسة ، سيبدأ المرء .. بل قل سيبدأ الهول !
فيروس العصر ..

لا ..

لم يمنحه العلماء اسماً ..

فلم يتبق من العلماء أحد على قيد الحياة ليمنحه اسماً متحذلقاً ينتهي بمقطع لاتيني ، كأنه ينقصه رهبة الاسم ..

لم يعرف عن الرجل الثاني شيئاً ، و لم يهتم ليعرف ..

الثالث كان بديناً أكثر من أن يسمح لعلامات المرض بالظهور عليه .. إنه يملك من الشحم ما يكفي لإخفاء ملامحه ذاتها !! ..

هذه الكتلة من الشحم كانت تعمل يوماً كمدرس لعلم الذرات ، لكن حين أصابه المرض ، تحول إلى رقم في سجل ضحايا الفيروس ، ليلقوا به في هذه الغرفة حتى ينتهي أمره ، بعد هذا سيحرقوا الجثث ، و يلقوا بضحايا جدد في ذات الغرفة ..

هو الآن يستند براحته على جمجمة محترقة ، دون أن يبالي بهذا ..

لقد كان هذا الرجل محامياً ، أو طبيباً ، أو مهندساً ... و ربما كان متزوجاً ، تنتظره زوجته في نهاية كل يوم ، بعد عودته من العمل ، و ربما و قفت إلى جوارها طفلة صغيرة جميلة تتاديه « بابا » ...

لا بد أن هذه الطفلة الصغيرة الجميلة ، تنتظره الآن ، دون أن تعرف أنه يستند على جمجمة أبيها المحترقة تحت الأرض !!

بابا لن يعود يا حلوتي ..

لن يعود .. إنه رقم (657658) من ضحايا الفيروس .. اضطررنا لحرقه

كوسيلة فعّالة للقضاء على المرض .. فعلنا هذا من أجلك يا صغيرتي !!

الرابع كان أكثر الثلاثة إمتاعاً في مراقبته ..

لقد كان يعرف هذا الرجل ، حين كانوا على أرض الواقع ... كان ثرياً ذلك الثراء الفاحش الكفيل برفعه من مرتبة البشر إلى أنصاف الآلهة ..

حين أصابه الفيروس ، أصابه ذهول غاضب ، كأنما نسى حقيقة كونه بشرياً ،



يصاب بالأمراض كسائر البشر ..
 وحين أخذوه من قصره المنيف ، ليلقوا به في هذه الغرفة ، أخذ يصرخ ، و يهدد ، ويركل ، و يقاوم ، ثم .. ثم ..
 ثم ها هو الآن يختبر بضعة مشاعر آدمية ما كان يظن بوجودها ..
 الجوع .. البرد .. الخوف .. الموت !!
 كانت تتابه نوبات من الضحك ، فتتردد ضحكاته الوحشية ، في ظلام الغرفة ،
 كطرقات الموت في آذانهم ... علام كان يضحك ؟؟
 لا أحد يدري !!
 هو .. هو لا يملك الكثير عن نفسه ...
 مجرد (هو) آخر يعيش دون أن يضيف لنفسه ، أو للحياة شيئاً ... مجرد
 ترس صغير في الآلة الكبيرة كما يقولون ..
 وهنا .. في هذه الغرفة تحت الأرض ، تبدو كلمات كـ (الأحلام) و (الطموح)
 و (النجاح) و (الإنسان) ، كلمات رخيصة لا معنى لها و لا مذاق ..
 و حين يأتي الموت ، ستحترق هذه الكلمات مع جثثهم لتختفي من الوجود . هل
 يصنع ماضيه فرقاً ؟؟ هل تشكل خطاياها ذنباً ؟؟ هل يقيم أحد لحياته وزناً ؟؟
 ربما كان الموت ما يناسبه حقاً ..
 إنه يذكر التاريخ ...
 يذكر التوترات .. المفاوضات .. الحروب .. السلام المؤقت ، و الوعود بغد مشرق
 مليء بالأمال ، حتى ظهر ذلك الفيروس ليبدد كل شيء ..
 تساءل مرة ، ترى .. كيف هي الحياة على سطح الأرض الآن ؟؟
 كم بلغ عدد الأحياء ، و كم بلغ عدد الضحايا ؟؟
 هل تبقى أحياء على سطح الأرض ؟؟ ..
 هل وجدوا علاجاً للفيروس ؟؟ .. هل يخرجونهم من هنا يوماً ليمنحهم بضعة
 حقن تشفيهم ، و اعتذار على تخليهم عنهم طيلة تلك الفترة ؟؟
 هل يفعلوها قبل أن يبلغوا المرحلة السادسة ؟؟
 هل يرى الأرض مرة أخيرة قبل موته ؟؟ .. لقد فقد الأمل في هذا منذ زمن
 طويل ..
 و فجأة صرخ الثاني :
 - إنني أسمع الأصوات!
 قالها فساد ذعر عجيب في النفوس ... لقد بلغ الرجل المرحلة السادسة ..
 عاد الثاني يصرخ :
 - الأصوات ... إنها تصرخ في أذني ... لست أقدر على



الإحتماااال..

أول علامات المرحلة هي الأصوات التي يسمعاها المصاب بالفيروس ، بعد ذلك يدخل في مرحلة الغيبوبة التي ستستمر لساعات .. بعدها يستيقظ المسخ !! سيتحول المصاب إلى مسخ متعطش للدماء لا يوقفه سوى الموت !! و في هذه الحالة لا يعني انتقال الرجل إلى المرحلة السادسة إلا شيء واحد .. كان الثاني يتلوى ، معتصرا أذنيه براحتيه ، و قد برزت عروقه أكثر و أكثر ، كأنها على وشك الانفجار ، فلم يتحرك هو من مكانه .. فقط تبادل نظرة عميقة مع الثالث الذي ارتج شحمه و الرابع الذي بدا عليه الامتعاض .. إنهم يعرفون ما عليهم فعله جيداً .. ناقشوه مرة واحدة و كانت تكفي .. فقط حين يدخل الثاني في مرحلة الغيبوبة .. السؤال هو من سيفعلها هذه المرة ١٩٩ .. لنترك هذا في حينه .. ارتفعت صرخات الثاني تحمل عذابات الدنيا كلها ، كأنه يحاول التغطية على صوت الصراخ في أذنه ، ثم بدأ في ضرب رأسه في الجدار بلا هوادة ، لتتفجر دماءه ..

- الأصواااات ... أوقفوا هذه الأصواااات!!

لكن أحدهم لم يحرك ساكناً ... لا توجد وسيلة للمساعدة .. و حين يأتي دورهم ، لن يساعدهم أحد أيضاً .. هكذا تدور الدائرة التي ستنتهي بجثثهم المحترقة ، يستند على بقاياها ضحايا جدد ينتظرون دورهم ..

ألا يبدو الموقف ساخراً بصورة أو بأخرى ١٩٩
حقاً ١٩٩

إن الرجل الذي يتلوى أمامهم الآن سيفقد وجبتهم المثالية بعد جوع طويل ..
طويل !!

إن ما يشاهدوه الآن لا يعدو عن كونه وجبة تنضج .. تماماً كما ترمق أنت دجاجة في الميكروويف ، و هي تنضج .. يسيل الزبد منها لتنتهي بين أسنانك و عظامها في سلة المهملات .. الفارق طفيف للغاية !

سيأكلونه قبل أن يستيقظ هو من غيبوبته ليفترسهم جميعاً ..

الآن يسقط الثاني بلا حراك معلناً دخوله في مرحلة الغيبوبة ...

الآن تحمل النظرات التي يتبادلونها معان أكثر من اللازم ..

و الآن يدوي السؤال صارخاً ، في الأعين وهي أنفاسهم التي تتردد في صدورهم ، في إيقاع مطرد ..

من سيفعلها ١٩٩





- حسناً ... إننا الآن في مسابقة (اقتلوا هذا الرجل !) و نحتاج متطوعاً ، فمن الشجاع الذي سيتقدم ؟؟
- أطرق هو ، كأنما يعلن انسحابه ، فسد الرابع عينين ثاقبتين إلى الثالث ، أذابت الشحم في جسده ، و جعلته يهتف منتفضاً :
- لا ... لن أفعلا .. لن أستطيع ..
 - ما عليك سوى أن تجلس على وجهه ، و ستقتله بوزنك ..
 - لا ..
 - فكّر في الأمر ... ستمنحه موتاً نظيفاً و سريعاً ..
 - لا ... لا ... لا ... افعلها أنت ..
- التفت الرابع إليه هو ، و برقت عيناه بوميض غريب ، و هو يقول :
- و ماذا عنك ؟؟
- هز رأسه نقياً ، محافظاً على صمته ، كأنما ينتمي إلى مكان آخر ، و جاء إلى هنا لمجرد المشاهدة ، فهب الرابع واقفاً ، وهو يقول :
- أوغاد جبناء ..
- كاد يجيبه أن (أوغاد جبناء) أفضل من (أوغاد قتلة) ، لكنه فضّل أن يلوذ بالصمت .. سترى مقدار حماس هذا الرجل حين يأتي الدور عليه !
- تحرك الرابع ببطء واثق ، كأنما يستمد ثقته من إيمان عميق بأحقية ما سيفعله ... كأنما هو رسول الموت ذاته ، و قد جاء لينفذ مهمة حتمية ، اعتاد تحمل عبئها ... انحنى على الثاني دون وجل ، و طوّق عنقه بقبضتيه ، و بدأ يعتمر الحياة منه ..
- مرت الدقائق كدهر لا ينتهي ... أطول ست دقائق مرت عليهم في هذه الغرفة المظلمة ... بعدها استلقى الرابع جوار جثة الثاني منهكاً ، ليقول باقتضاب :
- أعتقد أن هذا يفي بالغرض ..
- لم يجب هو ، و اكتفى الثالث بدموع صامئة أبلغ من أية كلمات ... لقد مات أولهم ، و بدأت العجلة تدور ..
- سنحتاج لأداة حادة لتقسيم جثته ..
- قالها الرابع بلا اهتمام ، كأنه يتحدث عن قطعة لحم مشوية ، فقلب هو شفثيه ممتعضاً ، و قال :
- ألن تنتظر حتى يفقد دماء ؟
 - دماء قد تخفف قليلاً من العطش ..
 - إذن فلقد تحولنا نحن إلى ما كان سيتحول إليه ، لو تركناه حياً ..
 - لا بأس من استباق الأمور ... هيا ساعدني في تقسيم الجثة ..

- أتنازل لك عن نصيبي ... لا رغبة لي في جسده ..
منحه الرابع نظرة مخيفة ، حتى بدا وكأنه سيتحمل عبء رسول الموت مجدداً
معه ، لكنه تجاهله ، ليقول للثالث :
- وماذا عنك .. هل ستلتهم دموعك السخيفة هذه ؟؟
سالت الدموع على شفتي الثالث مدراراً ، و قال :
- سأنضم لك ..
ثم وجه حديثه للأول ، مبرراً :
- لن أتمكن من تحمل جوعي أكثر من هذا ..
أشاح هو بوجهه عنهما و قلبه يخفق كطبول الحرب ...
إلى هذه الدرجة !!؟؟
إنسان يتحول لوليمة غداء يقيمها مسخان من مسوخ البشرية ؟؟
لكن لا ...
ليس هما المسخان ...
بل المسوخ هم من ألقوا بهم هنا ، محتمين براية البقاء للأصلح ...
لا لتهديد الأمن القومي ... لنقتل بضعة ملايين ..
لا للخضوع لأي قوة ... لنقتل بضعة ملايين ..
لا لكل من يقف في طريق عجلة التقدم .. ستسحقه العجلة كحشرة .. لذا ..
لنقتل بضعة ملايين !!
و لا صوت يعلو فوق صوت المعركة !!
الفرد في سبيل المجموع و لو كان هذا الفرد هو أنت !!
تناول الرابع أحد العظام الملقاة من حوله ، و كسرها على ركبته - عليه اللعنة !
- و أمسك بطرفها المدبب كأداة مثالية لتقطيع جثة آدمي ، مردداً :
- لسوء الحظ أنه هزيل .. لكن لا بأس .. سيفي بالغرض مؤقتاً ..
و في سره دعا هو أن يكون آخرهم ، كيلا يلقي مصير الثاني .. الثاني الذي
تحرك بغتة !!!
تحرك كماارد الغضب لا يبقي و لا يلوي على شيء ... الرجل كان مخيفاً و هو
طبيعي ، فما بالكم و قد بلغ آخر مراحل المرض ... فريسة منحت القوة للانتقام
من الصيادين ...
صرخ الرابع هلعاً ، و صرخ هو مبهوتاً ، و اختنقت الصرخة في حلق الثالث و
أصابع الثاني التي امتدت بغتة تعنصر عنقه بوحشية .. و البادي أظلم !!
في آخر مراحل المرض لا يفقد المرء ذاكرته لينقلب إلى مسخ متعطش للدماء ...
بل يفقد كل ماكان يمنعه عن التحول إلى مسخ مسبقاً ... تنهشم قشرة الحضارة





- من حوله أخيراً ، ليولد الإنسان الحقيقي لأول مرة ..
و آخر مرة !!
- لماذا لم يتحرك هو ؟؟ الواقع أنه سؤال سألته لنفسه مراراً ؟ تكراراً فيما بعد ..
لكنه - أبداً - لم يحظ بجواب ..
- ربما لأنه سئم الحياة فجلس ينتظر الموت ممثلاً في الثاني ، بلا وجل ..
ربما خشي على حياته من مواجهة الثاني لإنقاذ الثالث ...
- ربما هي لحظة السعادة الشريرة التي وصفها ديستوفسكي ، و التي تمر بأي
شخص حين يرى كارثة تصيب غيره بينما هو في مأمن - مؤقت - عنها ..
ربما ... ربما ... ربما ...
- المهم أنه لم يتحرك قط .. لم يحاول حتى ... حتى حين بدأ الثاني في تمزيق
جثة الثالث ، لتنتثر دماء على وجهه ..
- كان مبهوتاً بحقيقة الإنسان .. و حقيقة الموت !..
- لكن الرابع تحرك بأسرع مما يتوقع ، و التقط عظمة فخذ ضخمة ، و هوى بها
على رأس الثاني ، فارتفع صوت عظام تنهشم .. و سكن المشهد على جثة الثاني
تقبض على جثة الثالث ، يسبحان في دمائهما ، و أمامهما الرابع يلهث كثور ..
- هيا .. يجب أن تخرج من هنا ..
قالها الرابع ، ففغر فمه ذاهلاً :
- ماذا ؟؟؟
- قلت لك هيا .. لن يمض وقت طويل حتى يستيقظا ..
- لكن .. لكن لماذا ؟؟؟
- هذه مرتبي الأخيرة لأكون صاحب الكلمة النهائية .. و كلمتي النهائية هي أنك
ستجو ..
- كيف ؟؟
- ستصعد على الجثث حتى تبلغ فتحة التهوية .. و من هناك إلى الخارج ..
إلى السطح ، بما كان حظك في الأعلى أفضل من هنا .. هيا ..
- ماذا عنك ؟؟
- أنا لهما .. عرفت هذا منذ اللحظة الأولى لي هنا ..
تبادلا لحظة صمت التقت فيها عيونهما ، و تلامست أرواحهما لحظة لم ينسها
هو قط .. ثم بدءا في تكوين سلم من الجثث الآدمية ... و حين وقف أخيراً على
قمة الجثث ، قال :
- تعال معي ..
- لا مكان لي في الأعلى ... هيا اذهب ..

هز هو رأسه متفهماً ، ثم مد أصابعه ليقبض على منفذ التهوية ، و لدهشته
استجاب له دون مجهود !!
استنفر عضلاته برجاء ليزج بجسده إلى الأعلى ، فأنت عضلاته ، ثم بدأ جسده
يرتفع ببطء ..

و من الأسفل هتف الرابع بتوتر :
- أسرع لقد بدءا في الاستيقاظ ..
استند بمرفقه على الأرض ، ثم دفع جسده إلى الأعلى بحركة سريعة ، ليجد
نفسه - أخيراً - خارج الغرفة ..

الآن هو في غرفة ذات باب و نافذة يطل منها القمر صارماً ، و نسمات من
الهواء تتخلل المكان من حوله ، لتجد طريقها إلى صدره ..
هل دمعت عيناك يوماً ، لأن غرفتك بها باب و نافذة ١٩٩ .. هو دمعت عيناه بعدم
التصديق ..!

أتاه صوت الرابع :

- هيه ... ستجد ذراع في الجدار المواجه لك .. حركه لوضع التشغيل ..
- ما الذي سأشغله بالضبط ؟؟
- ستحرق الغرفة و تتقذني منهما ..
- مستحيل ..

صرخ بها و جسده ينتفض هلعاً ، فأتاه صوت الرابع صارماً :

- افعلها قبل أن يبدأ في التهامي حياً ..
- بإمكانك أن تخرج هيا ... اصعد على جنتهم و سأمد لك ذراعي ..
- لا فائدة من هذا .. لقد استيقظا بالفعل .. هيا أسرع .. لا أريد أن أموت
هكذا ..

- لكن س ..

- هيا بالله عليك ... هذا هو أول و آخر شيء أطلبه منك ..

كاد يهتف بشيء ما ، لكن تلك الزمجرة المخيفة أذابت الكلمات في فمه ،
ممزوجة بطعم الخوف ..

و ارتفع صراخ الرابع متوسلاً :

- حرّك الذراع .. أرجوووك ..

قالها ثم تصاعد دوي هائل ، امتزج فيه صراخه ، بصرخات الثاني و الثالث
الوحشية ، كأنه قفص أسود ألقى فيه بحمل مسكين ...

و حين تصاعدت الدماء من منفذ التهوية ، لتبلل قدمه ، لم يشعر بنفسه إلا و
هو يقفز على ذراع التشغيل ، ليحركها إلى وضع التشغيل ...

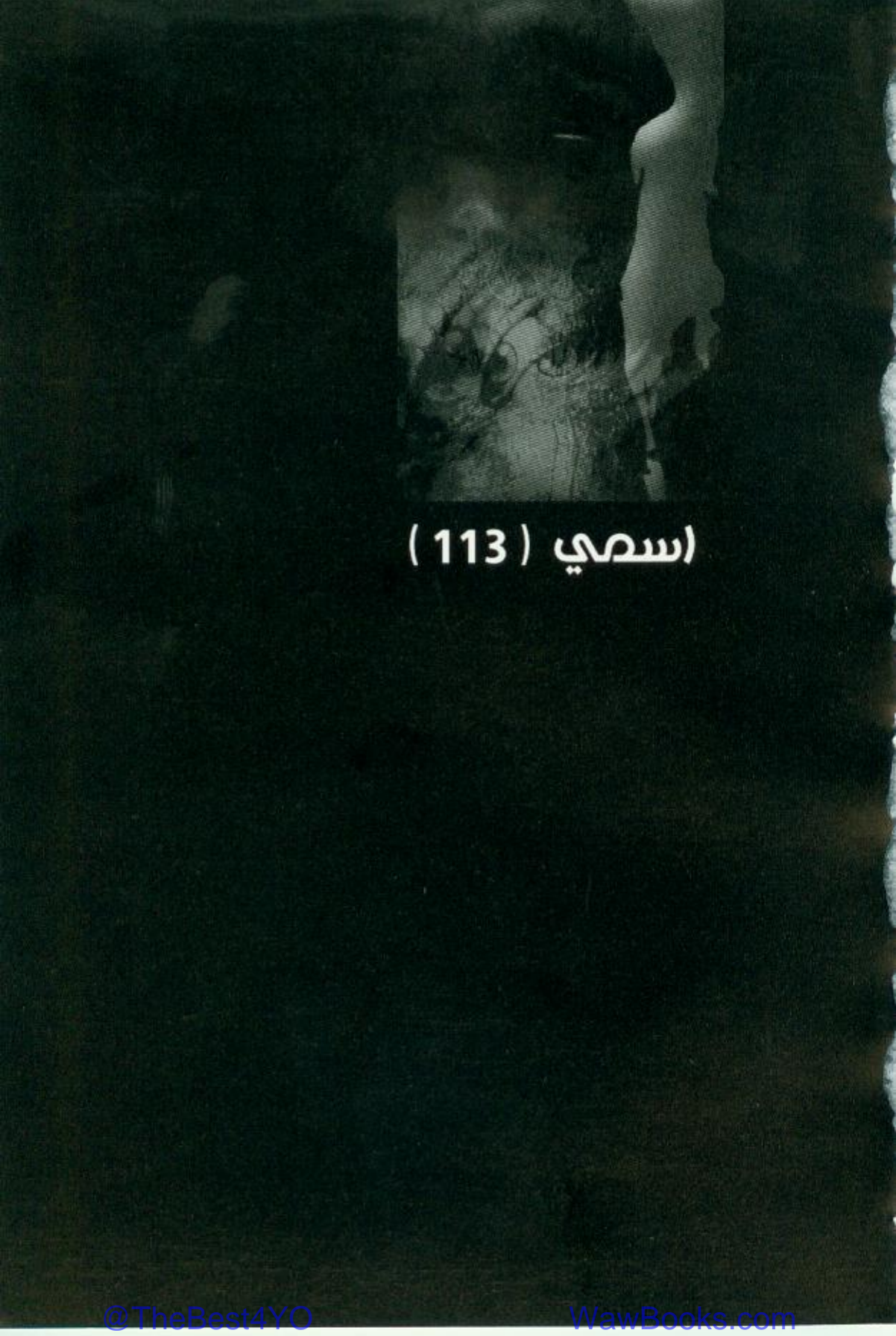


للحظة لم يحدث شيء ... ثم بدأ الهول يحدث أسفل قدميه و ألسنة اللهب تتلوى مع صراخ الجميع في الأسفل .. و أسفل قدميه ارتفعت حرارة الأرض كالجحيم ، فقفز ليعدو مبتعداً ، و دموع المرارة تزيد الظلام من حوله عتمة .. ممرات ... غرف ... درج ... ممرات ... ابتعد كل هذا لكن الصرخات لم تفارقه ...

كان يبحث عن السطح .. سطح الأرض الذي حلم به ليال طويلة ... لم ينتبه أن المكان كان خاوياً تماماً ... بل مهجوراً لم تطأه قدم منذ زمن .. لم ينتبه أن الظلام من حوله يحمل رائحة عجيبة ، لم تعرفها أنف بشري من قبل .. لم ينتبه حين بلغ السطح أخيراً ، أن ثمة شيء ما تغير في حدود الماديات من حوله ..

كل ما كان يريده حينها هو أن يبتعد عن الصرخات التي تجثم على روحه .. و حين فقد وعيه ... لم يعرف أن هذه الصرخات ستصاحبه ما بقى حياً .. أنها لن تتركه طيلة رحلته الطويلة ... قط ..





(اسمي (113)

اليوم الأول ..

هذا القبر بارد .. بارد و مظلم ..

لا تزال جراحي تنزف على المعدن البارد ، لكنني لا أشعر بالألم على الإطلاق ..
ربما لأن المعدن البارد يلاصق جسدي العاري ، أو ربما لأنني مذهول أكثر من
قدرتي على الألم ..

لماذا أتوا بي هنا ؟

إن ما أذكره أنني ذهبت لأصلي الفجر في المسجد المجاور لمنزلي ، لكنني حين
خرجت من المسجد شعرت بمن يضع ذلك الكيس القماشى الأسود على رأسي ،
بينما ثان يكلل حركتي بقوة لا تجدي معها مقاومة ، و ثالث يحملني حملأ ليلقي
بي في اليوكس ، لأسقط على آخرين مكبلين يصرخون صرخات مكتومة ..
ثم سقط آخرون فوقي ..

حدث هذا في لحظة فلم أشعر إلا و باليوكس و قد تحرك ، بينما صرخاتي
المكتومة تمتزج بصرخات من معي لتحدث طنينٌ غير مفهومًا ، بينما التزم
مختطفينا الصمت التام كأنهم ملائكة الموت يؤدون مهمتهم الأبدية ..
المشكلة أن هذا القبر لا يسمح لي بالحركة ..

ضيق أكثر مما ينبغي ، و بارد كأنه ثلاجة صغيرة ..

لقد ظننت أم جسدي سيبعث ببعض الدفء في المعدن البارد ، لكن العكس
يحدث الآن ..

سأتجمد في هذا القبر بعد قليل ..

أذكر أن جسدي المتكوم أسفل و فوق أجساد الباقين ظلّ يترجح ساعات طويلة ،
قبل أن يتوقف اليوكس أخيرًا لنسمع الأصوات المعدنية لمؤخرة اليوكس إذ يفتحه
أحد مختطفينا ، ثم شعرت بالثقل من فوق يقل تدريجيًا ، لأفهم أنهم يحملوننا
خارج اليوكس إلا حيث لا يعلم أين إلا الله ..

كل هذا كان يتم بصمت و ثقة ، حتى بدأت أصوات ترتفع ..

أصوات من كانوا في اليوكس ..

و هذه المرة لم تكن صرخاتهم مكتومة ..

لكنني الآن أريد أن أنام ..

الألم .. البرودة .. السهر .. الصدمة .. الدماء التي فقدتها ..

أريد أنا أنا!!ام !

آه ..

اسمي هو (عادل رمزي) ..

اليوم الثاني ..

و لا يزال المعدن باردًا ..

إنهم يحافظون على برودة هذه القبور المعدنية بوسيلة ما ، و لا بد أنهم عباقرة ، فهم يتحكمون في درجة البرودة ببراعة تضمن لهم أننا لن نهلك هنا .. لكنني لا زلت لا أفهم سبب وجودي هنا ..

ثم إن البرودة لا تناسب مئاتي الممتلئة .. لقد ناديت عليهم لساعات ليأخذونني إلى دورة المياه ، دون أن يجيب أحدهم .. حتى أنا لم أسمع صوتي واضحًا .. منذ أن خرجت من اليوكس محمولاً كالباقين ، ليلقي بي حاملي بين يدي لجنة الإستقبال ، حيث ما يحدث يسمونه (رزق) .. البعض رزقهم أن تهوي الهروات المعدنية على ضلوعهم ، و البعض على أطرافهم ، و البعض على وجوههم ، لكن المحظوظين وحدهم هم من يتلقون الضربات على رؤوسهم، فهؤلاء لن يستمروا طويلاً .. على قيد الحياة !

اسمي هو (عادل رمزي) .. لو كان تحريك ذراعي متأخًا ، لحفرت اسمي بأظفاري على المعدن البارد كيلا أنساه .. (عادل رمزي) .. (عادي رمزي) و لا شيء سواه ..

بعد الإستقبال ألقوا بنا في أحد الغرف ، نلملم جراحنا ذاهلين و سؤال واحد يلهب رؤوسنا .. لماذا ؟

الطبيعي أن تتساءل أين أنا ؟ أو .. ما الذي يحدث ؟ .. لكن إذا واجهت ما واجته ، ستجد أن (لماذا ؟) هو السؤال الأهم .. بعد هذا نزوعوا الأقتعة السوداء من على رؤوسنا .. و رأينا ال .. ال .. !

اليوم الثالث ..

كما توقعت أصيبت بالحمى .. إن جسدي يرتعش و كأنما أوصل أحدهم تيارًا كهربيًا بقبري المعدني ، و أصبحت أعجز عن التنفس دون سعال .. و إن كنت تتساءل عن مئانتتي فلن تروق لك الإجابة أبدًا .. الرائحة هنا لم تعد تطاق ! اسمي هو (عادل رمزي) ..

لن أنساه مهما فعلوا ..

حين نزوعوا الأقتعة من على وجوهنا رأيت القاعة التي جمعونا فيها ، و رأيت آثار من سبقونا هنا لتسيل دموعي هلعًا على الفور .. ما الذي يفعلونه ؟ .. ما الذي



يفعلونه ؟

لا توجد كلمات لوصف ما حدث لنا ..

لا يوجد سوى السؤال الوحيد (لماذا ١٩) ..

إنهم لم يستجوبونا حتى .. فقط حين انتهوا منحوا كل واحد مننا رقمًا .. رقمي هو (113) لكنهم أخبروني أنه سيكون اسمي الذي لو نسيته سوف يساعدونني على حفظه ..

اسمي هو (113) .. لا .. اسمي هو (عادل رمزي) و لن أنساه .. و لن أنسى رقمي كذلك ..

لكن ما الذي يريدونه مني ١٩ .. أنا لم أفعل شيئًا .. أنا فقط ذهبت لأصلي الفجر ..

إنهم يقولون أنني أعرف ما الذي فعلته ، لكنني - و أقسم بالله العظيم على هذا - لا أعرف !

إنهم يقولون لي (أنت تعرف يا 113) ، لكنني أقسم أنني (عادل رمزي البريء) .. لم أفعل شيئًا أبدًا أبدًا أبدًا ..
إنني لا أشعر بساقتي .. لا أشعر بال ..
لا ..

اليوم الرابع ..

لا بد أنهم أخرجوني من هنا حين كنت فاقداً للوعي ، فأنا أشعر بمذاق سكري حول فمي .. ألم أقل لك أنهم عابرة و لا يريدون لي أن أهلك هنا ..
لقد كفت جراحي عن النزف لأن دمائي تجمدت ، و لم أعد أعرف في أي يوم نحن .. لم يعد هذا يهم في الواقع ..

إنني الآن على إستعداد لأعترف بأي شيء يريدونه .. فقط فليوجهوا لي اتهامًا و سيروا كمّ تعاوني مهما كانت التهمة ..

نعم .. أنا قتلت و سرقت و زنييت و اختلست و نصبت و قذفت و هربت و اعتديت و ظلمت و تعديت و اختطفت و حرقت .. فقط أخرجوني من هنا !
أنا (عادل 113 رمزي) الذي أستحق الإعدام .. أعدموني لكن أخرجوني من هنا ..

أخرجوني و لن أصلي الفجر أبدًا .. بل لن أصلي على الإطلاق .. سأصلي فقط حين يأذنون لي .. أو لا .. لا داعي لأن يرهقوا أنفسهم .. ليخرجوني من هنا و سأقبع غرفتي في المنزل و لن أتركها أبدًا ..

إنهم يريدونني أن أنسى اسمي ، لكني سأقاوم .. سأقاوم .. سأقاوم ..
اسمي هو (عا 113 دل 113 رم 113 زي 113) ..

اليوم الخامس ..

الكلااااب .. الخونة .. الشياطينيين !!
أخرجووووووووووونني من هنااa

اليوم السادس ..

حمدلله أنهم لم يسمعونني .. الواقع أنهم ليسوا مخطئين إلى هذا الحد !
أن تعرف يا 113 .. و الواقع أنني بدأت أتذكر ما الذي فعلته بالضبط ..
لقد .. لقد .. لقد دخت سيجارة بانجو في الثانوية .. صديقي (علي) - الذي
أرجو أن يكون هنا و يلاقي ذات العذاب لأنه السبب ! - كان يدخن سيجارة
بانجو عند سور المدرسة ، و حين سألته عن سر رائحة سيجارته الغريبة ، قدّم
لي واحدة ، ففكرت أنه لا ضير من التجربة ..
الآن أدفع ثمن هذا الخطأ ، و أنا عليه نادم .. آه .. شيء آخر .. منذ أشهر
صحت في طفل صغير كان يقذف نافذتنا بالحجارة .. نعم ..
لا بد أنه ابن (مش عارف مين !) و لا بد أنه اشتكى لوالده الذي قرر أنني
أستحق العقاب .. فقط لو يمنحني والده فرصة للخروج من هنا .. سأحطم كل
نوافذي و ساكل الزجاج لأثبت له أنني نادم ..
نعم .. أنا أستحق أن أوجد هنا .. لكن إلى متى ؟!
فقط مهما طال بقائي هنا يجب أن أتذكر أنا اسمي هو .. (عادل) ..
أو (منير) ..
لم أعد واثقاً ..!
لكن أعرف يقيناً أن رقمي هو 113 .. لو نسيت سوف ..
اليوم الـ ..

إذن هكذا يأتي الموت ..
دافتاً مطمئناً حاملاً لي وعود الخلاص من هذا القبر الجليدي ..
فقط عليّ ألا أقاوم .. فقط عليّ أن أبتسم مرحباً بنجاتي ..

فقط عليّ أن ..
و أخيرًا ..

كان هناك خطأ في الإجراءات .. هذا يحدث و علينا أن نعذر المسئول فهو لم
يقصد ..

لهذا استيقظت لأجد نفسي في المستشفى و والدي يقف جوار يبيكي كالأطفال
.. مجرد تشابه بسيط في الأسماء .. لهذا أخرجوني حين اكتشفوا خطأهم ..
أخرجوني في الوقت المناسب تمامًا فلم أفقد سوى ساقي اليمنى و إن كنت لا
أذكر كيف .. لا بأس اليسرى ستفي بالغرض !
مجرد تشابه في الأسماء لكني لا أفهم كيف حدث .. إن من كانوا يسعون وراءه
اسمه (علاء رمزي) أما أنا فاسمي الذي ولدت به و الذي لا أعرف غير هو
(113) !..





فزع

اليوم ستذهب ليلى إلى المعسكر...
يا إلهي ..

ستترك ليلى المنزل يومين كاملين...
هكذا فكر الدكتور شريف بقنوط و أسى .. يومين كاملين يقضيهما مع زوجته ..
وحدهما... فى المنزل...

إن الفكرة تبدو مفزعة حقا .. !
الساعة الآن التاسعة مساء للأسف .. سيضطر لإغلاق العيادة و العودة الى
الجحيم .. منزله..

وتحت سيل من الأمطار الهادرة ، التي أخذت تدك سيارته دكا ، أخذ الدكتور
شريف يقود سيارته، وفى رأسه عاصفة من الافكار أشد هولاً من تلك التي
خارج السيارة ..
حسنًا ..

سيعود إلى المنزل لتستقبله زوجته ، بنظراتها الكثيبة المتحفزة للشجار لأى سبب
و بدون سبب..

حقاً ستستغل اليومين التي ستقيمها ابنتها ليلى خارج المنزل خير استغلال ..
ستعيد له الشريط الكتيب ، عن كيف تحملته أيام فقره ، و هى سليلة الأسر
الراقية، و كيف رضيت به و بالحياة معه .. هو الهمجى الغبى الذى يظن نفسه
ملكاً مجرد أنه رجل ..
اللعنة..!!

إن حوادث السيارات تحدث كل يوم .. فهل ينقذه حادث ما من الساعات الرهيبة
التي فى انتظاره؟!
لكن ..

هاهو المنزل يلوح له، وسط الظلام و الامطار، ككابوس مجسم .. النافذة
المضاءة فى الطابق العلوى تقول انها هناك .. فى انتظاره ..
اجتاز الدكتور شريف بوابة المنزل .. فالحديقة التي أحالتها الأمطار إلى مستنقع
طينى لزج ..

فالمرآب، حيث ترك سيارته ، و خرج منها متجهاً إلى باب المنزل ، و كأنما
سيسلم نفسه فى معتقل سيبريا...

آلا يمرض أحدهم فى هذا الطقس فيرسل فى استدعاءه ؟
بيد مرتجفة من البرد - أو لعله الإنفعال - مدّ يده بالمفتاح .. و فتح على نفسه
بوابة جهنم...!
الردهة المظلمة أمامه ..

و درجات السلم التي لوّثها بصيص من الضوء القادم من الطابق العلوى ..
الطابق العلوى.. حيث تنتظره هي ...

و قد تساقطت كتفاه ..

ويخطوات متناقلة مهمومة ، أخذ يصعد الدرج

و .. أخيراً جئت ...

الصبيحة الشرسة تستقبله ، كطبول الحرب إيذاناً ببداية ليلة جديدة من الشجار..

حسناً ، فاليحتمل قدر المستطاع .. ثم فليندس في فراشه حتى الغد...

قد يستيقظ غداً ، فيجدها جثة هامدة .. من يدري؟؟

أما هي فببت أمامه تقف على باب الغرفة المظلمة ، و قد صنعت الظلال في

وجهها لوحة مرعبة للغضب و الوحشية.. واصلت الصراخ :

- أين كنت طيلة الوقت؟؟

فأجابها بلا اكتراث محاولاً التماسك :

- في العيادة...

- إلى هذا الوقت...؟

- العاصفة أخرتني .. إن كنت تشكين في هذا انظري من النافذة ..

التمتعت الكراهية في عينيها و هي تتابعه إذ يدخل الغرفة و يبدأ في نزع سترته

، لتقول :

- العاصفة.. أم أنك تعمدت التأخر.. تعمدت عدم المجيء؟؟

كاد يصارحها أن هذه هي الحقيقة ، و لكنه أثار السلامة ، و ابتلع رده مع ريقه و

هو يواصل نزع سترته ..

لكنها لم تتوقف ..

انفجرت تعيد عليه النغمة الخانقة .. للمرة المليون ربما ..

و ردد هزيم الرعد صراخها بدوي هزاً كيانه هزاً ..

« كفى ... كفى .. »

خرجت الكلمة من بين شفثيه هادرة .. باترة .. تحمل كرهه.. و غضبه.. و

ثورته... و مقته ..

لكنها لم تتوقف...

بل ازدادت هياجاً .. و ارتفع صوتها حتى غطى على صوت هزيم الرعد ذاته

و .. و ..

و لا يمكن تفسير ما حدث بالضبط .. و لكنه كان حتمياً ..

ربما العاصفة.. ربما الصراخ .. ربما الغضب و الكراهية .. ربما لأن أعصابه لم

تتحمل المزيد ..





ربما هو مزيج من هذا كله ..
المهم أنه وجد نفسه يقفز ليقبض على عنقها ليعتصره بقوة عاتية محاولاً
إسكات صراخها ..
صراخها الذى استمر لحظة .. ثم استحال إلى حشرجة .. ثم القرقة المخيفة
التي بدت كهزيم ألف رعد ..
ثم صمتت تماماً ..
و إذ أفاق كانت أصابعه لا تزال تعتصر عنقها .. وكان رأسها قد مال إلى الخلف
بزواية غير طبيعية و الرغاوى تسيل من فمها ..
و كانت عيناها الجاحظتان مسددتان تجاهه ، ترمقانه بكراهية ..
حديق هو لحظة فى هذا كله .. ذاهلاً .. خائفاً .. ثم ترك أصابعه تتسل من
حول عنقها ..
و للحظة ظلّت واقفة .. ثم سقطت ..
أخيراً سقطت ..
و صمتت...!
و بإنفعال هائل أخذ يلهث غير مصدقاً أنه فعلها .. ثم جلس على الفراش
و أشعل سيجارة نفث دخانها فى سماء الغرفة .. مسرح الجريمة ..
لقد ماتت ..
لكم تبدو الفكرة مفزعة .. مخيفة ... و مريحة ..!
لقد ماتت .. لقد تخلص منها ..
ثم انقطع التيار الكهربائى بغتة .. فساد الظلام المكان ..
و رغماً عنه احتبس دخان السيجارة فى صدره ، فأخذ يسعل بشدة حتى دمعت
عيناها ..
ثم بدأ شعور عجيب بالفزع يكتنفه ..
هو ... وهى - سابقاً- فى الغرفة و الظلام يغلف كل شئ .. والأمطار تضرب
زجاج النافذة بدوي مخيف ، امتزج بهزيم الرعد ليصنع مزيجاً مخيفاً كموسيقى
تصويرية لفيلم رعب ..
رعب..؟ إن الشعور الذى يشعر به حقاً هو الرعب ..
يجب أن يغادر الحجرة فوراً ..
هكذا و دون تفكير أطقاً الدكتور شريف سيجارته ، و اندفع خارجاً من الغرفة
حتى أنه تعثر بجثة زوجته ، مما أورثه هزاعاً على فزعه دفعه للعدو إلى الأسفل
.. إلى الردهة حيث أخذ يلهث ، عاجزاً عن التفكير ..
لقد قتلها ..

أنهى حياته الزوجية الفاشلة بجريمة قتل ..
لا بد أن السجن هو مصيره ..
لا .. ليس السجن .. بل المشنقة .. الإعدام شتقاً ...
ليلى .. يا إلهي .. ليلى ..
كيف لم يفكر فيها .. في المصير المظلم الذى ينتظرها بأمر مقتولة و أب محكوم
عليه بالاعدام ؟
الضوء ..
ليدخل بعض الضوء فى المكان ثم يفكر ..
نعم ، لابد من أن الشموع على المائدة .. أين الثقاب ؟ ها هو .. و بذات اليد
المرتجفة أشعل عود الثقاب .. تراقص لهب الشعلة للحظة إثر نسمة هواء باردة
أثارت رجفة فى جسده .. ثم مدّ يده ، ليشعل فتيل الشمعة و ليغزو الضوء المكان
على استحياء ..
و على الضوء المتقطع الشاحب .. ظهر وجهها ..!
ارتد بهلع ليصطدم بالمقعد ، فسقط أرضاً مطلقاً صرخة فزع مدوية ..
إ... ن... ه... و... ج... ه... ه... ا... ..
الوجه المحتقن و الذى بدأت تغزوه الزرقة ، و الرغاوى تسيل من فمها و العينان
الجاحظتان ترمقانه بكرامية ..
أخذ جسد شريف يرتجف بشدة ، و البرودة تغزو عظامه ، و هو يحديق ذاهلاً
مرعوباً فى زوجته التى استقرت أمامه على مقعد المائدة ، و رأسها يميل إلى
الخلف بزواية غير طبيعية ..
مستحيل .. مستحيل .. إنه يهذى .. بالتأكيد هو يهذى ..
تغلب ذهنه على فزعه ، فقفز واقفاً و انطلق عدواً إلى الطابق العلوي ، إلى
حيث لم يجدها ..!
« انها لم تمت .. »
هكذا هتف ثم انطلق يعدو مجدداً إلى الأسفل .. إلى المائدة حيث جلست هي ..
و بخبرته الطبية لم يحتج لمجهود بالغ ليدرك أنها ميتة ..
للأسف ميتة .. !
بهستيريا تامة أخذ الدكتور شريف يضحك ، و قد ألقى البرق بوميض شاحب
على وجهه ، تلاه هزيم الرعد الذى امتزج بضحكاته ..
لا زالت تطارده حتى وهي ميتة .. ياللعن .. ياللعن ..!
ثم استحال مشاعره كلها بغتة إلى جذوة مشتعلة من الغضب .. ليتخلص منها
نهائياً ..





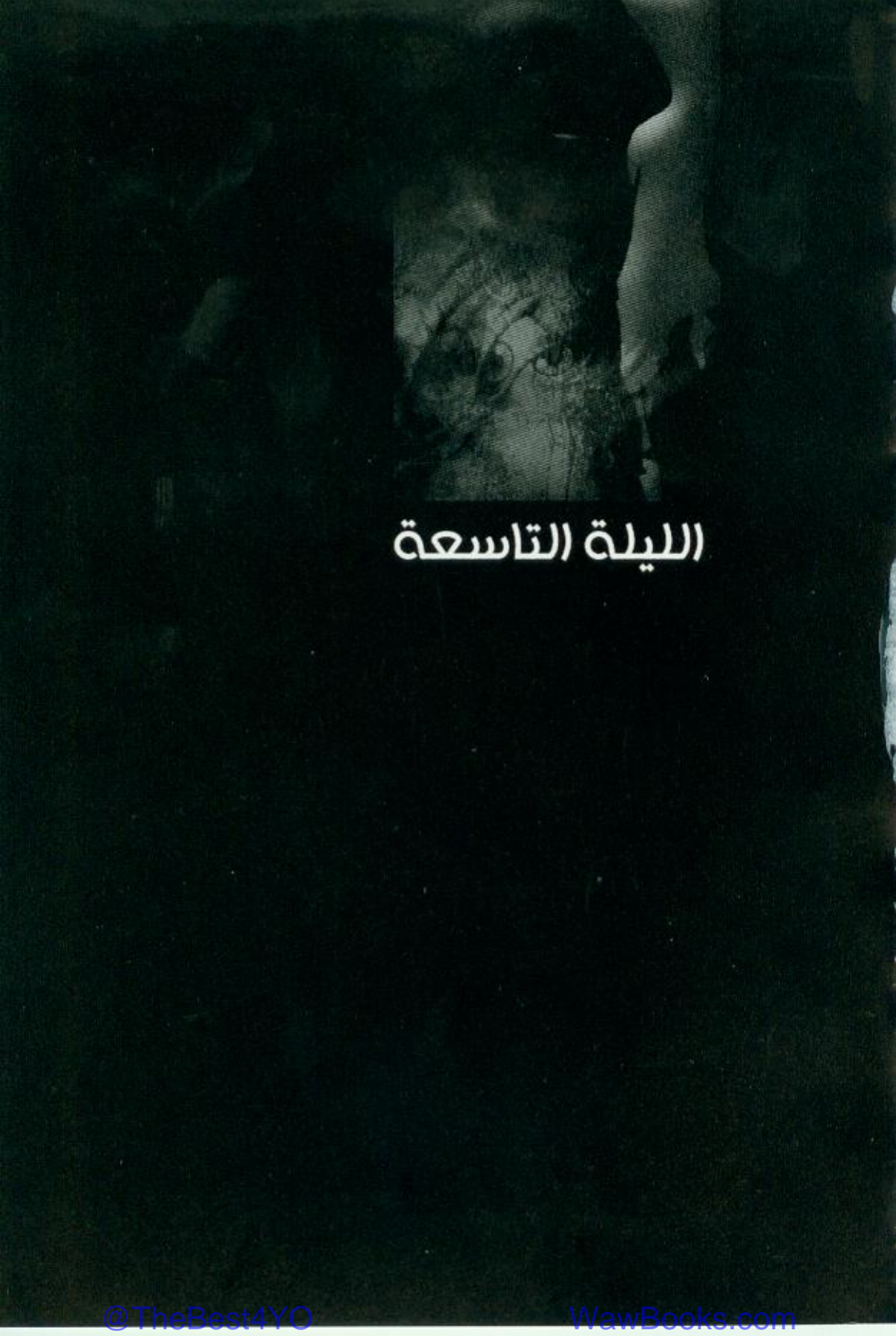
الجثة.. الحديقة.. الجاروف في المرآب .. الصورة مكتملة و لا تحتاج إلا إلى التنفيذ ..
و تحت المطار .. تحت وميض البرق .. في قلب العاصفة ، وقف الدكتور شريف في الحديقة يحفر .. و يحفر .. يحفر قبرها ..
استمر الأمر لساعتين قبل أن يعود منهكاً خائر القوى إلى داخل المنزل و المياه و الطين اللزج يغمرانه ..
هذه المرة تخلص منها حقاً ..
حتى لو كانت من هواة السير أثناء الموت !..
الآن يغتسل .. ويخفي آثار ما حدث ، و في الغد يتخلص من الجثة نهائياً ..
لن يسمح لها أن تدمر مستقبله كما دمرت حياته ، و إن لم يكن من أجله ، فليكن من أجلها .. من أجل ليلى ..
نعم .. لن يس ..
الطرقات الكثيبة على باب المنزل ..
طرقات جمدت الدماء في عروقه ، و انتصب لها شعره ..
لا .. لا يمكن .. إنها العاصفة .. لا .. ليست العاصفة ..
إنها هي !!
هي .. هي .. هي ..
قادمة من أجله .. لتتقم .. لتقتله ..
« لا!!!!!! ... »
صرخ بها و عيناه تلمعان بجنون مطبق .. لن يسمح لها هذه المرة ..
اندفع عبر درجات السلم إلى الطابق العلوي .. غرفته .. المسدس في درج المكتب حيث اعتاد أن يضعه للطواريء .. هاهو ..
التمع البرق في السماء فأخذ يقرأ عناوين الكتب في مكتبته ..
(السحر الأسود) .. (عن الجن و الشياطين) .. (جذور الموت) ..
من الذي ابتاع هذه الكتب !!!
فتجيبه الطرقات الكثيبة .. إنها هي ..
تلمس طريقه إلى الأسفل و قد أخذت عيناه تدمعان هلعاً ، و قد تلاشى كل شيء من ذهنه لتحل فكرة واحدة ..
يجب أن يتخلص منها .. الليلة ..
مأخوذاً .. بعينين زائغتين و بخطوات بطيئة مترددة ، بلغ الباب .. و فتحه ..
استقبلته الرياح و الأمطار ، لكنها لم تكن هناك .. ثم شعر بشيء ما يمر بين

ساقيه بغتة !
و بدون تفكير قفز و أطلق النار ، فأطلقت تلك القطعة مواءً أليماً ، قبل أن تسقط
جثتها أمامه تنز الدماء ببطء ..
و بمزيج من البلاهة و الذهول حدق هو في جثة القطعة ..
المسكينة .. جاءت لتحتمي من العاصفة ، فاستقبلها هو برصاصة ..
و مولياً ظهره للباب المفتوح .. محدقاً في جثة القطعة .. و من قلب العاصفة و
الظلام ، ظهرت هي ..
سمع (شريف) صوت خطواتها الحافية تدق الأرض خلفه تماماً ، و شعر
بحفيف رداءها إذ احتك به ، لكنه لم يستدر ..
شل الرعب تفكيره و جسده تماماً ..
أما هي ، فاجتازته و قطرات الأمطار تتساقط منها و الطين يغطي جسدها كله
، في حين مال رأسها بزاوية غير طبيعية و قد جحظت عيناها و الكراهية تطل
منهما ..
ثم ابتلعها ظلام الردهو مجدداً ..
و إذ استطاع الدكتور (شريف) التحرك أخيراً ، كان ما فعله حتمياً ..
حقاً كان ..



عندما وصلت (ليلي) بعد يومين كان هناك الكثير من الصراخ ..
و عندما افتحم الجيران و الشرطة المكان ، كان المشهد أمامهم عنيفاً و مخيفاً ..
جثة القطعة عند مدخل الباب .. الدكتور شريف في منتصف الردهة و قد
اخترقت رصاصة رأسه ، في حين قبضت يده على المسدس ..
و في الأعلى كانت جثة الزوجة ملقاة أمام غرفتها و قد مال رأسها بزاوية غير
طبيعية و قد جحظت عيناها و كأنما ترمقان كل شيء ..
بكراهية ..





الليلة التاسعة

من الماضي السحيق
صفحات غابرة من القرن الثامن عشر

الممر الحجري الكثيب .. المضاء بالمشاعل ذات اللهب المتراقص ، ملقياً بتلك
الظلال المتراقصة الرهيبة .. رقصة النار المجنونة الخالدة..
الوزير بحركتها التي تكسبه وقار ، يليق بوزير الملك «جورج الثاني» يقطع الممر
بخطوات سريعة ، تعكس توتره البادي في ملامحه ..
قطع الممر ، ليستقبله الحارسان بتحية صاخبة ، تجاهلها وهو يدلف الى تلك
القاعة الضخمة المضاء بعشرات المشاعل ، مانحة إياها هيبه واضحة ، أضفت
إلى هيبه طبيعة المكان ذاته ..

بلاط الملك «جورج الثاني» نفسه!

وعلى عرشه استوي الملك «جورج» ، وقد أخذت عيناه الباردتان القاسيتان ،
قسوة ملك مملكة لا تغيب عنها الشمس ، تتابعان الوزير الذي امتثل أمامه
لينحني باحترام بالغ قائلاً بصوته الذي لم تؤثر في قوته السنون :
- مولاي ..

دوي الصوت الجمهوري ، صوت الملك يقول :

- ماذا عندك يا وزيرى ؟

فرد الوزير قامته ، وقال متحاشياً النظر في عيني الملك :

- لقد استفحل الأمر يا مولاي ... استفحل وأخشي أن تأتي اللحظة ، التي
يخرج فيها من أيدينا ..

- أمر ماذا ؟؟

- أمر ذلك البيت يا مولاي .. البيت المسكون !!

خرج صوت الملك «جورج» حاملاً بروداً يكاد يطفئ لهيب كل المشاعل في
القاعة :

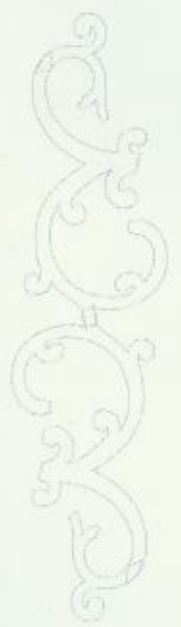
- ماذا عنه ايها الوزير ...؟

تسللت العصبية الى صوت الوزير رغماً عنه ، وهو يجيب :

- لقد فاقت سمعة هذا البيت الحدود ... والناس يخشونه كالموت ذاته ولا أحد
أصبح يجروء على الدنو منه .. إنهم يطالبون بهدمه ...

- يطالبون بهدمه لأنهم يخشونه ...؟ لماذا لا نقتل الوزراء ايضاً ماداموا
يخشونهم هم ايضاً ..؟

أسقط في يد الوزير وقد منحه ملكه واحدة من ردوده الباترة الشهيرة .. لكنه لم
يتمالك نفسه ، من أن يقول بتخاذل :



- ولكن
- ولكن ماذا ؟
- انحني الوزير باحترام قائلاً :
- كما تشاء يا مولاي...
- والتفت مغادراً القاعة الملكية تاركاً الملك ..
- وانتظر الملك حتي غادر ، ثم قام من على عرشه ، ليذهب إلى ممر آخر خلف العرش اضاءته المشاعل ، متجها الى غرفة الملكة «كارولين»...
- وعلى باب الغرفة ، هبت الوصيفات ، ليستقبلن الملك بمزيج من الرهبة والخوف ، ليقول هو بصرامة :
- هل الملكة مستيقظة؟
- أجابته إحدي الوصيفات على الفور :
- نعم يا مولاي ...
- ودون أن يرد عليها دخل الى غرفة الملكة ، التي رقدت في فراشها شاحبة ، وإمارات الإعياء تطل من وجهها ومن سعالها المتقطع ...
- وبصرامة خلت تماما من الإشفاق سألها :
- أما زلت ترفضين التحدث...
- ادارت «كارولين» له عينين متناقلتين بالمرض وخرج صوتها متحشرجاً محملاً بالوهن وهي تجيب:
- لا أملك شيئاً لأجيب به مولاي ..
- بل تملكين .. تملكين سر هذا البيت ...!
- قالها بلهجة صارمة مخيفة ، استقبلتها هي بضعف وهي تكرر :
- لا أملك شيئاً أجيب به مولاي ..
- التمتع الغضب في عينيي الملك «جورج الثاني» وبدا وكأنه سيصدر أمراً بإعدامها وعلى الفور .. ولكنه تمالك نفسه ليقول بصوته البارد المخيف :
- لقد منحتك أكثر من فرصة يا «كارولين» ويبدو أنك لم تتركي لي الخيار ...
- سيهدم المنزل غداً ...
- أطلقت الملكة سلة خفيفة وقالت وهي تغالب فقدان الوعي ..
- وربما الحياة ذاتها :
- لن يستطيع مولاي....!
- ارتجفت سفتا الملك غضباً أمام هذا التحدي السافر، وعكس صوته كل غضبه ومقته وهو يقول:
- سنرى ...



وغادر الغرفة بخطوات سريعة قبل أن يفقد أعصابه ويخنقها بيديه ...!!
ولم يكذب يفعل ، حتي نادى الملكة بصوتها الواهن على إحدى وصفاتها:
-«مارتا»...

دخلت الوصيفة العجوز على الفور إثر نداءها قائلة :
-أمر مولاتي....

انتزعت الملكة الكلمات من حلقها انتزاعاً ، وهي تقول :

-ثمة سر يجب أن أفضي إليك به يا «مارتا»....

لست أظنني سأستمر أكثر من هذا

خفق قلب الوصيفة العجوز وجلاً ، والملكة تتابع :

-يجب أن يحافظ أحدهم على السر...

وزاغت عيناها أكثر فأكثر ، إذا أردفت :

-سر البيت الملعون ..

واستحال وجل الوصيفة إلى فزع ...!!!



حدث في هذه الليلة!!!

وهكذا وجد «يوسف يحيى» نفسه في تلك القاعة ..

الرائحة الخانقة الرطبة ... وأضواء المشاعل المتراقصة تمزق الظلام الى الف

ظل .. وضربات قلبه في صدره تتبض بالخوف والهلع ...

والفضول ...!

ذلك الفضول القاسي العجيب ، يجري في عروقه ويدفعه الى المواصلة .ز

يجب أن يعرف .. يجب أن يفهم ...

ومهما كان الثمن ..

ونظر الى الممر المظلم الذي جاء منه وتساءل ..

كيف سيخرج من هنا ...؟

لا بأس .. لنترك هذا لوقتته .. المهم أن يبقى حياً ليخرج..

وبعينين شاردتين أخذ يرمق القاعة أمامه .. خاصة تلك المائدة الخشبية ،

التي تراصت حولها المقاعد وتناثرت فوقها الشموع .. إنها تتأديه .. تطلب منه

الجلوس .. وذلك الدفتر العتيق .. عليها يطلب منه أن يفتحه .. أن يقرأه .. فهل

يجرؤ ...؟

واستجمع شجاعته .. جر قدميه جراً وتقدم .. ثم بلغ المائدة ليجلس على أحد المقاعد .. ويبدن مرتجفتين مد يده الى الدفتر ليفتحه ...
ثم انتبه بغتة إلى شئ ... بالغ الأهمية ...
يجب أن يدون ما حدث .. يجب ... ليترك حقيقة ما حدث في دفتره على أحدهم يجده فيعرف ما حدث....
وهكذا أخرج يوسف دفتره وقلمه وبدأ يكتب :
«ها أنا قد بلغت تلك القاعة المخيفة ولا أعرف حتي كيف سأخرج منها بعد ذلك ... ولا كيف سينتهي هذا كله .. ولكني لم أعد اهتم .. إنني على استعداد لبذل حياتي ذاتها مقابل أن أفهم ما حدث لي .. إنها لحظة الحقيقة كما يقولون .. فإما الآن أو لا للأبد !...
على كل حال ، لقد كان كل ما ممرت به قاسياً بحق ويستحق أن أظفر بتفسير من أجله .. ولإن تخاذلت ، لكنت قضيت حياتي كله ، أتساءل عن سر ما حدث.. عن ماذا كان يختبئ خلف تلك الأحداث الرهيبة ..
لهذا إن لم أخرج من هنا ، أرجو أن يجد أحدهم هذا الدفتر ليفهم ويعرف..
لقد سجلت فيه كل ما حدث ومنذ الليلة الأولى و... مهلاً...
ثمة صوت ما !!!...»

صوت خطوات قادمة من الممر المظلم الذي أتيت أنا منه!!!
نعم لست أهدي .. إنها خطوات ... وخطوات أكثر من شخص .. أيضاً...!!!
أشعر بالخوف ولا أملك أن أذكر هذا .. ترى هل رأى أحدهم المشهد في الأعلى وجاء ليستقصي .. ربما .. لقد اقتربت الخطوات على كل حال...
يا إلهي ... لايمكن أن يكون ما أراه حقيقة .. إنه مستحيل ... مستحيل !!!

.....

ولكن ..
أعتقد أنه يجب أولاً أن نعرف الأحداث منذ البداية منذ الليلة الأولى

.....

الليلة الأولى
منذ بدأ كل شئ ...!!

فرك ذلك العجوز ، ذو الذقن النامية ، والجلباب القدر كضية وقال :



-هه .. هل اعجبتك ؟!

ألقي «يوسف» نظرة على الغرفة الضيقة ، بعدم رضا واضح إلا أنه قال :

-لا بأس ..

-لقد قلت أنك تريد مكاناً هادئاً .. أليس كذلك ؟!

-نعم .. قلت...

عاد العجوز يفرك كفيه قائلاً :

-إنك لن تجد مكاناً أكثر هدوءاً من هنا .. كما أن الإيجار مناسب و..

قاطعه «يوسف» بنفاذ صبر:

أعرف ... أعرف .. هاك.

وناوله بضعة أوراق مالية تلقفها العجوز بلهفة هاتفاً :

شكرا يا سيدي .. سأتركك لترتاح ..

وغادر الغرفة على الفور تاركاً «يوسف» بحقيبته على الفراش المتهالك ، مجيلاً

بنظرة في أساس الغرفة المتواضع ، المتكون من منضدة خشبية ومقعدين ، لا

يصلح أحدهما للجلوس ..!

ثم فتح باب الشباك ليلقي نظرة على المنطقة المحيطة .. حقاً .. لقد صدق

العجوز .. لا توجد منطقة أكثر هدوءاً من هنا ... من المقابر..

وأمام المشهد الكئيب المثل من النافذة أخذ «يوسف» يفكر ..

ها هو قد ظفر بالمكان الهادئ الذي ينشده ليبدأ في كتابة الرواية التي يحلم بها

.. تلك الرواية التي يعقد عليها أمله في النجاح ككاتب..

صحيح ان إمكاناته المادية لن تسمح له بإيجار هذه الغرفة أكثر من شهر ، ولكن

لا بأس..

ربما بحث عن عمل ليدر عليه دخلاً مؤقتاً حتي ينتهي من كتابة الرواية .. ولكن

الآن ما عليه سوي أن يفزع تفكيره للكتابة .. للكتابة فحسب...

سينام الآن ويستيقظ مساءً ليبدأ طقوس كتابته المعتادة .. وجبة خفيفة وقده

من «الكاكاو» الساخن .. ورزمة من الأوراق البيضاء تنتظر أن تمتلئ بالحبر ..

وصامتاً بدل ملابسه بأخرى للنوم .. مدد جسده على الفراش المتهالك .. أغلق

المصباح الوحيد في الغرفة..

ونام ...

وعندما دقت الساعة العاشرة مساءً استيقظ ليبدأ في ممارسة طقوسه..

اغتسل ، ثم أكل طعاماً معلباً ، ثم جلس على المقعد الخشبي أمام رزمة الأوراق

على المنضدة ، والأبخرة تتراقص على سطح كوب «الكاكاو»..

امسك قلمه وبدأ يعتمر في أفكاره ..ز.

مرت نصف ساعة .. ساعة ... ساعتين .. بعدها أدرك أنه لا يملك ما يكتبه !!
خواء فكري تام ...!!
وبسخط ألقى بقلمه ، ليحرق بعيني شاردتين في قرح «الكاكاو» الذي برد منذ
زمن...

عن ماذا يكتب ...؟ غنه لا يعرف ...!!
إنه ذلك الشعور السقيم بأنك كنت تملك الفكرة .. فكرة تتقاذف داخل جمجمتك
و كأنما ترجوك أن تكتبها .. أن تمنحها الخلود على الورق .. ولكن ما إن تقترب
منها ... ما إن تحاول أن تقبض عليها بأصابعك .. حتى تكتشف أنك كمن يحاول
أن يمسك بخيط من الدخان ...

لقد تبددت الفكرة من رأسه كما يتبدد خيط الدخان ...!
وشاعرا بالحنق قام من على مقعده وخرج من الغرفة مزمعاً التجول قليلاً بين
المقابر عله يجد فكرة يبدأ بها ..
استقبله نسيم الليل البارد ، ليثير بين أوصاله تلك الرجفة الأولية ، ثم استنشق
نفساً عميقاً ، ملأ به صدره وأخذ يتجول بين شواهد القبور الرمادية ، وبهبة
غمغم لنفسه :

-إنه مكان موحش حقاً ..!!
وتغلبت غريزة الاستكشاف في أعماقه على كل هذا ، فأخذ يجول بين الشواهد
الباردة و كأنما يبحث عن فكرة بينهم ، بينما ذلك الشعور المعتاد بالرهبة من
الموت والمقابر ، يجد طريقه داخله كأى بشري آخر ..!
إنه ذلك الخاطر الرهيب المرير ، بأن تلك الحجارة تحوي أسفلها رفات العشرات
.. عشرات كانوا يحيون ويفكرون ويحلمون ويحبون ، ثم انتهى بهم الأمر الى
التراب ... وسيأتي دوره ليلحق بهم أجلاً أو عاجلاً ...!
«مهلاً .. ما هذا ...!!»

انقطع حبل أفكاره وهو يحرق فيما قادته إليه قدميه بعجب بالغ ، مغممًا
بالعبارة السابقة ، بلهجة تفوح بالدهشة والاستغراب ...!!
فأمام عينيه تراصت ستة قبور ، هي دائرة كاملة ، بعدت بضعة أمتار عن باقي
القبور وقد أحاطت بها دائرة من النباتات التي زحفت على شواهد القبور
مطوقة إياها بسياج أخضر داكن منح المشهد هيبة عجيبة و كأنها لوحة كابوسية
عن الموت ...!!

وأمام هذا المشهد وقف «يوسف» برهة مذهو لأقبل أن يملك السيطرة على



قدميه مجدداً ليبدأ في الدور أن حول القبور ، باحثاً عن ثغرة وسط سياج
الأعشاب لينفذ منها إلى مركز الدائرة ...

«أنت هنا الك» ١١٩

انبعثت الصيحة من الظلام لتطيح بأعصابه ولتجعله يلتفت كالملدوغ إلى مصدر
الصيحة .. اصطدمت عيناه بالعينين اللتين التمتعا في الظلام ، ثم تبدت ملامح
الوجه المتعضن ذو الشعيرات البيضاء النامية من خلفهما :

وكرر :

-أنت .. ماذا تفعل هنا ١٢٩

انتزع «يوسف» الكلمة من خلفه ليلقيها :

-أنا أسكن هنا ..

-أنت الساكن الجديد إذن ١٣٩

-نعم....

تحركت التجماعيد على جانبي وجهه لترسم ابتسامة ودودة وقال :

-مرحباً ...

وكانما أذابت ابتسامة العجوز خوفه ، هدأت نفس «يوسف» وأجاب :

-أشكرك .. هل لي أن أسألك من أنت ١٤٩

-حارس هذا المكان ...

هز «يوسف» رأسه متفهماً وأشار الى نافذة غرفته المضيئة :

-هذه غرفتي .. انتقلت اليوم...

جلس العجوز على إحدى الصخور الضخمة ، وأخرج من جيبه لفافة تبغ مكتظة
، أشعلها قائلاً :

-ولم تجد مكان أفضل من هنا يا ولدي ١٥٩

ابتسم يوسف مجيباً :

-لقد كنت أزمع الوحدة والهدوء....

بادلة العجوز الابتسامة ، قائلاً :

-ستحصل عليهما هنا بالتأكيد :

عاد «يوسف» بهز رأسه متفهماً ، قبل أن يسأله بغتة :

-منذ متي وأنت هنا ...؟

سعل العجوز لافظاً المزيد من الدخان ، ثم أجاب :

-لست أذكر بالضبط .. عندما تبلغ عمري لن يشكل هذا فارقاً ..

ومال إلى الأمام قليلاً ، متسائلاً بتخاثر :

-لماذا ...؟



-كنت اتساءل عن هذه القبور الستة .. لست أدري .. لكن ألا تبدو لك غريبة نوعاً ما ؟..

نفث العجوز دفقة أخيرة من الدخان ، قبل أن يلقي باللفافة أرضاً متسائلاً:
-أى قبور ستة ...! المكان مكتظ بالقبور ..
أشار يوسف إلى ما خلف ظهره قائلاً...
-تلك التي تشكل دائرة ..

منحه العجوز نظرة طويلة متفحصة ، ثم قال :
-لست أدري عن ماذا تتحدث يا بني .. فلا توجد أمامي قبور ستة أو دائرة..
عقد يوسف حاجبيه باستغراب ، قائلاً :
-ماذا ...!!

والثفت بجذعه مشيراً إلى ... إلى ... أين ذهبت القبور ...!!
تسمر إصبعه المشير إلى الأرض الجرداء الخالية تماماً وهتف بذهول :
-لقد كانت هناك ...

وهب واقفاً ، غير مصدقاً لما أمامه ، مردداً :
-أقسم أنها كانت هناك ...
ربت العجوز على كتفه قائلاً من بين سعاله :
-يبدو أنك لم تتم جيداً يا بني .. سأتركك الآن ، فالوق تأخر على عجوز مثلي ...
ثم تركه وسط ذهوله ...

لكن كيف ؟...! القبور كانت هناك ...! هو رآها بأب عينيه ...!
لا...لا... لايد أنه يهذي .. القبور لا تختفي فجأة .. كل هذا كان هدياناً و...
إنه ليس هدياناً .. إنها الفكرة..

لقد خرج ليبحث عن فكرة ، وها هي تتقافز أمامه ... وهذه المرة أمسك بخيط الدخان وما عليه إلا أن ينسج به قصته ...
قصة رعب على ما يبدو ...
كل ما عليه الآن هو العودة ..

إعداد قذح «كاكاو» يخر ثم السباحة بين الأوراق ...
ويخطوات سريعة ، اجتاز القبور عائداً إلى غرفته ، ليدخلها بلهفة قبل أن يقف هاتفاً بسخط :
-اللعة ..

لقد نسي النافذة مفتوحة ، فأطار الهواء أوراقه في أنحاء الغرفة ..
وبضيق بالغ أغلق النافذة ، ثم انحنى ليجمع الأوراق ولكنه توقف بغتة ليحدق في



إحدي الأوراق التي كتبت عليها بضعة سطور باللغة الإنجليزية..
مهلاً .. إنه لم يكتب شيئاً قبل أن يترك الغرفة .. فمن كتبها إذن !!!
ويحذر مد يده ليلتقط الورقة ثم أخذ يقرأ ما فيها ببطء....
ثم ترك الورقة تسقط من يده ذاهلاً ...!! هذه المرة إنه لا يهذي ... بالتأكيد لا
يهذي ...!
لقد خالفت القوانين .. عليك أن تعلن نفسك عضواً ميتاً في الليلة التاسعة ..
هذا ما كان مكتوباً في الورقة ..!!.....



الليلة الثانية
أحداث أخرى

في اليوم التالي استيقظ ، جلس على فراشه ، ثم أشعل سيجارة من العلبة التي
ابتاعها ليلة أمس ... وأخذ يحدق في الورقة ...
لقد خالفت القوانين .. عليك أن تعلن نفسك عضواً ميتاً في الليلة التاسعة ..
الحروف الانجليزية العتيقة بأطراف مثنية ، مائلة ، والتي تبدو كأنها رسمت لا
كتبت ...
والآن .. من رسمها في غيابه ؟ وما الذي يعنيه بالضبط ...!!
استشق المزيد من الدخان في صدره ، وواصل ... هل هي مزحة ...!! لا ...
لاتبدو كذلك ... أو على الأقل ، الأمر أسخف من أن يكون مزحة ...
وأعجب من أن يكون جدياً ...! لهذا فهو يصلح ... يصلح لاستخدامه في
روايته ...
سيكتب قصة عن شاب ، يعيش وحيداً في المقابر ، ليكتب رواية ، فيصطدم
بالقبور الستة ، وتلك الرسالة المجهولة
سيكتب ما يحدث له ...
وإذ عادت فورة الحماس تجتاح عروقه ، هب من على فراشه ، والتقط أوراقه
وقلمه وبدأ يكتب .. ويكتب ... ويكتب ...!
وبعد أربع ساعات متواصلة ، أمسك الأوراق التي تشبعت بالكلمات ، وأخذ
يرتعش ...
لقد كتب ...! أمسك قلمه مجدداً وكتب ...!!
الآن عليه ان ينتظر .. فما سيحدث له في عالم الواقع هو ما سيحدث له في

عالم الرواية التي يكتبها .. أما الآن ، فهو يستحق ان يكافئ نفسه بغذاء شهوي ،
وكوب كبير من الكاكاو .. ثم يكتب هذا ضمن احداث الرواية ...!
أى شئ سيفعله أو يحدث له سيكون ضمن أحداث الرواية ...! وابتسم لنفسه
مغمماً:

لأتصرف إذن كما يليق ببطل روايتي أن يتصرف .. ثم أشعل سيجارة اخرى ،
وخرج من غرفته ، ليتنسم الهواء المعبق برائحة شواهد القبور ..
ورأها ..

كانت هناك .. بالقرب من غرفته ، تهم بركوب سيارتها التي اشتركت مع ثوبها
في اللون الأسود ، وعي عينيها منظار داكن خفي نصف ملامحها .. وقد تكلفت
خصلات شعرها باخفاء النصف الآخر ..

كانت تهم بركوب سيارتها عندما رفعت لرأسها بغتة ونظرت إليه ...!!
ثم تقدمت نحوه ..!!

أما هو فتسمر في مكانه مأخوذاً ، حتى أصبحت امامه مباشرة لتقول بانجليزية
صميمة:

-لقد جاءوا من أجلك ..

وقبل ان يستوعب عبارتها ، كانت قد عادت الى سيارتها لتتطلق بها مخلفة
عاصفة من الغبار ...

وفي ذهنه بدأت أفكار عديدة تتولد ...

غنها إنجليزية .. لغتها ذات الوطاء الثقيل تقول هذا ...

إنها تعرفه .. لقد تحدثت اليه وكأنها تعرفه حق المعرفة ...

لقد جاءوا من اجله .. هي قالت هذا ...!!

من هي ، ومن هم ...!!

و... مهلاً .. أتراها هي التي كتبت تلك الورقة ...!!

«صباح الخير يا أستاذ «يوسف»...»

أدار عينيّن شاردين الى مصدر الصوت ، ليجد ذلك العجوز ، ذو الجلباب القذر
، الذي أجر له الغرفة ، يفرك كفيه ، ميتسمافي لزوجة ..

وبشروود امتزج ببعض الضيق ، أجابه:

-صباح الخير ..

ثم لم يتمالك نفسه ان يسأله:

-من هذه السيدة ...!!

بدا العجوز وكأنما ينتظر أن يسأله هذا السؤال ، إذا انطلق :

-إنها أجنبية .. جاءت هذا الصباح لتشرف على دفن ستة من بلدتها ، في قطعة





الأرض المجاورة .. ويبدو أنها غنية بحق .. لقد دفعت بسخاء ، ووضعت للقبور
شواهد رخامية أنيقة .. لم أرى مثلها من قبل .. بل والأغرب من هذا ، لقد
وضعت القبور ، في شكل دائرة ...
دائرة...!!

رنت الكلمة في أذنه بعنف ، جعلته ينتفض بذهول .. ثم اندفع يعدو عبر شواهد
القبور ، على نحو أدهش العجوز ، وجعله يضرب كفاً بكف مغممماً :
-هل جن ، أم ماذا ...!!

اما هو ، فقد أخذ يعدو لاهثاً بين شواهد القبور وفي ذهنه فكرة .. بل أمنية
واحدة .. ألا يكون ما يظنه حقيقياً ولكنه اذا وصل ، كانت الكلمة الوحيدة ، التي
استطاع ان ينتزعها من بين لهائه هي :
-مستحيل ...!!

فإمامه تراصت القبور الستة في دائرة كاملة ، تماماً كما رآها ليلة أمس ...!!

لساعات طويلة ، لم يستطع «يوسف» سوي أن يدخن ...
وفي ذهنه عريدت الأفكار والتساؤلات والخيالات ، لتصبية بصداع تكاد خلانيا
عقله تذوب معه ..

ثمة شئ ما خطأ فيما يحدث .. ما هو بالضبط !!
تصاعدت طرقات على باب غرفته ، فهتف من مكانه :
من ...!!

أتاه صوت حارس المقابر العجوز ، مفعماً بالود :
-غنه أنا يا ولدي ...

شعر بعض الارتياح لمجيئة ، فقام يفتح له محاولاً رسم ابتسامة ترحيب على
شفتيه :

-أهلاً بك يا والدي ...

نظر اليه العجوز بعينين لا تطرفان ، ثم قال :

-ما بك يا ولدي ...!

أراد «يوسف» ان يمنحة إجابة باترة ، يريجه بها ، إلا إنه وجد نفسه يحكي له
على كل شئ ...

القبور ... الورقة ... السيدة الأجنبية .. الدائرة... الرواية ...

وما إن أتم حتي ابتسم الحارس العجوز قائلاً :

-ولم تشغل ذهنك في هذا ...! ليكن الأمر ما يكون طالما لا يضرك ...

كيف ...!!

-يا ولدي ... الحياة أعقد من أن نقف عند كل مشكلة فيها .. ثم انك تقول أنك تكتب ما يحدث لك في روايتك .. أى أن الأمر قد عاد عليك بفائدة رغم كل شئ .. أليس كذلك ؟؟

اطرق «يوسف» لحظة ثم قال :

-السيدة الأجنبية كانت تحاول إخبارى رسالة ما .. رسالة تتعلق بما وجدته في الورقة .. ثمة شئ على فعله ي أفهمه ..

أجابة الحارس ببساطة:

-لا بأس .. حتى تتبين لك حقيقة الأمر ، واصل حياتك كان لا شئ هنالك.... ثم نهض ليردف:

دعنا نتمشي قليلاً في الخارج .. سيريح هذا أعصابك ...

هز «يوسف» رأسه موافقا ، وانطلق معه الى الخارج ، وهو يقلب ما قاله الحارس العجوز له ، في رأسه ...

لم لا ...؟ ليترك الأمر يمضي حتى يفهمه ...

ثم إنها أحداث أخرى تضاف الى روايته ...

وعلى شاهد أحد القبور ، استقر بهما المقام ، فاخرج العجوز سيجارة غليظة من جيبه أشعلها ، وقد أخذ يرمى القمر في سكينته...

وبفضول سأله «يوسف»:

-لم أعرف اسمك بعد ...؟

-اسمي «فهمي محمد»...

وأنا «يوسف يحيى»...

تشرفنا

قالها ولاذ بالصمت مجددا ، فرفع «يوسف» عينيه الى القمر هو الآخر ان ليسبح في بحر ذكرياته ...

تذكر طفولته ، وحيداً بلا أخوة .. ثم يتيما بال أبوين بعد أن مات والده في حادث على الطريق .. تذكر جارتته الحسنة ، والرسائل المراهقة التي كان يلقيها

على نافذتها .. تذكر يوم رحلت مع أسرتها لتزيد وحدته ، وحدة .. بعدها لم يبق له سوى القراءة .. والكتابة ...

عوالم حاملة يسبح فيها ، ليضع بعدها عوالمه هو على الورق .. الكتابة تمنحه سحرا ما بعده سحر...

سحر ان يكون المسيطر ...

ان يملأ عالمه الوحيد بأبطال قصصه ، ثم يسيرهم كما يشاء ...

«ما هذا ...؟»





قالها العجوز بغتة وهو ينهض من على شاهد القبر ، فحدق «يوسف» فيه لحظة
شارداً ، ثم انتبه لقوله ليتساءل :

-ما الذي حدث ...!!

-أعتقد أنني رأيت شئ ما ...

ثم اتجه الى دائرة القبور ، وقد بدا عليه الاستغراب ، فنتبعه «يوسف» حتي بلغنا
منتصف دائرة القبور...

وهناك رأى «يوسف» ما جذب انتباه الحارس العجوز . رأى جثة ذلك الكلب

الضخم التي رقدت أمامهما بلا حراك ...!

وببطء مال الحارس العجوز على الجثة ، ليتحسسها قائلاً :

-إنه بارد .. لقد مات منذ زمن

لم يجبه «يوسف» بحرف... بل أخذ يحدق في جثة الكلب برهة ، ثم انتقل بعينه
الى شواهد القبور من حوله ...

ورغمًا عنه تسلل اليه شعور عجيب .. شعور بأنه محاص...!!

أما العجوز فهب واقفًا ببساطة ليقول :

-لأدفنة قبل أن تفوح رائحته .. ساعدني ولا تخف... لن يؤذك .. فائدة الميت

الوحيد ، أنه لم يعد قادرًا على الإيذاء مجددًا ...

ولم يجد «يوسف» لماذا وجد نفسه يجيب:

أرجو هذا ...

بل ولم يدر سر تلك الشعريرة الباردة التي كانت تغزو جسده بقسوة...!!

عندما عاد الى غرفته ، بعد منتصف الليل ، لم يكن قادرًا سوي على النوم

لذا أبدل ملابسه ، وأطفأ المصباح .. ثم ألقى بجسده على الفراش ...

كل ما كان يريد الظفر هو النوم العمييق ... لكنه لم يظفر به ...!!

شئ ما جعله يستيقظ قبيل الفجر... صوت خطوات ...!!!

فتح عينيه ببطء مرهق شاعرًا أنه لا يزال يحلم .. ورغم الظلام الدامس شعر

بوجود شئ ما يتحرك ...

وعيه يعود اليه بالتدرج .. الآن يدرك أنه ليس شئ ... إنه شخص...!

عيناه تتكيفان على الظلام .. إنه شخص ما يقف في الظلام أمامه مباشرة ...!

يسترد وعيه كلياً .. هذا الشخص يحمل سكيناً ، يلتصق نصله في ضوء القمر ،

بكلتا يديه ، ويهم بغرزه في قلبه ..

ومدركاً لهذا كله تصلب جسده في رعب مطلق... كانت لحظة من اللحظات التي

تعجز فيها غريزة البقاء ، عن اتخاذ رد فعل ايجابي..

لكنه على ضوء القمر الشاحب رأى النصل يرتجف في يد صاحبه .. ثم خرج من حامله صوت مألوف .. صوت أنثوي يتحدث بالإنجليزية ، وقال بلهجة مرتعشة :
 -أنت ... أنت .. لقد دمرت حياتي...!
 إنها السيدة التي رآها صباحاً .. ويبدو انها جنت
 وبغثة هوت بالسكين فأغمض عينيه ، وقد فقد القدرة على التنفس ثم .. المعدن
 البارد يسقط على صدره ، ثم صوت خطوات مسرعة الى الخارج...
 وعندما فتح عينيه .. كانت غشاوة رقيقة من الدموع على عينيه ..
 دموع الانفعال ...
 إنه حي ... حي حي ... لم تقتله...!!
 تلك الحقيرة ..!!!
 وإذ تحول انفعاله الى ثورة هائلة ، أمسك بالسكين ، وانطلق يعدو الى الخارج
 مطلقاً صرخات غضب مجنونة..
 لكن صوت السيارة المبتعدة أتاه من بعيد ، فوقف يلهث وجسده كله يرتجف...
 لقد هربت .. القاتلة المجنونة هربت ...
 ولملمأ أشلاء أعضابه ، استدار ليعود الى غرفته وقد فقد قدرته على النوم ...
 دخل اضاء الصباح و...
 واتسعت عيناه في ذهول ، تحدقان في الهول الذي حدث...
 فهذه المرة ، كانت الصدمة أكثر قسوة من أن يحتملها ..!!

●●●●●

الليلة الثالثة

فتش عن المرأة ..

أشعل يوسف سيجارة ثم أخذ ينفث الدخان في سماء الغرفة ..
 حسناً .. ليرتب أوراقه .. الساعة الآن الخامسة صباحاً ، و لن ينام على كل حال
 .. لذا لنبدأ ، فالموقف كالتالي ..
 لقد انتقل للإقامة في تلك الغرفة جوار المقابر ليتفرغ للكتابة ، لكن كل شيء
 حوله اجتمع على منعه من تحقيق مبتغاه ..
 أولاً رأى تلك القبور الستة قبل أن توضع في مكانها ، ثم رآها في اليوم التالي إذ



وضعت على شكل دائرة مكتملة ..

ثم جاءت تلك الرسالة الإنجليزية التي تطلب منه أن يعلن نفسه عضوًا ميتًا في الليلة التاسعة ..

بعد هذا يأتي دور السيدة الإنجليزية التي كادت تقتله في فراشه ، و هي تردد بهسيتريا أنه دمر حياتها ..!!

و أخيرًا ... و أخيرًا كل ما كتبه في تلك الرواية التي استوحاها من الأحداث الدائرة من حوله .. ست أو سبع صفحات ، ترقد أمامه الآن ناصعة البياض ، كأنما لم يممسها قلم ..!

أما ما كتبه فهو أمامه الآن .. مكتوب على الحائط .. كله على الحائط !! أحدهم نقل كل ما على الورق إلى الحائط بمعجزة ما .. و الأدهى أنه نقله بخله هو ..

بل و لك يكتف بهذا ، بل كتب المزيد . فإلى جوار سطوره ، تراصت سطور أخرى بالإنجليزية ، و بذات الخط المائل المرسوم ، الذي كان يقول هذه المرة :

« و رأى يوسف كلماته و قد خطت على الحائط ، فلم ينم ليلتها ، بل أخذ يدخن و يفكر .. يفكر في حل لهذا كله .. حل منطقي للامنطقية الدائرة من حوله ، و في اليوم التالي انطلق ليبحث عن السيدة الإنجليزية .. » و مطلقاً سيجارته ، غمغم (يوسف) ساخرًا :

– رغم أن أسلوبه رديء ، إلا أنه يساعدي حقًا في كتابة الرواية ..

و مع أول أسهم من أشعة الشمس اخترقت زجاج نافذته ، معلنة عن مولد الفجر ، ألقى (يوسف) بجسده المكدود على الفراش ، مزعمًا النوم .. لكنه كان يرتجف .. و بشدة ..

فهو يعرف .. بل يدرك أنه ما إن يستيقظ حتى سينطلق يبحث عنها .. عن السيدة الإنجليزية ..



« تمام كثيرًا يا سيد (يوسف) .. »

قالها العجوز الذي أجر له الغرفة ، إذ استيقظ عصرًا ، فأجابه بصبر نافذ :

كنت مستيقظًا طيلة الليل ..

لماذا ؟!

كنت أفكر في خطة لخنقك ..

ماذا ؟!

لا عليك .. أريد أن أسألك عن شيء ما .. عن تلك السيدة الانجليزية التي
جاءت أمس ..

فرك العجوز كفيه ، ليقول متخابئاً :

ماذا عنها ؟

ما اسمها و كيف أجدها ؟

هرش العجوز رأسه مفكراً و قال :

لا أتذكر اسمها بالطبع .. لقد كان اسماً غريباً يصعب نطقه ، لكنني سمعتها
تتحدث بعربية ركيكة للغاية عن فندق ما .. لا أتذكره .. آسف .. لكن لماذا تسأل
على كل حال ؟

فكّر (يوسف) لحظة في أن يقص عليه أحداث الليلة الماضية ، لكنه أحجم عن
هذا ليقول :

حاج (سيد) .. أريد أن أحدثك على انفراد ..

لم يكن هناك أحد بالجوار ، لكن (يوسف) وضع ذراعه على كتف العجوز ،
و تتحى به جانباً ، ليهمس له في خطورة :

حاج (سيد) .. إنني أراقب هذه السيدة ، لكن يجب أن يبقى كل ما سأقوله لك
بيننا فحسب ..

استبد الخوف بالعجوز ، فهتف :

هل أنت مباحث ؟!

نعم .. و الآن اخفض صوتك و اصغ لي جيداً .. نحن نعتقد أنه ثمة شيء ما في
التوايبت التي دفنتها تلك السيدة .. مخدرات في الواقع ، لكن يجب أن يبقى كل
ما سأقوله سراً لا يخرج من أحننا مهما كان السبب .. و نحن الآن في حاجة
لمساعدتك ..

كيف ؟

أخبرني كيف أجده هذه السيدة ؟

أجاب العجوز ببساطة :

عن طريق العربية التي نقلت التوايبت .. لقد كانت مؤجرة من شركة (...)
حدّق (يوسف) في العجوز مأخوذاً ، متساءلاً كيف استطاع هذا الوغد حلّ
مشكلته بهذه البساطة !!

ليتمالك نفسه الآن ، فهو رجل مباحث لا يفترض به أن يندهش ، لذا قال
بصرامة متوترة :

عظيم .. لتبقي كل ما قلناه الآن سراً بيننا ..

و تركه و مضى في خطوات سريعة ، و الهواجس تمزق تفكيره .. لقد عرف كيف



سيجدها ، و لكن ..
ما الذي سيفعله معها !!
ما علاقتها بكب ما حدث أصلاً !!
ثم .. مهلاً .. لماذا لا يكون ما قاله للعجوز صحيحاً !!
عصابة دولية تهرب المخدرات في تواييت و تريد استخراجها .. و مشكلتهم
تتمثل في شاب مصري وحيد يقطن المقابر ، قد يكشف خطتهم ..
ما الحل إذن ؟ .. لنخيفه .. لنخيفه حتى يترك كل هذا و يهرب ..
لم لا !!
لا .. لا .. ماذا عن القبور ؟ .. الرسالة ؟ .. خطه على الحائط ؟ .. إنه يريد
أن يفهم .. حل منطقي للامنطقية ..!!
حل - ربما - يعثر عليه عند السيدة الانجليزية ..



و بعد عدة ساعات كان (يوسف) يخرج من مكتب الشركة ، قابضاً على ورة بين
أنامله ..
اسمها (اليزابيث كافنديش) .. بريطانية .. تقيم حالياً في فندق من فنادق
الدرجة الثانية في قلب العاصمة .. هاقد عرف كيف يصل إليها و بقى أن يعرف
ما الذي سيفعله معها ..
و في الأغلب لن يحدث هذا إلا حين تصير أمامه ..
عندئذ سيعرف .. سيفهم ..
و سينتهي هذا كله ..
أو سيبدأ !!



الساعة الآن التاسعة و النصف مساءً .. و المشهد كالتالي ..
(يوسف) يقف منتظراً ، مختبئاً خلف أحد السيارات في ركن الشارع المظلم
قرب مدخل الفندق .. توشك سجائره على النفاذ ، و قبضة الجوع تعصر معدته
بعد يوم كامل لم يتناول فيه شيئاً ..
لقد دخل الفندق و سأل عنها ، ليعرف أنها خرجت منذ الصباح و لم تعد بعد ..

لكنها تركت حقيبتها في الغرفة ، و هذا يعني أنها لم تسافر عائدة إلى بلدها ..
و هذا يعني أنها ستعود إلى هنا إن عاجلاً أو آجلاً ..
عظيم .. لكن متى ستأتي !!؟ .. إن الإنتظار الممض هذا يحرقه ببطء !
و أخذت الساعات تمر عليه كالقرون ..

و بعد أن نفذت سجنائه و صبره و قدرته على التحمل ، وقفت تلك السيارة
السوداء أمام الفندق ، بصرير ينم عن قيادة خرقاء ، ثم خرجت هي من السيارة
، تكاد تسقط لفرط ما أسرفت في الشراب .. إنها لمعجزة أنها نجحت في
القيادة إلى هذا الحد ..

راقبها (يوسف) و هي تترنح داخلة الفندق ، ثم قرر ما سيفعله .. سينتظر حتى
تصعد ، ثم سيتسلل خلفها إلى غرفتها حيث لن تقاومه في حالتها هذه ..
المهم أن يستطيع أن يخرج منها كلمة واحدة و هي في هذه الحالة !

و الآن حان وقت الإنطلاق ..

اجتاز المدخل ... متجهاً إليها !

بلغ السلالم .. متجهاً إليها !

اجتاز الممر .. متجهاً إليها !

ثم وقف أخيراً أمام باب غرفتها يرتجف انفعالاً .. مَدَّ يده على الباب ليطرقة ،
فتحقت أسوأ كوابيسه ..

الباب مفتوح !!

هل يدخل !!؟ .. لا مفر .. لذا دفع الباب بيده و دخل ..

و بدأ المشهد الذي يراه يتشكل في مخه ببطء مخيف ..

غرفة صغيرة .. منضدة .. مقعدين .. سرير في منتصف الحجرة .. هي ممدة

على السرير .. مذبوحة .. الدماء تنزف من جرحها بإطراد .. السكين في يدها

.. لقد ذبحت نفسها .. الدماء تتجمع على الفراش .. عينها الجاحظتان ترمقانه

بنظرة اتهام مريرة .. و ثمة ورقة على المنضدة مكتوب عليها بخط هستيري

رديء (أنت دمرت حياتي) ..

و على الحائط .. و بالدماء .. كتب :

« لقد خالفت القواعد و عليك أن تعلن نفسك عضواً ميثاً في الليلة التاسعة »

!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

الآن تكتمل الصورة في ذهن (يوسف) ..

و الآن يسقط مغشياً عليه عند باب الغرفة !!



استجمع كل إرادته و قوته ليزيح تلك الغمامة السوداء من على عينيه ، فاكشف أنها جفناه ..

رفعهما لحظة ، فألم الضوء الساطع عينيه ، فأغلقهما مجدداً في ألم ثم عاد يفتح عينيه على اتساعهما .. طالعه وجه ذلك الكهل المبتسم ، الذي خرج صوته ليرن في أذنيه :

لقد استيقظت مجدداً .. سأعطيك المهديء ..

و شعر (يوسف) بوخز الإبرة في ذراعه ، ثم بالمهديء يسري في عروقه .. ما الذي حدث ؟

قرأ الكهل تساؤله في عينيه ، فأجاب :

أنت في المستشفى .. لقد ظلمت ثلاث ليال تحت تأثير المخدر ، لذا ستشعر بنوع من العجز عن التفكير ، و إن كنت تسمع ما أقوله الآن ، استرخ تماماً ، و سأعود إليك ..

و ارتفع وجه الكهل ، ثم غاب عن مجال إبصاره .. و في ذهن (يوسف) بدت الكلمات كالبخار ، تولد و تتلاشى بأسرع مما يستوعبها ..

المستشفى .. المعاطف البيضاء .. طلاء الجدران هذا .. إنه يذكر هذا المكان .. لكنه لا يذكر وجه الكهل .. ثم .. ثم .. ثلاث ليال تحت تأثير المخدر !! هل مازال تحت تأثيره ؟

كل ما يذكره هو دماء .. دماء كثيرة .. امرأة مذبوحة ..

(اليزابيث كافنديش) .. دماااااااااا !!

و تحول بخار الأفكار في رأسه إلى عاصفة عاتية ..

ما الذي جاء به إلى هنا ؟ .. ما الذي حدث ؟

لقد كان يقف عند باب غرفتها ، حين فقد الوعي ، لكن عن أي ثلاث ليال تحدث هذا الرجل ؟ .. هل ظل مغشياً عليه لثلاث ليال كاملة ؟؟؟ كيف ؟؟؟

المنوم .. لقد خدروه لأنه كان ..

« هل استرددت وعيك ؟ »

أدار رأسه ببطء فطالعه وجه الكها مجدداً ، و قد جلس جوار فراشه ، ليقول : و الآن اصغ لي جيداً يا أستاذ (يوسف) .. لقد عرفت اسمك من البطاقة ..

ما .. الذي .. حدث .. لي ؟؟؟

لقد عثروا عليك في غرفة فندق و معك جثة سائحة انجليزية مذبوحة .. و لقد أصبت أنت بحالة هياج عصبي ما إن استيقظت اضطررنا معها إلى تخديرك طيلة هذا الوقت .. و الآن الشرطة تريد استجوابك ، لكنك لست مضطراً إن لم تكن مستعداً بعد ..

ازدادت عاصفة الأفكار في رأسه هياجاً .. استجواب ..
ما الذي سيفعله ؟

«هل أصبح جاهزاً ؟»

اقتحم الصوت البارد القاسي أفكاره ، فأدار عينيه إلى ذلك الضابط الشاب الذي وقف عند باب الغرفة يحدقه بنظرة اتهام ..

بإمكانك أن تحاول معه ، كن لا ترهقه كثيراً ..

قالها الطبيب الكهل ، ثم غادر الغرفة ليتركهما سوياً .. أما الضابط ، فلقد اقترب من فراش (يوسف) مسدداً إليه نظرات اتهام لا تعرف الرحمة ، و قال :

(يوسف) .. ما الذي كنت تفعله في غرفة القتيلة ؟
لا .. لا أذكر ..

قالها و أشاح بعينيه بعيداً عن سهام الإتهام الموجهة .. إنه لن يصدقه لو أخبره بالحقيقة ، لو كان يملك حقيقة ليقولها ، لذا فليمض في تمثيلية فقدان الذاكرة هذه ..

عاد الصوت البارد القاسي ، الذي يشعره بالذنب لسبب لا يفهمه ، يقول :

ماذا تعني (بلا أذكر) هذه ؟

لقد كنت هناك ..

هناك ؟ .. أين ؟

في غرفة القتيلة .. (اليزابيث كافنديش) ..

أي قتيلة ؟ .. أنا لم اقتل أحد !

أعرف أنك لم تقتلها .. لقد انتحرت .. لكننا وجدناك عند باب غرفتها ، فما الذي أتى بك إلى هناك ؟

لا أذكر ..

بدا الضابط ، كأنما سينقض عليه لينتزع حنجرته ، إلا أنه جذب نفساً عميقاً

أخرجه في صوت هادي ، يقول :

حسن إذن .. سننتظر أن تمر علينا يا سيد (يوسف) ما إن تخرج من هنا ،

و سأترك أحد الجنود أمام باب غرفتك لأتأكد أنك لن تتسى ..

و دون أن ينتظر رده غادر الغرفة بخطوات مسرعة ..



أما (يوسف) فتجاهل هذا كله ، و أخذ يفكر في المشكلة الأهم .. لقد أضع
ثلاث ليال ، و هذا يعني أنه في الليلة السابعة ، و أن الليلة التاسعة أوشكت دون
أن يفهم أي شيء بعد ..

أمله الوحيد الآن يكمن في معرفة من هم أصحاب القبور الستة .. يجب أن
يعرف من هم ..

فقط لو استطاع أن يخرج من هنا .. أو بمعنى أدق ، لو هرب من هنا !
بصعوبة استعاد السيطرة على عضلاته ، ليهب من على الفراش ، متجهاً إلى
الخزانة في ركن الغرفة .. لا بد أنهم يحتفظون بملاءات إضافية هنا ..
هل ستبحث عنه الشرطة ؟! .. بالتأكيد ، لكنهم لن يعثروا عليه بسهولة ، و هو
لا يبغي إلا أن يتركوه حتى الليلة التاسعة ..
بعدها ..

بعدها - على الأغلب - لن يصنع عثورهم عليه أي فارق !!



« صمويل لانجرهام » ... كامبريدج

« آن ديرمو » ... كامبريدج

« توم فريمان » ... كامبريدج

« ستيفن كونتز » ... كامبريدج

« جوزيف ساندر » ... كامبريدج

« بيتر مورجان » ... كامبريدج

و وسط القبور الستة ، وقف (يوسف) محاولاً فهم ما يحدث ..

صحيح أن هروبه كان رهقاً .. صحيح أن آثار المهديء لم تتلاش بعد .. لكنه يريد
أن يفهم ..

لماذا جاءت هذه القبور بعد مجيئه ؟!

لماذا يتلقى تلك الرسائل على جدران غرفته ؟!

لماذا كادت (اليزابيث كافنديش) أن تقتله ، و لماذا انتحرت بعدها ؟!

كل ما يريده هو أن يفهم ..

« أستاذ (يوسف) ... إنه أنت .. »

ارتفع صوت الحاج (سيد) بهذه العبارة ، فأدار إليه عينين صامتتين ..

أين كنت طيلة هذه الفترة ؟!

لقد قلقت عليك ..
أراد أن يحييه ، لكنه لم يستطيع ليوصل العجوز :
لقد اختفيت فجأة .. و سألت عنك ، لكن ..
انتزع (يوسف) الكلمات من حلقه ليقاطعه :
أين حارس المقابر ؟
أي حارس !!
الرجل العجوز الذي يعيش هنا ..
التمعت الحيرة في عيني الحاج (سيد) ، و هو يقول :
لا عجوز هنا سواي .. عن أي رجل تتحدث ؟
تسللت العصبية إلى نبرات (يوسف) :
من يحرس هذه المقابر ؟
أنا ..
و لا أحد سواك ؟
لا أحد ..
اللغنة !!
ها هو لغز جديد يجد طريقه إلى حياته .. الرجل العجوز الذي كان يجلس معه
طيلة الليل ، لا وجود له ..
مرحى ..
هذا هو ما كان ينقصه !..
أستاذ (يوسف) .. إنك تبدو مرهقًا للغاية ، و .. و ما هذا الذي ترتديه ؟
نقل (يوسف) عينيه بين رداء المستشفى ، و وجه الحاج (سيد) ، ثم قال :
ساذهب إلى غرفتي ..
و تركه بخطوات متثاقلة ، و قد قرر أن يذهب هذا كله إلى الجحيم ، فهو الآن
لا يريد سوى أن ينام ..
و على باب غرفته وقف .. فتح الباب ثم أضاء المصباح ..
و بعينين خاويتين أخذ يرمق الجدران ، التي أغرقتها السطور الانجليزية ذات
الخط المائل المرسوم ..
لقد فاتته الكثير إذن .. لكن لا بأس .. سيترك هذا للغد ، لأنه الآن ..
سيناااااا ..



الليلة الثامنة

السبعة ...!

استيقظ (يوسف) في اليوم التالي و قد زال أثر المخدر من أوصاله ، فنظر إلى جدران الغرفة ، نظرة سريعة ثم غمغم :
لأستعد أولاً ..

ارتدى ملابسه ليغادر الغرفة ، ثم عاد بعد ساعة و هو يحمل إفطاره ، و على المشعل الصغير في ركن الغرفة ، ترك المياه تغلي .. الجدران لن تطير على أية حال !

و ما هي إلا دقائق حتى جلس على كرسي أمام الجدار ، ماسكاً بكوب شاي تتساعد الأبخرة من على سطحه ، مشعلاً سيجارة ، ل يبدأ في القراءة ..
بدأ يقرأ قصة السبعة ..



الزمان .. عام 1730

المكان .. (كامبريدج) .. ذلك المنزل العتيق ، ذو المدخل الضيق ، و السلالم الملتوية كأفعى ، و في الأعلى غرفة ضيقة بها طاولة خشبية مستديرة حولها سبع مقاعد ..

و على المقاعد تراص السبعة .. (بيتر مورجان) و (صمويل لانجرهام) و (آن ديرمو) و (توم فريمان) و (ستيفن كوتتيز) و (روبرت داوني) و (جوزيف ساندر) ..

في ذلك الوقت في كامبريدج ، كان شعار الشباب الأوحده ، هو تكوين الجمعيات ..
.. جمعية محبي طوابع البريد ..

جمعية كارهيها .. جمعية جامعي العملات .. جمعية اللامؤمنين بالعملات ..
جمعية جامعي الملابس النسائية و حرقها في احتفال مهيب !

أي جمعية .. المهم أن ينضم كل شاب إلى جمعية ، و أن تكون لهذه الجمعية قدسيته التي لا تقل بالنسبة له عن قدسية الكنيسة ذاتها ..

لكن هؤلاء السبعة كانوا مختلفين .. و كانت جمعيتهم مختلفة أيضاً ..

كانت جمعية ذات قانونين لا ثالث لهما .. أولهما ألا يزيد أو يقل عدد أعضاء

الجمعية عن سبعة أيًا كان السبب .. أما الشرط الثاني فهو عدم التغيب عن

اجتماعات الجمعية في الثاني من نوفمبر من كل عام مهما كان السبب .. حتى

لو كان الموت ذاته هو السبب ..!

قد يبدو هذا غريبًا ، لكن الأغرب حدث عام 1743 و قبل ميعاد الإجتماع بيومين فحسب ..

ففي ذلك اليوم مات (آلان ديرمو) في مبارزة .. لكنه - عملاً بقواعد الجمعية - حضر الإجتماع في ميعاده ، حيث قضوا الوقت في الرقص و الغناء و لعن كل المقدسات في كل دين ، و في نهاية الإجتماع أعلن (آلان ديرمو) نفسه عضواً ميتاً !

و عن هذا تقول سجلاتهم التي تركوها ، ليعثر عليها فيما بعد المؤرخ (كيلبي كوش) أن ستة أزواج من العيون الذاهلة حدقت في (آلان ديرمو) .. شبحه على الأبق .. و إذ استطاع أحدهم النطق ، كان ما قاله هو :

- و لكن .. كيف !؟

- لماذا كيف !؟

- لأن هذا غير منطقي ... لأنك ميت !!

- أخبروني عن أكثر الأشياء منطقية ، و سأجد لكم شيئاً غير منطقي فيها .. !!!

و مرت السنوات .. و توالى الوفيات .. و ازداد عدد الموتى حتى بلغ ستة ! و لا بد أن الهلع قد استبد بالسابع الذي كتب يقول :

- لست أفهم ما الذي يحدث .. لم أعرف كيف بدأنا هذه الفكرة المجنونة ، و لا أعرف كيف ستنتهي .. إنني الوحيد الذي بقى حياً ، و لقد عازمت على تدمير كل شيء قبل فوات الأوان ..

إلى هنا ينتهي دور السجلات ..

أما ما حدث بعد ذلك ، فلم تذكره السجلات ..

ففي الليلة التي كتب فيها السابع (روبرت داوني) أسطره هذه ، عاد إلى منزله و قلبه يخفق بعنف .. يجب أن ينتهي هذا كله .. يجب .. لكنه يدرك أنه لن ينتهي بسهولة ..

يدرك أن الستة معه طيلة الوقت .. لا ليس في الإجتماعات فحسب .. بل في كل وقت و كل مكان !!

يدرك أنه العضو الوحيد الحي ، و أن لهذا ثمنه .. !!

يدرك أنه خالف قواعد الجمعية .. أهم قوانين الجمعية .. و لقد عرفوا ..

و الآن هو يدرك أنها ليلته الأخيرة ، لذا عليه أن يسرع ، و أن ينهي كل شيء كما بدأ ..

جلس على مكتبه ، و أخرج أوراقه ، ثم اخذ يخط رسالته الطويلة ..

و إذ انتهى كان يمسك برزمة الأوراق و يلهث .. ترى هل ستصدقده !؟ . هل



سيصدقه أحد ١١٩ .. نادى على الخادمة النحيلة الباردة ، فجاءته لتقول ببرود :
- نعم يا سيدي ..

- (هيلين) .. خذي هذه الأوراق و ضعها في مظروف ، و أرسلها إلى يد
الملكة (كارولين) شخصيًا ..

- ماذا ١١٩

- نفذ يا (هيلين) .. لا وقت للجدال .. و ثمة شيء آخر عليك القيام به ، لذا
اصغ لي جيدًا ..

و ألقى على مسامعها بكل ما لديه .. كانت وصيته الأخيرة ..!

ففي الصباح عثروا على جثته شاخص العينين ، و كان الشيء الوحيد المؤكد في
موته ، هو أنه لم يكن طبيعيًا بالمرّة .. لم يكن كذلك أبدًا ..

الآن يقف (يوسف) في منتصف الغرفة يرتجف ..

الآن يعرف من هم الستة .. أصحاب القبور ..

لقد جاءوا من أجله .. استخدموا تلك السيدة (اليزابيث) لتنتقل قبورهم إليه
.. و هو لا يحتاج إلى تأكيد ليدرك أن الغد سيكون الثاني من نوفمبر ..

سيكون الليلة التاسعة ..

و لكن .. ما علاقته هو بهذا كله ١٩ .. لا يزال لا يفهم !!

لكن عليه أن يتصرف و بسرعة .. عليه اتخاذ ردة فعل ما .. عليه أن ..

لكن الطرقات الهادرة انتزعته مما هو فيه ، ليهتف بانفعال :

من ١٩

أتاه صوت الحاج (سيد) مضعمًا بالهلع :

أستاذ (يوسف) .. افتح رجاءً ..

غمغم (يوسف) بضجر :

ما الذي يريده هذه المرة ١٩

و فتح الباب ، ليجده يرتجف أمامه من فرط الإنفعال ، فسأله :

- ماذا حدث ١٩

- أعتقد أن يجب أن ترى بنفسك ..

- أرى ماذا ١٩

لم يجب العجوز هذه المرة ، بل أشار تجاه القبور التي بدت و كأنها تمتد بلا
نهاية ..

رسالة واضحة تقول (اذهب إلى هناك .. إلى دائرة القبور) ..

رسالة استقبلها (يوسف) بصمت ، قبل أن يتجه بخطوات بطيئة إلى هناك ..

الليل يرسل نساماته الباردة ، و الألوان القاتمة ترسم السماء من جديد ..

الآن يقف أمام دائرة القبور السبعة .. سبعة ١٩ .. مهلاً ، لقد كانوا ستة !!
بخطوات ذاهلة يخطو (يوسف) إلى قلب الدائرة ، و تدور عيناه في استسلام
قدري على الشواهد ..
(بيتر مورجان) و (صمويل لانجرهام) و (آن ديرمو) و (توم فريمان)
(ستيفن كونتيز) و (جوزيف ساندر) .. ثم (يوسف يحي) !!
قبر سابع انضم إلى الدائرة المخيفة ، يحمل اسمه هذه المرة ..
و الآن يدرك (يوسف) من هو السابع !!



الليلة التاسعة

السابع ..!

دارت عيننا ذلك الرجل فيما جوله في ببطء .. ثم شدَّ قامته باعتداد ، كما يليق
بعقيد شرطة في مثل عمره ، قبل أن يتقدم إلى دائرة الأحداث ..
صغير سيارات الشرطة و أضوائها الزرقاء تنعكس على شواهد القبور ، تصبغ
الموقف كله بطابع سينمائي محبب .. إن الأمر أشبه بفيلم ، و هو أشبه ببطله !
و حين يمتزج صوت الصافرات بحركة الرجال بأجهزة العمل الجنائي ، في
اوركسترا نادرة تعزف لحن الجريمة .. يتقدم هو بشموخ لحل طلسم الجريمة
كالمعتاد ..

نادى بصلف متعمد على أحد الجنود ، فجاءه هذا مسرعاً ، ليسأله :

ما الموقف حتى الآن ١٩

ثم نعثر على الجثث بعد .. لكننا عثرنا على هذه ..

و ناوله رزمة من الأوراق تلقفها هو باستكثار ، فهتف :

- ما هذا ١٩

أناه جندي آخر يهتف بلهفة :

سيادة العقيد .. ثمة ما يجب أن تراه ..

ماذا ١٩

الغرفة .. الغرفة التي كان يقطنها ذلك الشاب .. يجب أن ترى بنفسك
اندفع العقيد بخطوات مسرعة إلى الغرفة ، و لم يكد يدخلها حتى هتف :



ما هذا ؟

و دارت عيناه في الجدران التي غطتها الانجليزية المرسومة ، ليردف :

- أي عبث هذا ؟

ثم أخذ يقلب في الأوراق في يده ، مغمغمًا :
علها تكون ذات فائدة ..

و جلس على الفراش ليبدأ في قراءتها ..

و مع السطور بدأ يعرف ما الذي حدث ..

في الليلة التاسعة ..



في ذلك اليوم ، كان أمام (يوسف) الكثير ليفعله ..

إنه اليوم .. إنها الليلة التاسعة !..

لماذا لا يهرب ؟ .. نعم يهرب.. يترك كل هذا الجنون و يرحل ..

الفرصة أمامه و ستمر الليلة التاسعة كأى ليلة أخرى ، لكنه لن يكون هنا ..

لكنه الفضول .. الفضول الذي قتل ألف قط قبله !!

قد يرحل ، لكنه سيقضي عمره كله عاجزًا عن الفهم .. يمضي عمره كله يفكر ،

ما الذي كان سيحدث لو ظل ؟

لذا سيبقى .. لذا سيفعل ما يفعله ..

من الواضح أنه السابغ بصورة ما .. و من الواضح أنه يجب أن يخضع لقوانينهم

و يحضر الإجتماع ، و أن يعلن نفسه عضوًا ميثًا .. لكن !!

لكنه يملك لهم مخططات أخرى !!

خرج في ذلك اليوم قاصدًا مكانًا ما ، و عندما عاد كانت تلك اللقافة التي يخفي

فيها المسدس ، ثقيلة في يده ، تشعره بمزيج من الإطمئنان و الرهبة .. إنه لم

يستخدم مسدسًا من قبل ، لكن مجرد وجوده ، كفيلا ليشعر بالأمان ..

فليأمل أنه لن يضطر لإستخدامه ، و إن كانت كل الظروف من حوله ، تؤكد أنه

لن يكون ذو فائدة أصلاً ..

و الآن ليكمل مجموعته ..

ذهب إلى غرفة الحاج (سيد) المعجوز مؤجر الغرفة ، و طرق على بابه ليأتيه

الصوت المنهك الخبيث :

من ؟

أنا (يوسف) ..

صوت حركة .. اصطدام بشيء ما .. خطوات ، ثم يفتح الباب الخشبي ، ليطل العجوز من خلفه :

أستاذ (يوسف) .. تفضل ..

ظل (يوسف) واقفاً مكانه ، و هو يسأل :

هل أحضرت ما طلبته منك ؟

نعم .. نعم .. لكن هل مازل مصرًا ؟

بالطبع ..

لو كنت مكانك ، لإستدعيت أحدهم .. صدقني ..

لولا سني لما تركتك بمفردك ..

لا بأس سأذهب بمفردك و ليكن ما يكون ..

منحه العجوز نظرة طويلة مشفقة ، ثم غاب في غرفته ليعود حاملاً معولاً ، ناوله إياه قائلاً :

هذا سيفي بالغرض ..

عظيم .. تذكر ما أخبرتك به جيداً ..

سأفعل .. أعدك أنني سأفعل ..

و دون إضافة عاد (يوسف) إلى غرفته ، حاملاً المعول ..

الآن سينام ، و عند منتصف الليل تمامًا سيستيقظ .. و .. و ..

و سينزل إليهم !!!



عند دقائق منتصف الليل ، خرج (يوسف) من غرفته الكابوسية حاملاً المعول و المسدس ..

ملأ صدره بأنسام الليل الباردة ، ثم اتجه إلى دائرة القبور ..

ترى .. هل يرتجف جسده من البرد أم من الخوف ؟!!!

بلغ القبور السبعة التي بدأت الأعشاب تزحف على شواهدها ، لتصنع أمامه لوحة قوطية مخيفة . ذات اللوحة التي رآها في أول ليلة ..

ولج بين الشواهد بصعوبة ، ثم وقف في منتصف الدائرة محاولاً السيطرة على أعصابه ..

ثمة أصوات ما تتبعث من القبور !! .. أصوات همس !!

هل بدأ يهلوس ؟ .. لم يعد يدري !

الآن ليبدأ ، فلم يعد يفصل بينه و بين الفهم سوى دقائق قليلة مهما طالته ..



رفع المعول بأقصى ارتفاع ، ثم هوى به جوار قبره ! .. لكم يبدو الأمر ساخرًا !
لكم يبدو الأمر رهيبًا !!

و بعد نصف ساعة كان قد انهار جوار القبر يلهث بعنف ، و قد أدرك عدم جدوى ما يفعله .. إنه لن يستطيع المواصلة هكذا ..

حاول زحزحة الواجهة الرخامية مستندًا بالمعول ، فبدأ أن هذا الحل أكثر منطقية .. هاهي الواجهة تهتز و تزار .. و ببطء شديد بدأت تتحرك .. تتحرك ... مزيد من الجهد ... تنزاح .. أكثر قليلاً .. ها هي ظلمات قبره تتكشف له ..

الآن يرى الحفرة الضخمة التي كانت تختفي أسفل الواجهة الرخامية ، لينهار جسده على حافظتها ، و لينظر إليها و هو يغمغم :

كان يجب أن أحضر حبلًا ..

لكن لا مجال للتراجع الآن .. لذا ألقى بالمعول في ظلام الحفرة ، و بحركة يائسة ، ألقى بجسده خلف المعول ..

كان السقوط مؤلمًا ، لكن الإرتفاع لم يكن كافيًا لتتشم عظامه ، لذا وقف بصعوبة داخل الغرفة ، و تحسس طريقه حتى أمسك بالمعول مجددًا ، فواصل الحفر ، و ظلام القبر من حوله يخنقه ..

رجل يحفر قبره ، علّه يحل الغموض الذي دمر حياته في الليلة التاسعة ..

و حين اصطدم المعول بواجهة التابوت الخشبي أخيرًا ، ألقى بالمعول جانبًا ، ثم استنفر عضلاته المجهدة ، ليزيح الغطاء ، و في اعماقه يتلوى سؤال عن كنه الذي سيجده أسفل هذا الغطاء ..

و إذ أزاحه جانبًا ، وقف يرمق ذلك النفق الطويل في باطن الأرض ، الذي تبدي له على هذا الضوء الخافت ..

الضوء الخافت القادم من أعماق الأرض !!

وقف لحظة يصغي لأصوات الهمس ، ثم غمغم :

لقد جنت .. أرجوك ياإلهي .. أرجو أن أكون جنت ..

و بعد لحظات من التردد ، ألقى بنفسه في النفق ، و هذه المرة تدحرج جسده طويلاً ، قبل أن يصطدم بالأرض بعنف ، شعر معه و كأنها تهشمت كل عظامه ، لكنه تحامل على نفسه ليقف ، و هو يتساءل :

- و صلت .. لكن .. أين ؟!

و على الضوء الذي ازدادت حدته رأى الممر الممتد امامه ، فاجتازه بخطوات حذرة ، و يده تقبض على مسدسه ، مسددًا إياه إلى أي من سيعترض طريقه ..

و هي نهاية الممر ، فغرقه ذاهلاً ، يحدق في المشهد أمامه ..

و أمامه كانت تلك القاعة ، التي احتوت على منضدة خشبية ، تراصت حولها سبع مقاعد ، و على سطحها رقد دفتر عتيق تراصت حوله الشموع .. دفتر من القرن الثامن عشر ..

تقدم مأخوذاً من هذا كله ، و جلس أمام المائدة .. هل تذكرن ١٩ حين جلس و أخرج أوراقه و قرر أن يكتب ماحدث و يحدث .. لقد كان هذا حين سمع الخطوات ..

التفت مذعوراً و المسدس يرتجف في يده ، ليصغي بانتباه إلى صوت الخطوات القادمة .. خطوات أكثر من شخص يتجهون إليه ..

ياإلهي !! .. إن ما يراه الآن مستحيل !! .. مستحيل !!

فأمامه كان السبعة يدخلون إلى القاعة ، واحداً تلو الآخر .. مهلاً .. السبعة !! حدق ذاهلاً في السابع الذي دخل بخطوات وثيدة ، ناظراً في عينيه مباشرة .. في العجوز حارس المقابر الذي قابله في الليلة الأولى ، و جلس معه ليتسامرا !! خرجت الكلمة من فم (يوسف) كالفحيح :

أنت ١٩

أتاه الصوت الأجلش ، الذي لم يخل من الود بعد :

نعم يا بني .. أنا السابع ..

تهاوت يد (يوسف) التي تحمل المسدس جواره ، و هو يهمس ذاهلاً :

و لكن .. كيف ١٩؟

ظل العجوز صامئاً ، في حين جلس الستة حول المائدة ، رامقين (يوسف) في إصرار ، ثم تحدث العجوز ليقول :

القصة أعقد بكثير من أن أحكيها .. و لكن لم لا ١٩ .. اصغ جيداً و لا تقاطعني إن كنت تبغي الفهم ، و ما أحسبك هنا إلا لأنك تريد أن تفهم .. بالتأكيد أنت تعرف الآن قصة السبعة ..

نطق أحد الستة الجالسين بانجليزية عتيقة :

بالتأكيد .. لقد كتبتها بنفسى على حائط غرفتك .. بالمناسبة ..

أنا (ألان ديرمو) ..

واصل العجوز كأن أحداً لم يقاطعه :

السابع (روبرت داوئي) كان أحد جدودي .. لا تتدهش فأنت لا تعرف من هم جدودك بعد .. أنت تعرف أنه خالف التعليمات إذ تزوج و أنجب ، و بهذا أدخل بكوننا سبعة .. و قوانين الجمعية صارمة لا تقبل النقاش ، لذا دفع الثمن في الليلة التي أفضى فيها بسر الجمعية ، إذ أرسل إلى الملكة (كارولين) .. في هذه الليلة أرسل ابنته مع الخادمة إلى مكان مجهول ، فتوالى نسله و سافر



و هاجر و انتهى الأمر بي أنا .. أنا حفيد السابع ..

سأله (يوسف) بتردد خائف :

هل أنت .. ميت !!؟

شقت الإبتسامة طريقها في ملامح العجوز ، و هو يجيب :

لا .. أنا حي .. لا بد أن يكون السابع حيًا ليضمن استمرار الستة الآخرين ..

أظنك الآن تتساءل عن كيفية استمرارهم هم ..

كان (صمويل لانجرهام) هو من تحدث بالانجليزية العتيقة ليقول :

تقصد أشباحنا .. لكن ألا تظن أنه لا داعي لأن يعرف ؟

أجاب العجوز ببساطة :

لا فارق ..

ثم عاد يوجه كلامه إلى (يوسف) :

المؤرخ الأحمق (كيلي كوش) ظن أنه فهم كل شيء عندما عثر على تلك

السجلات في المنزل القديم في كامبريدج ، لكنها لم تكن السجلات الحقيقية ..

فالسجلات الحقيقية ترقد أمامك الآن على الطاولة .. أنا الذي استطعت العثور

عليها و حفظها بعد كل هذه السنوات ، و أنا الوحيد الذي عرف كيف كانوا

يستمررون ..

انفجر (يوسف) بغتة :

ما دخلي أنا بهذا كله !!؟

طقطق العجوز بلسانه ، و أجاب بلهجة عتاب أبوية :

قلت لك لا تقاطعني .. لقد كانوا يمارسون السحر الأسود .. كل اجتماعاتهم

كانت لممارسة طقوس هذا الفن الغامض ، حتى بلغوا فيه درجات لم يبلغها أحد

، و اكتشفوا أسرار لم يكن لأحد أن يعرفها .. من هذه الأسرار ، كانت طريقة

الإستمرارية ، و لهذا كانوا يحتاجون إلى ضحية .. ضحية آدمية ..

و ابتسم ابتسامة واسعة جعلته يسعل ، قبل أن يردف :

- و أنت ستكون ضحيتنا الآدمية .. لا تنكر أن كل ما حدث استدرجك إلى هنا

بسهولة ..

شعر (يوسف) كأن طرقات مخيفة تهوي على رأسه ، و هو يدير عينيه ذاهلاً

غير مصدقاً في وجوه السبع ، ليجابووه بسبع ابتسامات مقبلة ..

كل هذا كان عبث !!

كل هذا ليستدرجوه إلى هنا !!؟

خرجت الكلمات من فمه زائفة :

ل .. لكن لماذا أنا بالذات !!؟

و انتبه إلى سؤاله فأردف :

- هل جئتم من (كامبريدج) خصيصًا من أجلي ؟

أجاب العجوز ، ملوحًا بكفه في الهواء :

آه .. نسيت هذه النقطة .. (يوسف) هل تتبعت جدودك من قبل ؟

لا ..

آلا تعرف أن لك أصول أجنبية ، و أن أحد جدودك هو السيد (مكارث ستيفنسون) ؟

من هو (مكارث ستيفنسون) هذا ؟

إنه السيد الذي قتل (آلان ديرمو) في تلك المباراة عام 1743 .. و أنت الحفيد الوحيد له الذي لم يتزوج بعد ..

أنت آخر النسل ..

!!



الآن يتدلى فك (يوسف) ببلاهة ، بينما يقول العجوز :

لا وقت لنضيقه .. آسف يا بني ، لكننا سنضطر لقتلك ..

تراجع (يوسف) ثم لم يلبث أن انتبه إلى المسدس الذي يحمله ، فسدده إلى العجوز ، و هتف :

هل نسيت أنني من يحمل المسدس هنا ؟

اندلعت الضحكات من سبع حلوق ، ثم قال (آلان ديرمو) :

إنك لن تخرج من هنا على أية حال .. نحن ننتظرنا مئات السنين ، و لن يضيرنا أن نضيف إليها الوقت اللازم لتخور قواك ..

و أضاف العجوز باسمًا :

- أما أنا فأستطيع الإنتظار ..

هتف (يوسف) :

ستخور قواك أنت أيضًا ..

مطًا العجوز شفتيه و قال :

حينئذ سيتصرف هؤلاء السادة .. إن بقاءهم رهن بقائي ..

أشكرك .. هذا ما كنت أود التأكد منه ..

و التمعت عينا (يوسف) بظفر ، و هو يردف :

- ها أنت قد قلتها .. إن بقاءهم رهن بقاءك .. و أنت حي مثلي ، و المسدس سيعمل معك بكفاءة ..

توترت التجاعيد في وجه العجوز ، وقال :

هل ستقتلني ؟!

هل لدي خيار آخر ؟!

نظر العجوز نظرة استغاثة إلى الأشباح الستة ، لكن (يوسف) قفز بعيداً عن
متناول أيديهم ، صائحاً :
فليبق الكل في مكانه ..

و في ذهنه أخذت الأفكار تتواثب بأسرع مما قدرته على الإستيعاب .. يجب أن
يتصرف الآن .. لن يستطيع تسلق الحفرة ، و لن يتركوه يفعل لو حاول .. و هو
لن يظل هكذا طويلاً ..

لقد كان الحاج (سيد) على حق ، حين أخبره أن يحضر أحدهم معه ..!

الآن هو وحيد وسط مهرجان الأشباح هذا !!

ما الحل ؟!

قال العجوز كأنما قرأ أفكاره :

لا مفر أمامك .. استسلم ..

صرخ (يوسف) بعصبية :

قف مكانك ..

لكن العجوز واصل تقدمه :

استسلم يا بني .. استسلم ..

قلت لك الزم مكانك ..

استسلم .. استسلم

و همّ العجوز أن ينقض ، لكن رصاصة انطلقت من مسدس (يوسف)

و اخترقت صدره ، ألزمته مكانه و أخرسته إلى الأبد ..

و سقط العجوز على القور و الداء تتفجر من صدره .. و بذهول لاهث أخذ

(يوسف) يحدق في الجثة أمامه ..

لقد قتله !!

و في صمت حدقت الأشباح الست في الجثة ، ثم نطق (آلان ديرمو) ليخرج

صوته هاديء النبرات :

- عظيم ..

التفت إليه (يوسف) ذاهلاً ، فواصل (ديرمو) :

لقد سار الأمر كما خططنا له .. شكراً ..

!!!

و ابتسم (ديرمو) ليقول مفسراً :

- ألم تفهم بعد ؟! .. لقد فعلت كل ما كنا نريده .. أنت السابع لا هو .. لقد أوهمناه أنه السابع لنتخلص منه بعد أن اكتشف السجلات الحقيقية ، و الآن لا يبقى أمامك سوى الإنتحار بعد أن دمرت حياتك .. عليك أن تعلن نفسك عضوًا ميتًا كما هي قوانين الجمعية ..
همس (يوسف) ذاهلاً و هو يشعر بأن الأرض تميد به :
مستحيل !!!

الآن ينتهي دورنا .. أنت آخر نسل السابع و أيًا كان ما ستقرره فالنهاية حتمية .. سننتظرك هناك .. في الجانب الآخر ..
و سابحين في الهواء هذه المرة ، غادرت الأشباح الستة المكان ، تاركين (يوسف) و الجثة التي تتزف منها الدماء بلا توقف ..
و همس (يوسف) مرة أخرى :
- مستحيل !!

إنه الآن قاتل .. قاتل و هارب من الشرطة ..
حياته دمرت نهائيًا و كل هذا لأنه حفيد السابع .. و الآن أصبح بقاءه هنا كخروجه لا يحملان له سوى الهلاك ..
إلا إذا ..
و نظر إلى المسدس في يده بشرود ، مدركًا أنه لا خيار آخر أمامه ..
لا خيار على الإطلاق !!



انتهت الأوراق في يد العقيد ، فغمغم في ذهول مستغرب :
ما هذا العبث ؟! .. لست أفهم شيئًا ..!!
و دخل أحد الجنود الغرفة ، ليقول برسمية :
- سيدي .. لقد عثرنا على جثتين في أحد القبور المفتوحة .. أحدهما لعجوز تلقى رصاصة في صدره ، و الثانية لشاب يبدو أنه انتحر مطلقًا النار على رأسه ، و يبدو أنه من قتل العجوز ..
أدار له العقيد عينين شاردتين مصدومتين ، ثم قال :
انتشلوا الجثتين .. لقد انتهت القضية قبل أن تبدأ .. القاتل انتحر ..
ماذا عن الأوراق يا سيدي ؟!
يبدو أن القاتل أصيب بالجنون ليكتب هذا كله .. إننا لم نجد قبو أسفل الأرض



و لا شيء .. مجرد قبر مفتوح فيه جثتين .. إنه هارب من المستشفى على كل حال و لا يوجد تفسير آخر سوى جنونه ..
و بهدوء هب من مكانه ، ليردف بلهجة باترة :
- لقد أغلق ملف القضية ..



الآن نذهب إلى (فرنسا) .. إلى تلك الغرفة في الفندق التي استيقظ فيها
(جان مارسو) على كابوس عجيب ..
كابوس عن سبع قبور في مصر ، يجب أن ينقل التوابيت منها إلى فرنسا ..
كابوس يطارده بضرواة ، كأنها مهمة عليه القيام بها ..!!
إنه لم يذهب إلى مصر من قبل ، لكن يبدو أنه سيذهب قريباً .. و بعد أن يتم
مهمته سيكون عليه أن ينتحر !!
شعور غامض يكتنفه يقول هذا .. نعم . سيتم مهمته هذه ثم سينتحر !
سيكون مضطراً ..
هل تذكرون (اليزابيث) ؟!



اشترى كتبك الورقية الآن .. تصلك لباب بيتك أينما كنت

كتابك لبابك أينما كنت في كل دول العالم



• توصيل لكل دول العالم

• تخفيضات كبيرة

• إمكانية الدفع عند الإستلام

• أكثر من 10 مليون عنوان عربي واجنبي



• تواصل فوري

• عروض يومية للتوفير

• كوبونات خصم متجددة

أضغط هنا للدخول إلى المكتبة